

# الاسلام روح المدنية

او

الدين الاسلامي واللورد كرومتر

تأليف

مصطفى العلايسي

في بيروت

ISLAM IS THE SPIRIT  
of  
CIVILISATION  
THE RELIGION OF ISLAM  
and  
LORD CROMER

حقوق الطبع محفوظة لمؤلف





32101 019310141

# فهرس اجمالي لمباحث الكتاب

- |  |   |
|--|---|
| خطبة الكتاب<br>الاسلام وكروس «قصيدة لمؤلف»<br>مقدمة الكتاب<br>خلاصة انتقاد اللورد كروم على الدين الاسلامي<br><b>«القسم الاول»</b><br>«في الدفاع عن المدنية الاسلامية واثبات ان الاسلام روح المدنية»<br>١٤ (ا) اجمال عن المدنية الاسلامية<br>٣٤ (ب) الاسلام دين وشريعة ماما<br>٥٠ (ج) بعض شهادات الاغيارات في الاسلام<br>٦٠ (د) هل الاسلام بنافق المدنية العصرية؟<br>(مناقشة كرومر وكيله الصاع بالصاع)<br>٦٤ (ه) مقدمة المناقشة ، وفيها بحث عن المدينتين الاسلامية واليسوعية<br>(التنافض في كلام كرومر والود على بعض مزاعمه ، وفيه كلام<br>٧٨ (و) عن المدينتين ايضاً)<br>٩٦ (ز) هل داء المسلم دينه؟ وفيه بحث في المدينتين | صحيفه<br>٣<br>٩<br>١٣<br><br>١٤<br>٣٤<br>٥٠<br>٦٠<br><br>٦٤<br>٧٨<br>٩٦ |
|--|---|

## «القسم الثاني»

- |  |                       |
|--|-----------------------|
| (التعصب في الاسلام ، وفيه بحث مهم في الجهاد وكيفية قيام<br>١١٨ (ا) الدين الاسلامي<br>(ب) خلاصة ما يأمر به الاسلام من معاملة الاغيارات<br>١٥٣<br>(ج) الانصاف في الاسلام | ١١٨<br><br>١٥٣<br>١٦٢ |
|--|-----------------------|

- |                              |          |
|------------------------------|----------|
| صفحة سطر خطأ صواب            | ١٨٢      |
| ٥٠ ايجسب الانسان أن ايجسب أن | ١٨٣      |
| مسغبة                        | ٠٩       |
| ٦٠ والاقربون مما             | ٢٢١      |
| والاقربون ، والنساء نصيبي    |          |
| ما ترك الوالدان والاقربون    |          |
| مما اخلي                     |          |
| للذكر                        | ١٤ للرجل |
| وأخذن                        | ٤ وأخذن  |

بع بعض اغلاط في غير الآيات الكريمة لا تتحقق على من أتم فلذا ضربنا صفحات عنها



al-Ghalayini, Mustafā

al-Islām rūb al-madaniyah

# الاسلام روح المدنية

او

الدين الاسلامي واللور و كروم

معتمد الدولة الانكليزية في مصر سابقًا



تأليف

## مصطفى العلايبي

في بيروت



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع سنة ١٣٨٦ - ١٩٠٨ م

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَحَمَدَ اللَّهُ حَمْدُ الْمَاكِرِينَ ، اَنَّ اَرْسَلَ الْمَادِيَ الْامِنَ ، مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ  
رَحْمَةُ الْعَالَمِينَ ، صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَائِرِ النَّبِيَّوْنَ وَالْمَرْسَلِينَ وَآلَمَ اَجْمَعِينَ ٠

« وَبَعْدَ » فَهَذِهِ كَلَامَاتٍ رَدَدْنَا بِهَا مِزَاعِمَ الْلَّوْرَدِ كَروِسْ وَمَطَاوِعَهُ فِي  
الْدِينِ الْاسْلَامِيِّ ، وَأَبَانَا فِيهَا اَنَّ الْاسْلَامَ هُوَ دِينُ الْفَطْرَةِ وَالْمَدِينَةِ الصَّحِيحةِ ،  
وَانَّهُ يَصْلُحُ لِلْعَمَلِ بِهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، لَا كَمَا يَزْعُمُ الْلَّوْرَدُ وَامْشَالَهُ - وَسَتَرِي  
اَنَّنَا فِي دِفَاعِنَا هَذَا لَمْ نَخْدُعْنَاهُ جَادَةُ الْاِدْبُ وَالصَّوَابُ كَمَا صُنِعَ كَروِسْ ٠

وَلِيَعْنَرُنَا اَخْوَانَا الْمُسْيِحِيُّونَ فِي مَقَابِلَتِنَا بَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ الْاسْلَامِيَّةِ وَالْمُسْيِحِيَّةِ ،  
فَانَّنَا لَمْ نَقْصُدْ بِذَلِكَ تَحْقِيرَ الْمُسْيِحِيَّةِ كَمَا فَعَلَ الْلَّوْرَدُ فِي الْاسْلَامِ وَاهْلِهِ ، حَاسَّ  
لَهُ اَنَّ اَكُونَ مِنْ اُواثِكَ الطَّاعِنِينَ فِي الْاِدِيَّاَنَ ، وَلَكِنَّ الْمَحْدِيثَ ذُو شَجَوْنَ ،  
هَذَا وَانِي اَعْنَقَدْ اَعْنَقَادًا جَازِمًا اَنَّ جَمِيعَ الْاِدِيَّاَنَ تَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَالسَّلَامِ ،  
وَهِيَ وَانِ اَخْلَفْتُ فِي بَعْضِ الْاعْرَاضِ فِي مَنْفَقَةٍ فِي الْجَوَاهِرِ ، اَذَّنَ الْغَايَةُ  
مِنْهَا تَهْذِيبُ النَّفْسِ وَرَفْعَهَا مِنْ وَهَادِ الشَّرُورِ وَالْفَسَادِ ، فَنَّ يَسِيَّ بِهِدْمِ اَرْكَانِ  
الْاِدِيَّاَنَ ، هُوَ كَمَنْ يَسِيَّ لِتَقْوِيْضِ الْعِرَانَ ، لَانَ فِي دِينِ الْمَدِينَةِ الْمَحْدِثَةِ مِنَ  
الْمَفَاسِدِ مَا لَا يُحْصَى ، وَلَوْلَا سُلْطَانُ الْاِدِيَّاَنَ الْقَاهِرُ لَا يُبَيِّثُ الْاعْرَاضَ وَالدَّمَاءَ  
وَالْاِمْوَالَ . وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْخَرَابِ وَالْدَّمَارِ ، مَا لَا يُصْلِحُهُ الدِّرْهَمُ وَالْدِينَارُ ،  
فَبَقَاءُ اَنْسَانٍ فِي الْجَهَلِ بِعِلْمِ الدِّيَّاَنِ مَعَ التَّمْسِكِ بِاَيِّ دِينٍ ، خَيْرٌ مِنْ حِيَانَهِ  
عَالَمًا طَبِيعِيًّا مُهَنْدِسًا اَخْرَجَ وَهُوَ لَا دِينَ لَهُ ٠

الْفَلَانِي  
فِي بَيْرُوت

## الاسلام وكرور

نظمها مؤلف هذا الكتاب

كروم هل يُمجدي العتاب المذهب  
وهل انت مولي النصف من جاء يطلب  
والا نخذ قوله اشد من الصفا<sup>(١)</sup>  
يدافع عنا كيد من يتccb  
عذرناك لما قلت ما قلت خاطبا  
وقلنا عميد القوم «لورد مهذب»  
وأنبَّ قوم من بني الدين غيرة  
وما الناس الا عاذر ومؤنِّب  
فان تلف قبل اليوم فينا معدرا<sup>(٢)</sup>  
فما لك بعد اليوم في الشرق معتبر<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

عدوت على الاسلام في الحكم ظالما  
ولا هرشد يهديك الا العصب

(١) الصفا الصخور الصلبة (٢) المعدر من يلشمس لغيره عذرا  
المعتبر: من يترك ما كان يغتب عليه لاجله

كتبت عن الاسلام ما لو قصصته  
 على الصخر قال الصخر «يالورد» تكذب  
 فزور و بهتان و افك مضليل  
 واشياء املاها الموى المشعّب  
 اهانتك مصر عن جوى بفواهها  
 أهاجته نار منك اذ كنت تخطب  
 فان تك مصر قد أساءت واهلها  
 جحوك فهم لا الدين «يالورد» اذنعوا  
 فلو كنت تدربي اي مقبحة جنت  
 يداك لقلت الموت اشهى واطيب  
 كذبت على الدين الحنيفي كذبة  
 ينؤ بها الطود الاشم فيشعّب  
 وقام لها الاسلام والشرق كله  
 ووجه الدُّنْا منها عبوس مقطّب  
 رمتك النصارى بالملامة مثلما  
 رماك بنو الاسلام والكل صَبَّ  
 فقد علم الجبارات أنا جيغينا  
 أخلاً لولا من اتونا نغربوا

\*\*\*

كذبت علينا ايها «اللورد» عامدًا  
 كاذب الاوباش يوم تخزيّوا  
 أتبغي بهذا شئًا «داحسيّة»  
 تأتي بحرار من الغرب يلجم  
 فجيري دماء الخلق من أجل كذبة  
 وانت لها الجاني وانت المسبب  
 اترغب ان تأتي الجيوش وتهرق الـ  
 بدّماء بدعوى ان يرمموا<sup>(١)</sup> ويرأبوا  
 فياليت هاتيك البراعة حطمت  
 ولم يبدُ من «مصر الحديثة» عقرب  
 فهل بك مس من جنون وخفة  
 بعقل فقمة اليوم تهذىء وتتصخب  
 وهل جئت مصرًا داعيًا لديانة  
 لترشد قومًا عن هداهم نَكَبُوا . . .  
 نفخت من خاصوا من الفحش اجرًا  
 فعدت وغادوا مثلما عاد أشعب<sup>(٢)</sup>

(١) يرمموا ويرأبوا : يعني يصلحوا (٢) هو الذي يضرب المثل في طمعه

فلو كنت قسيساً يصراخ جهراً  
 عذرنا ولكن للسياسة تنسب  
 فان يك معدوراً فما لك معدور  
 وان يك ذا خطب نفظبك اخطب  
 فذلك قسيس يشيد بصوته  
 جهاراً وما في امره ما يعجب  
 وأنت سياسي وشيخ موّرق  
 وللقوم في مصر عميد مدرّب  
 دعوك لوادي النيل تصلح شأنه  
 وتنصح للآقوام آن يتهدّبوا  
 فما بالك اليوم اعتراك حماسة  
 فأبّت وأذيالَ التّعصب تسحب  
 وفهت بما قد فهت لم ترع ذمة  
 ولا حرمة والحقُّ يُعلّي فتكتب

\*\*\*

كنت لهم خمساً وعشرين حجةً  
 تراوغ منهم من ترى وترحب

وُتَّهَر لِلأَقْوَامَ غَيْرَ الَّذِي انطَوَى إِلَى  
فَوَادِ عَلَيْهِ وَهُوَ غَلٌّ مُنَقَّبٌ  
أَتَدْعُو بَنَاتِ الشَّرْقِ تَرْفَعْ حَجَبَهَا  
وَقَلْبَكَ هَذَاكَ الضَّلَالُ الْمُحَجَّبُ  
أَتَدْعُو بَنِي الْإِسْلَامِ لِلْحَقِّ وَالْمَهْدِي  
وَانْتَ الَّذِي عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ تُخْبِنُ  
كَرْوَرُ لَا تَرْجُ الَّذِي أَنْتَ آمَلٌ  
فَانَّ الَّذِي تَبْغِيْ عُذْيَقُ مَرْجَبٌ<sup>(١)</sup>  
وَانْتَ بَنِي الْإِسْلَامِ وَالشَّرْقَ كَلَّاهُمْ  
يَوْدُونَ لَوْ يَعْبُرُ الْهَوَى وَالْعَصْبُ  
فَلَا تَبْغِيْ أَنَّ الْبَغْيَ لِلشَّرِّ مَنْجَعٌ  
وَلَا تَعْدُ فَالْعُدُوانُ لِلسُّوءِ مَشْرُبٌ  
اتَّبِعِيْ بِمَا خَطَّتْ يَمِينَكَ بِاطْلَالًا  
بَانْ تَرْكُ الْإِسْلَامِ فَالْمُخْتَفِفُ أَقْرَبُ  
فَلَلَّدِينُ قَوْمٌ يَظْهَرُونَ كَالَّهِ  
وَلِلْحَرْبِ أَقْوَامٌ إِذَا الْخَصْمُ اجْلَبُوا

(١) عُذْيَق : نَصْفِير عَذْقٌ وَهُوَ مِنَ النَّخْلَةِ كَالْعَنْقُودِ مِنَ الْعَنْبِ .

مَرْجَب : مَوْضِعُ حَوْلَةِ الشَّوْكِ ثَلَاثًا يَصْلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ

وَلِلَّهِ لَمْ يَجِدُوا بِئْلَهًا  
وَلِلَّهِ حَرَبٌ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ السُّلْطَانُ أَنْجَبَ

\*\*\*

كَرُومَرَ اَنَ الدِّينَ يَأْمُرُ بِالْمُتَّقِدِّمِ . . .  
وَحَبَّ جَمِيعَ الْخَلْقَ هُلْ هُوَ مُذْنِبٌ  
وَبِالْعِلْمِ وَالثَّقَوْيِ وَمَا فِيهِ لَلْوَرَى  
فَوَائِدُ الْلَّدْنِيَا وَلِلَّهِ دِينٌ تُنْخَطِبُ  
بَلِّي أَنْتَ فِيمَا قَلْتَ غَيْرَ مُصَدَّقٍ  
وَفِيمَا عَلَى الدِّينِ افْتَرَيْتَ مُكَذَّبَ  
فَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ اَعْظَمُ شَاهِدٍ  
‘بَيْنَ الْمَدِيِّ لَوْ كُنْتَ فِي الْحَقِّ تَرْغَبُ  
فَمَا ذَا وَرَاءَ الْحَقِّ اَلَا اَبْنُ فَهْلَلَ’<sup>(١)</sup>  
وَمَا ذَا وَرَاءَ الصَّدْقِ اَلَا التَّحْزِبُ  
بَدَا الْحَقُّ فَارَتَاعَ الْضَّلَالَ وَحْزَبَهُ  
كَذَلِكَ (يَعْلُو الْحَقُّ وَالْحَقُّ اَغْلَبُ)

(١) فَهْلَلَ : مَنْ ابْنَاهُ الْبَاطِلُ ، يَقَالُ : الْضَّلَالُ اَبْنُ فَهْلَلَ

## مقدمة الكتاب

ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والمواعظ الحسنة وجادلهم  
بالي هي احسن ، اين ربك هو اعلم من ضل عن سبيله وهو اعلم  
بالمهتدين « قرآن كريم »

من أمر معروفٍ فليكن أمره معروفٍ « حديث شريف »  
اللهم أرنا الحق حقاً فتبناه وأرنا الباطل باطلًا فنجتنبه

اطلعت في جريدة المؤيد التي تصدر في القاهرة على شذرات  
ما كتبه جناب اللورد كروم معتمد الدولة الانكليزية في مصر  
سابقاً في كتابه « مصر الحديثة » فاذا هو قد شطّ به القلم الى الكلام  
عن الاسلام والمسلمين فوصف نفسيهم كما شاء وشاء هواه  
ما ينجل منه وجه الحقيقة وتحمر له وجنة الصدق - ثم حكم بان  
المانع الاَ عظم من ترقى المسلمين هو دينهم الى آخر مقال . ولا ادرى  
ما الباءث له على ذلك سوى التعصب الذميم والانتقام والتشفي  
من المسلمين واغاظتهم بتحقيق دينهم ، ولا اراه كثب ما كتب معتقداً

بصحة ما كان يُملّيه عليه تعصبه الوخيم ، ولا يقصد بذلك سوى التبكيت واهانة الاسلام واهله ، لأن سعوم الحقد والعداوة كانت جارية على اسلات قلبه الذي خط به ذلك الكتاب فشوّه بذلك وجه الحقيقة وسوّد جبين الانصاف ، ولو كان يروم بما كتب النصيحة والموعظة لاستعمل غير ذلك الاسلوب الذي اودعه « مصر الحديثة » وجري في التحرير مجرى آخر يظهر الحقيقة في ثوب مقبول لدى من طالع كتابه — ولكنّه ابي ذلك ودخل في مضائق كان الاولى ب الرجل مثله عظيم في قومه مسموع الكلمة نافذ الرأي يؤخذ قوله حجة ان يكتب ما يراه الحق في نفسه لا ما يُملّيه عليه التشفي والتعصب ، حتى ترك نفوس المسلمين في جميع الاقطارات ساخطة عليه وعلى كتابه ، بل ان جميع العقلاء من المسيحيين هم ساخطون ايضاً على ما كتبه اللورد من الطعن بالاسلام والمسلمين لانه خلاف الحق بل ليس فيه حجة من الحقيقة — وعجيب من رجل مكت في صميم المسلمين ربّع قرن ويدعى انه خالط علماءهم وكبارهم ان يكتب مثل ذلك الكتاب « كتاب مصر الحديثة »

قال السيد الشیخ مصطفی لطیفی افندی المفلوطي في اسبوعاته التي ينشرها في المؤید الاَغْرِی ما نصه وهو كلام معقول : « لم ينشر اللورد كرومر كتابه ليؤثر به على نفوس المصريين

او ليقنعهم بصححة ما يقول عنهم او يجعلهم يعتقدون في دينهم  
ما يعتقد هو ، فالرجل اذكى من ان يتطلع الى مثل هذه النتيجة ،  
وانما اراد به أن يشوه سمعة المقربين في العالم الغربي انتقاماً منهم  
لبغضهم اياه واتقادهم على معاكسة اغراضه وافساد سياسته ، وتشفيأ  
من دينهم دين الاسلام الذي يعتقد انه العروة الوثقى التي افت بين  
المقربين وجمعت كلمتهم على مقاومة كل مشروع انكليزي يمس  
بجماعتهم الدينية . والرجل عظيم في قومه موثوق بهم بصدقه وصححة  
ارادته فلا غرابة انه يبلغ بنشر كتابه هذا أمنيته من تسويه سمعنا  
في ذلك العالم وتصوينا بالصورة التي ارادها وقدرها » ١٤

وقالت جريدة «العدل» الانكليزية التي تصدر عن لندن في  
مقال عنوانه «كرورن و مصر» بعد ان ذكرت ثناءً من مدح الكتاب  
ورضي عنه مانسه :

«والذي نفهمه من كل هذا الاطراء من هذه المصادر انه  
كتاب لا يضار به كتاب آخر في المطاعن والا كاذيب التي يوَّلُفُ  
منها اقولاً مختلفة » ١٤

وقد عزمت بعد الاتكال على الله تعالى ان اكتب كتاباً ارد  
به من اعم اللورد وانقض اكاذيبه واقواه الا فاكهة نقضا ، واثبت  
ان الدين الاسلامي هو خير دين اخرج للناس وانه «روح المدنية»

وموافق لكل زمان ومكان . غير اني اتحاشى ان ا تعرض لغير الدين الاسلامي بسوء لاني اعتقاد ان كل الاديان تامر بالخير وما فيه السعادة ، وعملاً بقوله تعالى « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بتى هي احسن » وقوله صلى الله عليه وسلم : « من امر معروف فليكن امره معروف » فان دعت الحاجة لذكر غيرا الاسلام من الاديان فاما ذكره لا يُين لجناب اللورد انه ليس خيراً من الاسلام فيما اخذ به عليه او أن الاسلام خير في هذه المسألة مثلاً . وحاش لله ان اتطوّح كما تطوّح به كرومر من الفحش والبذاء والكذب للسبب المقدم ، ولان (دولتنا العلية العثمانية) ايدها الله تعالى عن المشاغبات الدينية عملاً بأوامر الشريعة المطهرة ، فامرها واجب الاتّباع وليس غرضي من هذا المقال الذي انشره اليوم اظهاراً أنَّ الاسلام بري، من هذه الوصمات التي وصفه بها جناب اللورد ، لأن ذلك معلوم لدى كل عاقل ترفع عن التدنس بدنس النعصب ، وانما غرضي منه ان اظهر لجناب اللورد ومن على شاكلته من اهل اوروبا ان الدين الاسلامي دون ما يفهمون وغير ما يكتبون ، بل بينه وبين من اعمهم بعد المشرقين وبون الخاقفين

## خلاصة انتقاد كرومر على الدين الاسلامي

وخلاصة ما ينتقده كرومر على الاسلام : انه دين مناف للمدنية ولم يكن صالحًا الا للزمن والمحيط الذين وجد فيها وان المسلمين لا يمكن ان يرقوا في سلم الحضارة والتمدن الا بعد ان يتركوا دينهم وينبذوا القرآن واوامره ظهريًا لانه يأمرهم بالخنوم والتعصب وبيث فيهم روح البعض للاغيار والشقاق وحب الانتقام انح ، ولانه اقى بما يناقض مدنية هذا العصر من حيث المرأة والرقيق انح – ثم اخذ يفضل بين الديانتين الاسلامية واليسوعية من حيث العبادات والاخلاق انح واتخذ ذلك ذريعة للطعن في الاسلام وعباداته واخلاقه وآدابه انح – فعل ذلك بعد ان مدح الاسلام من حيث هو عبادة وادب فكان في كلامه التناقض الظاهر . اما كون الاسلام شريعة وسياسة ومعاملات فهو ما لا يوافق عليه اللورد ابدا بل ينحي عليه اشد الانحراف ويطنع فيه اوسع الطعن من هذه الجهة . ولباب الامر « على رأي كرومر » ان المانع الاعظم والعقبة الكوئود في سبيل رقي الامة الاسلامية هو الدين او القرآن . وسترى فيما سيلقي عليك خطأ اللورد وخلطه وكذبه ان شاء الله تعالى .

## الاسلام روح المدنية

### اجمال عن المدنية الاسلامية

الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي يرافق العقل جنباً لجنب ويتشارى مع المدنية في طريق واحدة ويصافح الانسانية بيدَ ييد ، وهو الدين الذي رفع منار الحقيقة على ذروة لا ثنال وشاهق لا مطعم فيه لاقوى النسور فكيف ببغاث الطير ، وهو الدين الذي رفع شأن الانسانية من حضيض الهوان الى ربوة العز والشرف، وهو الدين الذي اخذ يد الضعيف حتى أداد من عسف القوي وظلمه ، فتساوى الفريقيان وتآخى القبيلان واستوى القومان بجميع الحقوق المدنية فلا فارق بين ضعيف وقوي وفقير وغني " الاما منه الله من ذكاء الفطرة والعلم والتقوى والعمل الصالح ، كما جاء في القرآن الشريف : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقال محمد صلى الله عليه وسلم : « لافضل لعربي على اعمجي الا بالتفوى » وقد جاءه اُسامة بن زيد يشفع في شخص ليسقط عنه حد السرقة فغضب الرسول لذلك وقال له : « اتشفع في حد من حدود الله ؟ والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها »

خطب ابو بكر رضي الله عنه فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

« ايه الناس قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتموني على حق فاعينوني وان رأيتموني على باطل فسدوني . اطیعوني ما اطعت الله فيکم فاذا عصيته فلا طاعة لي عليکم . ألا ان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، واضعفکم عندي القوي حتى آخذ الحق منه . اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولکم »

قال ابو بكر هذا القول لتأثير مكارم هذا الدين عليه واستيلاه على نفسه لانه يأمر بالعدل وكل ما فيه السعادة في الدارين — وان من امثال هذه الاحکام والآيات في القرآن وكلام محمد عليه الصلاة والسلام وسيرة خلفائه كثيراً تضيق عنه الصفحات ، وكله في الآداب والأخلاق والتربية الصحيحة والسياسة على اختلاف موضوعاتها مما يصلح لكل زمان وكل مكان وكل امة

الدين الاسلامي هو الدين الذي خاص الناس من عقيدة الشرك وتکثير الارباب ، وازال عنهم برق المخافات المضللة وكسر عن عقلهم قيود الاوهام ، ونجاهم من فساد الاخلاق ، وطرد عنهم تلك الظلال التي اظللتهم سنين عديدة ، بما شاء فيهم من انوار المداية والتعاليم القومية ، فتهذبت نفوسهم وحسنت عقيدتهم ونما في قلوبهم حب الرحمة والرأفة ، فرأوا من اجل ذلك نور الحق يتلاأ في سماء قلوبهم ، ويتباين عقوبهم التي كانت مظلمة بفساد التربية

## سوء الاخلاق وشوم العقيدة

الدين الاسلامي هو السبب الوحيد لتخلص اوروبا من تلك المهاوي التي كانت ساقطة فيها الى حين الحروب الصليبية ، فهو المنار الذي هداها ، والمرشد الذي اناف بها على يفاع التمدن والعلم ، ولو لواه وكانت الى الان غارقة في بحور الجهل ، تائهة في يدائه التأخر ، تختطفها تياتر االوهام ، تقدفها تاترة وتعودها الى ما كانت عليه تارة اخرى – يعلم ذلك من درس التاريخ بحق الدرس وسبره بمسار الانصاف – على انا لم نعد اقواماً منصفين من اهل اوروبا وخصوصاً من الامة الانكليزية أَبَانُوا ذلك لقومهم دون ان يخافوا ثورة العامة وهياج علماء الدين .

علماء الاسلام وفلسفتهم هم الْأَلْي لهم القدر المعلى والقدم الراسخة في تهذيب اوروبا وتقديرها بسبب ما اكتسبته من تأليفهم وآرائهم وعلومهم . وهم الى الات عيال على بعض مؤلفات المسلمين في الاخلاق والسياسة والآداب والطب الخ – نعم ان علماء اوروبا تناولو تلك الكتب ودرسوها وترجموها الى لغاتهم ولما برعوا في العلوم والفنون والاكتشافات العصرية اصلاحوا بعض ما فيها من الخطأ لأن التجارب العلمية والادلة الحسية أبانت لهم ذلك ، فلهم بهذا فضل لا ينكر ، بل لواهم لا ودى بتلك العلوم والفنون

غول الجهل ، فعلماء اوروبا حفظوها من الضياع ودرسوا ما فيها  
فاستفادوا وافادوا ، ولهم الشكر على كل حال  
نرج ما نقدم انَّ الدين الاسلامي هو روح المدينة في كل زمان  
ومكان وليس كما يزعم جناب اللورد كرومر ومن على شاكلته من  
الاوربيين

فالدين الاسلامي دين المدينة الحقة ، ومحمد وكتابه هما السبب  
الاعظم لتخليص اوروبا من سلاسل الجهل وكسر قيود الانحطاط  
الادبي والمادي عن عقول اهلها ولا ينكر ذلك الا من باع عقله  
في سوق العصب — وهذه الدعوى اثبتتها بما يُaci :

جاءَ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَمْمَ جَمِيعَهُ قد اظللتها سحابات  
الفتن في الدين والدنيا نخلص باديء بدء شعبه العرب من تيار الجهل  
والخرافات وفساد الاخلاق ومنكرات العادات كؤاد البنات وشن  
الغارات واضطهاد النساء لدرجة ثنف منها الانسانية بالادلة الساطعة  
والبراهين الدامغة اللامعة — نشأ لا حول له ولا قوة فتبعده الضعفاء  
من الناس ، فلما قويت شوكته دعا الناس جهراً لترك ما هم فيه مما  
يضرُّ بهم دنيا ودينا ، فاجاب اكثربهم بلا رهبة ولا قوة ، ولم يتعرض .  
لمن عارضه بسوء الا بعد ان قلبوا له ظهر المجنّ وصارحوه بالعداوة  
والاذى ، فقابل المعتدي بما يستحق ، ولما تمكن منهم وظهر عليهم

وكان باستطاعته ابادتهم واهلاً كهم عن بكرة ابيهم ، صفح عنهم وغفر لهم ما جنت يداهم فكان ذلك سبباً لاسلامهم اجمعين . — ولما نجى شعبه صار يرسل الرسائل والبعثات للتبریز بالدين : فنهم من اجاب ومنهم من رفض ، الى ان توفي عليه السلام والكون كلها السنة شكر ناطقة لهما قام بهما من التدین والتهذیب والارشاد . - خلف من بعده قوم انتهجو منهجه وساروا في طريقته فانتشر الاسلام في الافق ، وعم الشام والعراق وافريقيا وبعض اوروبا — ثم تصدى قوم من الاصحاء والعلماء لاقتباس علوم الغایر ليأخذوا ما يرون هؤلئة موقتاً للصالح الدنيوية ، فترجموا علوم اليونان وبرعوا فيها وأصلحوا مافيها من الخطأ الذي يظهره توالي الايام وترقى الافكار ، كما اصلاح علماء اوروبا علوم العرب بتجاربهم الحسية — فصار الاسلام وعلماؤه ملهم طلاب العلوم الدنيوية كما كانوا مقصد التهذيب والاخلاق والاصلاح والنجاة في الآخرة — على ان في القرآن من تلك العلوم التي ترجموها الى لغتهم كثيراً مشاراً اليه بتصریح او تلیح او طرف خفي ، فتراه يتکلم عن العلویات والسفلیات من كيفية ازال الامطار وسیر الكواكب وحركات الافلاک وابنات النبات وغير ذلك كاحسن بارع في تلك العلوم اليوم . بل انه صرّح بجملة من الاراء في الفلك والارض لم يكن يعهدنا العلم من قبل ، بل كان المفسرون في

حيرة من تطبيقها على ما يعلمون الى ان ترقى العلم اليوم وشرح كثيراً  
 من تلك الآيات الباهرات وثبت صحتها بعد ان كانت في طي الحفاء  
 زهاء ثلاثة سنتين والـ «١٣٠٠» تخطفها الاراء وتلوّنها الافواه،  
 وهذا سرّ من اسرار إعجاز القرآن الذي هو اعظم معجزة لذلك النبي  
 الامي الى آخر الدوران — بل ان فيه من التلميع ما لم يكشف عنه  
 العلم العصري وسوف يأتي زمان ارق وعلماء ارسخ كعباً وانى ذكاء  
 يكشفون اللثام عن تلك المدررات التي لم تزل قابعة في خدور صدوره  
 درس علماء الاسلام تلك العلوم ايام شباب الدين فوجدوها  
 تتشى مع الدين جنباً لجنب ، بل انها مما تزيد في العقيدة لأن فيها  
 من المباحث الجليلة ما يقويه الاعتقاد بقدرة الخالق عزّ وجلّ  
 ويعينهم على تفسير كثير من آيات القرآن في الافلاك وطبقات الارض،  
 فازدادوا بذلك نوراً على نور وعلماً على علم ، وعرفوا أن القرآن هو  
 كتاب الله الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلقه ، وأنه  
 هو الكتاب الذي لا تفنى عجائبه ولا تبيد غرائبه

صرح القرآن منذ ثلاثة سنتين والـ بدوران الارض في قوله :  
 «وترى الجبال تحسّبُها جامدة وهي تمرُّ مِنَ السحاب» فحركة الجبال  
 وهي متصلة بالارض تفضي بالضرورة بحركة الارض التي هي مر كوزة  
 فيها — لمح القرآن الى كروية الارض من طرف خفي فقال : «يُكَوِّرُ

الليل على النهار» وتكويره يقتضي تكوير ما انبسط عليه - صرَّح القرآن بـان الحكمة من وجود الجبال ألا تختلَّ دورة الأرض فيفسد نظامها ويهدِّك سكانها فقال : «أَلَمْ نجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجَبَالُ أَوْتَادًا» وقال : «وَالْقَوْنِيَّ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَّ أَنْ تَمْبَدَّ بِكُمْ وَانْهَارًا وَسُبُّلًا لِعَلَّكُمْ تَهَذَّدُونَ» المهد : الفراش ، وقد جعل الله الأرض موطنًا للناس والدواب يقيعون عليها فهي فراش لهم . والآوتاد : جمع وتد وهو ما تشدُّ به الخيمة ، وإنما كانت الجبال آوتادًا لأن بروزها في الأرض كبروز الآوتاد المغروزة فيها ولأنها ثبتت الأرض وتنعمها من الميدان والاضطراب كالآوتاد التي تحفظ الخيمة . تقييد : تضطرب صرَّح القرآن بـان هذه الجداول والأنهار والينابيع اصلها من ماء المطر فقال : «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَّكَ يَنَابِيعَ»<sup>(١)</sup> في الأرض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً الوانه ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يجعله حطاماً ، ان في ذلك لذكرى لأولي الالباب « - صرَّح القرآن ان المطر اصله من السحاب التي تجتمع مما تتصه حرارة الشمس من الأرض فقال : «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُوَافِي بِنَهَرٍ ثُمَّ يجعله رُكاماً فترى الودقَ يخرج من خلاله ، وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ

(١) الينابيع : جمع ينبع وهو العين الذي يخرج منه الماء . يهيج : يصفُرُ حطاماً : يابساً متكسرَا

من جبال فيها من بَرْدٍ<sup>(١)</sup> فيصيّبُ بهَ من يشاءُ ويصرفهُ عَمَّن يشاءُ»  
 والمراد من السماء السحاب كَما هو المعتمد عند أكابر المفسرين واصاغُرهم  
 لأنَّ كلَّ ما علاكَ فهو سماوٌك حتى ان سقفَ الْيَت سماء ، والمراد  
 بالجِبال التي ينزل منها البرد هي قطع السحاب العظيمة شبهها بالجبال  
 لعظمها او جمودها ، قال المفسر البيضاوي : «والمشهور ان الابخرة  
 اذا تصاعدت ولم تحلِّلها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء  
 وقوى البرد هناك اجتمعت وصارت سحاباً فان لم يشتدَّ البرد نقاطرت  
 مطرًا وان اشتَدَّ فان وصل الى الاجزاء البحارية قبل اجتماعها نزل  
 ثلجيًّا والاً نزل بردًا»

صرح القرآن بان القمر مظلوم بذاته وأن الشمس مضيئة بنفسها  
 فقال : «وجعلنا الشمس والقمر ايتينٍ فَحَوْنَا<sup>(٢)</sup> آيةَ الاليلِ وجعلنا  
 آيةَ النهارِ مُبَصِّرَةً لِتَبَغُوا فَضْلًاً مِنْ رَبِّكُمْ وَتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّنِينَ  
 وَالْحَسَابَ، وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تفصيلاً»

صرح القرآن بان الارض والسماء كانتا كتلةً متَّحدةً ومادةً

(١) يزجي : يدفع ويسوق . السحاب الغام . ركامًا : اي بعضه فوق  
 بعض . الودق : المطر . البرد : هو ما يبرد من المطر في الهواء فيصلب  
 (٢) حجونا آية الاليل : جعلناها مظلومة بنفسها وانماورها مكتسب من الشمس ،  
 وآية النهار هي القمر . وجعلنا آية النهار مبصرة : اي مضيئة بنفسها لأن التور  
 ذاتي لها ، وآية النهار الشمس

واحدةٌ فرقَ بينها — والمراد بالسماء هو ما فيها من الكواكب كالشمس وغيرها — فقال: «أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانُتَا رِئَقًا فَفَنَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ . وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَّا أَنَّ تَمِيدَ بِهِمْ . وَجَعَلْنَا فِيهَا بَخَاجًا<sup>(١)</sup> وَسُبُلاً لِّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ»

صرح القرآن بـأن لكل شيء في الكون سبباً وعلاقةً وحكمةً يجري عليهما ونظاماً لا يبتعد عنه فقال: «صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» وقال «وَإِنْ مَنْ شَيْءٌ لَا عَنْدَنَا خَزَانَةٌ وَمَا نُنْزِلُ لَهُ إِلَّا بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ» وقال : «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا بِاطْلَالًا» وقال : «وَالْأَرْضَ مَدَدَنَا هَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَّا وَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا» وقال: «وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحَسِبَانٍ، وَالنَّجْمُ<sup>(٢)</sup> وَالشَّجَرُ يَسْجُدُانَ، وَالسَّمَاءُ رُفِعَهَا وَوُضِعَ الْمِيزَانُ»

واخبرَ أَنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَبْرًا وَآيَاتٍ مَدْهَشَاتٍ قَالَ: «قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ

(١) كانوا رئقاً : أي ملتحمين ، ففتقناها . بخاجاً : جمع فجّ وهو شقة يكتنفها جبلان ويستعمل في الطريق الواسع وهو المراد هنا  
 (٢) النجم : هو كل نبات ليس له ساق يقوم عليها وهو ضد الشجر فانه النبات الذي له ساق . وليس المراد هنا بالنجم المعروف كما تnom العامة

لَا يُؤْمِنُونَ » وَقَالَ : « وَكَمْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَرَوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ »

صرح القرآن بان قيام هذه الا كواكب بنظام الجاذبية التي اودعها الخالق سبحانه فيها فقال : « وَهُوَ الَّذِي يَمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ، وَإِنَّ زَالَتَا إِنْ امْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ كَانَ حَلِيًّا غَفُورًا » وَقَالَ : « وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ إِنْ نَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِأَذْنِهِ أَنْ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ » وَقَالَ : « وَهُوَ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ شَيْءٍ يَجْرِي لَأجلِ مُسْمَىٰ ، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءُ رَبِّكُمْ تُوقَنُونَ » فقد صرحت ان ما نراه من الكواكب وما نشاهده من النجوم « يُمْسِكُ بِعِمَدٍ غَيْرِ مَرْئِيَّةٍ ، وَهِيَ لَا شَيْءٌ إِلَّا جَاذِبَةٌ » .

صرح القرآن بكثير من الآراء المهمة التي اثبتتها العلم المصري وجعلها قاعدة واساساً بنى عليه كثيراً من المسائل والباحث، ولو لا خوف الملل لاوردت منه ومن كلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما تضيق عنه الصفحات ، ولكن في هذا الإجمال ننذجاً لما في القرآن من العلم الصحيح والفلسفة المدهشة ، عدا ما فيه من الباحث الأخلاقية والأدبية والدينية المرقية للآداب المذهبة للنقوس التي تجعل المرء سعيداً في الدارين ، وهي التي جاء الدين لاجلها

علم فلاسفة المسلمين كل ذلك وضموا اليه ما اقتبسوه من علوم اليونان وساروا في هذه السبيل الى حين الحروب الصليبية المشؤومة . فكان من ذلك الوقت مبدأ انحطاط المسلمين بما شغلهم من الحروب والسياسة والاضطراب فهجروا العلم وتركوا التعلم ، ولم يبقَ بينهم من العلوم الا العلوم الدينية ، بل لا بالغ اذا قلتُ : انه من ذلك حين ضعف العلم الديني ايضاً عندهم — هذا عدا ما طرأ عليهم من من الاهواء والاراء السخيفه في الدين التي اناههم بها المقلدون وبعض من يزعمون التصوف وليسوا من اهله<sup>(١)</sup> وروجوها باسم الدين والدين منها براء ، بل ان مبادئه القوية تناقضها كل الناقض خسر بذلك المسلمين الدنيا والدين ، نعم انه لم يخل عصر من العصور بعد تلك الحروب من علماء حقيقين وفلاسفة ناهضوا تلك البدع والخرافات التي الصقها بالدين او تلك الجهلاء الاغبياء لمقاصدهم الخبيثة وهي جذب العامة اليهم رجاء ان يتعلقوا بهم ، ولكن كان صوت هؤلاء العلماء ضعيفاً لا يصل الى اعماق قلوب العامة ، بل ان كثيراً منهم لم يكن يقدر على المجاهرة بالحق خوف التكفير والتفسيق أضف الى ما تقدم خروج الثار وتحرر يقهم كتب العلم واغراقها

(١) اما التصوف الحقيقي فلا يأس به بل هو لباب الشريعة لانه مذهب الاخلاق مرتب للنفوس

وتخريب بلاد المسلمين وسفك الدماء البريئة الى غير ذلك مما نقشعر  
منه الابدان وتسئر منه النفوس .

هذا بعض ما اصاب المسلمين من الضعف الديني والدنيوي خلا  
ما اصابهم من تشتت اهواء الامراء والحكام في تلك العصور ،  
وهي التي جرت على الشرق وبلاد عظيمة لم يزل اثرها الان وليس هذا  
موقع تفصيلها — كل ذلك كان سبب تأخر المسلمين

وان مبدأ ثقدم اوروبا للعروج في معارج الحياة والرقي في سلم  
المدنية هي تلك الحروب الصليبية وحروب الانداس ، وكانوا قبلها  
في ظلمات بعضها فوق بعض ، فلما جاءت جيوشهم لتخليص البلاد  
المقدسة من ايدي المسلمين بسبب ما اوحاه اليهم التعصب النزيم  
وما القاه في قلوبهم ذلك المتخمس الذي افاض التعصب على قلبه تلك  
السموم التي مرتّقت جسم العالم ، حتى انهم كانوا ينشدون  
الاناشيد لتحميس دول النصرانية وابنائها في تلك البلاد على مد يد  
المعونة لتخليص البلاد المقدسة من ايدي المسلمين بحججه انهم وحوش  
ضاربة وقوم كافرون . . . .

فكان ما كان مما لست اذكره فظن «شرّاً» ولا تسأل عن الخبر  
— رجع الصليبيون يحملون الى قومهم علوم المسلمين ومدنיהם  
بعد أن علموا ان ما كان يصفهم به المتغصبون من التوحش والجهل

والفساد ليس له نصيب من الحقيقة وانهم براء منه . فكانت اذ ذاك اوروبا متكسعة في ظلمات من الجهل ، يتغبط اهلوها في ديار جير الاوهام والخرافات تختبط العشواء في الليلة الظلام ، فكان ما حمله اليهم قومهم من انوار المدينة الاسلامية التي اقتبسوها ايام الحروب الصليبية مصابيح تهدى لهم فيما فيه من الجهل والغرور والخرافات ، عدا ما اخذواه من بلاد الاندلس ايام حدث فيها ماحدث - فن ذلك الوقت اخذ الاوريون يرثقون في معارج المدينة والعلم شيئاً فشيئاً الى ان بلغوا ما زاهم فيه الان من القبض على نواصي الفتوت وصوالي المجد . اما نحن فكنا تأخر عنهم بقدر تقدمهم بل اكثر ، فكانوا كلما تقدمو الى العلم والمدينة شبراً تأخرنا عنهم ذراعاً ، وكلما خطوا في سبيل الحضارة ذراعاً تأخرنا باعاً الى ان بلغ بنا الخطب ما نحن معainوه ، فاصبحوا هم السادة في العلوم والاساتذة في الصناعات بعد ان كانوا عيذاً اذلاً ، ثغر منهم المدينة والفنون بقدر ما ينفرون هم منها ، وصرنا نحن العبيد والتلاميذ بعد ان كنا سادتها واستاذتها :

يا شرق فائز عنك ثوب الونـي وأستبدل المبهج بالموجع<sup>"</sup>  
فقد كفى اهليك ما ناهم حتى اضاعوا واضح المهجـع

(١) هذه الايات لمؤلف من قصيدة ، وهي من القصائد الشرقيات

كان لهم ما كان من عزةٍ  
 ارفع من اوج السهى الارفع  
 قد ملاً الكونَ شذا ذكرهم  
 من موضعٍ يسري الى موضعٍ  
 ترزو كاسراب القطا الشرع  
 فما ترى الا قلوبًا له  
 قد رففت من حوله وَلَمَا  
 رفرفة الطير على المشرع

\*\*\*

فيابني الشرق واهل الحجى  
 حسبكم ما حل في الأربع  
 هل فيكم من حازم اروع  
 جمعة عقل عالم المي  
 يكسر قيد الجهل عن عقلكنا  
 فذرقي اوج العلا بعد أن  
 وينزع الرمح من الأضلع  
 لم يك للشرقي من مطعم  
 لمجدنا من هوة المضرع  
 فالشمس بعد الكسف تبدو لنا  
 وتتجلي في رائع المطلع  
 والحمدُ يدني شاسعات المنى واليأس يقصي داني المنبع  
 — اصابنا كل ذلك — غير ان هذا (العصر الحميد) قد اشرقت  
 فيه العلوم والمدنية بهمة مولانا امير المؤمنين السلطان الغازي  
 (عبد الحميد) خان أيده الله ، فانه لما رأى حاجة البلاد اليها امر  
 حفظه الله بافتتاح المدارس على اختلاف طبقاتها في جميع الملك المحروسة  
 وسهل للناس سبل التحصيل واكتساب العلوم والصناعات على تباعين  
 انواعها فاخذنا ندرج في مراقي الحضارة والفنون ، ولا يمضي زمن الا

ويرجع اليـنا ما اضـعنـا من المـجدـ الغـابرـ مـجـدـ آبـائـناـ الـأـولـينـ وـنـصـيرـ نـفـخـرـ  
 باـعـالـنـابـدـاـنـ كـنـاـ نـزـهـيـ بـالـعـظـمـ الرـمـيمـ - ولاـغـرـوـ فـانـهـ الـخـاقـانـ الـذـيـ يـفـخـرـ  
 بـهـ الـعـصـرـ كـاـ اـفـخـرـتـ الـعـصـورـ الـفـاغـرـةـ بـآـبـائـهـ ، فـانـاـ لـاـ نـزـىـ يـوـمـاـ يـرـ  
 الاـ وـنـشـاهـدـ لـهـ مـنـ جـلـائـلـ الـآـثـارـ وـعـظـائـمـ الـفـعـالـ مـاـ تـضـيقـ الـطـرـوـسـ  
 عـنـ تـسـطـيـرـهـ ، اوـ يـكـفـيـهـ نـفـرـاـ وـمـجـداـ تـلـكـ ﴿الـسـكـةـ الـحـدـيدـيـةـ الـحـمـيدـيـةـ  
 الـمـجـازـيـةـ﴾ الـتـيـ هـيـ غـرـةـ فـيـ جـبـينـ كـلـ مـشـرـوعـ خـيـرـيـ دـيـنـيـ مـادـيـ  
 سـيـاسـيـ ، عـدـاـ مـاـ اـنـشـأـ مـنـ الـمـعـاـمـلـ وـالـمـدارـسـ الـعـلـمـيـةـ وـالـدـيـنـيـةـ  
 وـالـحـرـيـةـ وـالـصـنـاعـيـةـ وـالـحـقـوقـيـةـ - وـطـلـمـاـ يـحـثـ رـجـالـ دـوـلـتـهـ الـعـظـامـ  
 عـلـىـ الـاقـتـداءـ باـعـالـهـ مـنـ حـثـ الـرـعـيـةـ عـلـىـ الـعـلـمـ وـالـقـدـنـ وـالـاخـذـ باـهـدـابـ  
 الـفـضـائـلـ وـالـفـعـالـ الـتـيـ تـعـودـ عـلـيـهـمـ بـالـخـيـرـ الـعـمـيمـ فـيـ الدـارـيـنـ . وـقـدـ  
 شـاهـدـنـاـ باـعـيـنـاـ تـلـكـ السـكـاكـ الـحـدـيدـيـةـ الـبـخـارـيـةـ وـالـكـهـرـبـائـيـةـ الـتـيـ  
 أـنـشـئـتـ فـيـ بـلـادـهـ الـمـحـروـسـةـ ، وـتـلـكـ الـمـدارـسـ الـتـيـ شـيـدـتـ فـيـ اـيـامـ  
 سـلـطـنـتـهـ الـقـوـيـةـ الشـوـكـةـ ، وـلـاـ سـيـماـ فـيـ مـدـيـنـتـنـاـ بـيـرـوـتـ وـمـنـ اـحـدـهـاـ  
 عـهـدـاـ «ـ الـمـدـرـسـةـ الـصـنـاعـيـةـ الـتـجـارـيـةـ الـحـمـيدـيـةـ »ـ الـتـيـ اـنـشـأـهـاـ باـمـرـهـ السـاعـيـ  
 صـاحـبـ الـدـوـلـةـ خـيلـ اـبـراـهـيمـ باـشاـ وـالـيـ وـلـاـيـةـ بـيـرـوـتـ الـجـلـيلـةـ .

يرـىـ القـارـيـءـ فـيـ اـسـلـفـنـاـ انـ مـحـمـداـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـانـ  
 سـبـبـ تـخـلـيـصـ الـاـمـ الـأـوـرـيـةـ مـنـ الـجـهـالـةـ وـالـمـمـجـيـةـ لـاـنـهـ خـلـصـ اـوـلـاـ

شعبه ثم اخذ الشعب بتخليص سائر الامم الى ان تعدد ذلك لاهل اوروبا — فاروبا لولا محمد وكتابه لبقيت غارقة في تيار التمول ، نائمة في وديان الجهل الى ابد الابدين ودهر الادهرين ، والتاريخ اعظم شاهد على ما نقول ، لانها لم تأخذ بسباب التقدم والتمدن الا بعد ان اختلطت بال المسلمين يوم الصليبيين وحروب الاندلس (اسبانيا) وانشأت نقلة عنهم العلم والفلسفة والآداب .

الا يتحقق لنا بعد ذلك ان نقول ان « محمدًا » مدن الامم و«كتابه» منار العالم ، لأن فيه من العلم الوافر والفلسفة المدهشة والاخلاق الكريمة والتهذيب العالي والاحكام السامية والمدنية الحقة ما لا يحيط به الوصف ولا يقدر على التعبير عنه اللسان

وقد ذكرت فيما سلف بعض الآيات التي تكلم فيها القرآن الكريم على المسائل العمرانية والكونية ، وكان يجدر بي الان بعد ان ثبت ان القرآن كتاب كوني تاريخي سياسي اخلاقي نظامي عائلي أن اذكر ايضاً بعض الآيات الدالة على المدعى ولكن خشيت من طول البحث ، وسأذكر طرفاً من ذلك فيما بعد في بعض ابواب هذا الكتاب . ومن رام تلك الآيات مع سائر الموضع فعليه بقراءة القرآن قراءة فهم وتمعن فيجد فيه السؤال ، فإنه مستفيض الموضع الاخلاقية والتهذيبية والادبية والزجرية والاحكمية والسياسية

الى تصلح لكل زمان ومكان وقوم ، حتى ان من نظر الى القصص التي يوردها عن الامم السالفيين في اخبار الانبياء فلا يراه يذكر قصة الا وفي خلالها من الحكم والارشاد ما يأخذ بالعقل ويدعو بشـ

### الاباب

هكذا قام الدين الاسلامي وعلى هذا الاساس المبين الحكم شيد بناؤه وأقيمت صروحه—على توحيد الله «الذين يفتخرون اليوم عقولاً اوروبا بالرجوع اليه بعد ان كانوا ينبطون في ظلمات تعدد الالهة» —على العدل في جميع الامور والمساواة بين الافراد على اختلاف طبقاتهم —على العلم الذي ينفع الانسان في دنياه وينجيه في اخراء ، وطلبـه ولو في الصين وتحصيلـه ولو في الثريا —على مددـ المـعونـة نحو البائسين والفقـراء والضعـفاء الذين قدـ بهـمـ الحـظـ وعاـكـسـتـهمـ الطـبـيعـةـ — على تسهـيلـ سـبلـ الـراـحةـ لـمـنـ كـانـواـ تـحـتـ حـكـمـهـ عـلـىـ اـخـلـافـ لـغـاتـهـ وـادـيـاـنـهـمـ ومـذاـبـهـمـ ، يـحـفـظـ لـكـلـ حـرـيـتـهـ الشـخـصـيـةـ وـدـيـنـهـ لـاـ يـعـارـضـ اـحـدـاـ فـيـماـ يـعـقـدـ كـاـ جـاءـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ : «لـكـمـ دـيـنـكـمـ وـلـيـ دـيـنـ» يـمـعـ الناسـ مـاـ يـضـرـ بـهـمـ اـدـيـاـً وـمـادـيـاـً مـنـ الـقـمارـ وـالـخـمـ وـالـتـبـذـيرـ وـسـلـوكـ طـرـيقـ الشـرـ ، عـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ مـنـ مـكـارـمـ الـاخـلـاقـ وـمـحـاسـنـ الـعـادـاتـ أـيـعـتـرـضـ عـلـىـ الدـيـنـ الـاسـلـامـيـ بـمـثـلـ تـقـرـيرـهـ هـذـهـ الـامـورـ وـحـلـ

الـنـاسـ عـلـىـ الـعـلـمـ بـمـوجـبـهـ حـتـىـ يـكـوـنـواـ سـعـداـءـ فـيـ الدـارـيـنـ ، مـسـرـوـزـيـنـ

## في الحياتين ؟

اظن ان اللورد كرومر لم يعلم من حقيقة الدين الاسلامي شيئاً او علم وتجاهل وصده عن الجهر بالحقيقة المhabاة والتعصب الذميم ، او انه لم يزل يعتقد ما زوّره اولئك الاقوام الذين اضرموا نيران الاحتقاد على المسلمين فكان من جراء ذلك تلك الحروب المشؤومة التي جرت على الشرقيين وخصوصاً المسلمين تلك الولايات التي من جملتها كساد سوق العلم وضعف الدين الصحيح ، اعني بها «الحروب الصليبية» فهو يتصدق بذلك ويسيطره على صفحات الاوراق وينشره بين قومه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قلت ولم أزل اقول : ان جناب اللورد لم يعلم الدين الاسلامي على وجهه بل ظن أنه هو ما رأه من اعمال المسلمين ايام اقام بينهم في مصر ، وإن اختلاطه باسمائهم وعلمائهم لم يفده شيئاً عن الدين الصحيح لأن اجتماعاته كانت قاصرة على المباحث العامة ومصالح البلاد السياسية او بعض امور آخر لا دخل لها في الدين ، ولو انه سأله اساطير العلم الذين يعترف بفضلهم لأبا بنوا له عن حقيقته شيئاً لم يكن في حسبانه ، غير انه اقتصر على ظواهر الامور فحكم بما حكم . ولظننه ان الدين هو ما رأاه من اعمال العامة وبعض العلماء البسطاء وصف ذلك الفيلسوف الشرقي والعالم الكبير بأنه كان غير متدين

اوأن ايمانه كان ضعيفاً ، فاختطاً القصد وضل المنهج ، لأن الایمان راجع الى السر فالاطلاع عليه شيء من الصعوبة بمكان لا يدرك . ولعله يقصد بذلك انه كان غير متدين بما يدرين به اوئلک البسطاء الذين تلقوا الدين على غير وجهه الصحيح ولبسوه كما يلبس الفروع مقلوبأ ، فان كان كذلك فقد اصحاب لان الرجل كان متدينا بالدين الحق وعلى وجهه الحق : رجع به الى السذاجة الاولى ولم يخلطه باطيل الخرافين ولا ترهات المزورين ، لأن الدين الاسلامي كما قدمنا دخله كما دخل سائر الاديان كثير مما ليس منه وروجه اوئلک الجهلاء باسم الدين ، حتى عده كثير من عوام المسلمين بل ومن علمائهم من الدين وناضلوا عنه كما يناضلون عن قواعده الاصلية ، فظن من لا خبرة له من الاجانب ان الدين الاسلامي هو عبارة عما يرونوه من اعمال المسلمين ويسمعونه من افواههم ويقرؤونه في بعض مؤلفاتهم ، ولو علموا الحق لرجعوا عن هذا الحكم الجائز . وقد قال ذلك الفيلسوف العالم الذي وصفه اللورد بضعف الایمان : «الاسلام محظوظ بال المسلمين» ومعنى ذلك ان حقيقة الدين وجوهره صارت لاضحalamها كلا شيء وغلبت عليها اعمال اهل الدين حتى سرتها عن اعين الناظرين فاصبحت محظوظة بتلك الاعمال التي يناهضها الدين وتناقضها قواعده ومبادئه ، فمن رأى

افعال المسلمين التي هي في الحقيقة مخالفة لشريعتهم ظنَّ أنها من الدين فوسمه بما يصمه به اليوم اللورد كرومر من مخالفته للدينية وانه عقبة في سبيل رقي المسلمين، حتى صرَّح بأنه مستخف به كما قال عند كلامه على السيد محمد بيرم التونسي: «فكنت أنا أحادثه أنسى كل ميل إلى الاستخفاف بالدين الإسلامي»

انَّا لَنَا ان يرفع جناب اللورد حجاب التعصب عن قلبه فيرى أنَّ الدين الإسلامي غير ما يزعم وان الاسلام محظوظ بال المسلمين :

لَا تُظْنِنَ الدِّينَ مَا قَدْ هُوَ لَوْا  
لِيْسْ دِيْنَ اللهِ تَلْكَ الْبَدْعَا<sup>(١)</sup>  
إِنَّمَا الدِّينُ ضِيَاءُ الْمَعَا<sup>(٢)</sup>  
فَأَنَّارَ الْكَوْنَ لِمَا سَطَعَ<sup>(٣)</sup>  
قَبَسَتْ مِنْهُ الْبَرَايَا شَعْلَةً<sup>(٤)</sup>  
صَدَعَتْ قَلْبَ الدَّجَى فَانْصَدَعَ<sup>(٥)</sup>  
إِنْ زَاهَى اللَّيْلُ فِي عَذَوَائِهِ<sup>(٦)</sup>  
أَجْفَلَ اللَّيْلُ وَوَلَى فَزِعًا<sup>(٧)</sup>

\*\*\*

لَا تُظْنِنَ الدِّينَ افْعَالَ الْأُولَى  
تَخْذُوهُ لِلْبَرَايَا خِدَعًا<sup>(٨)</sup>  
لِبَسُوهُ كِفَرَاءَ قُلْبَتْ<sup>(٩)</sup>  
وَلَوْادُونَ الصَّحِيفَ الْأَخْدَعَ<sup>(١٠)</sup>  
ضَلَّ<sup>(١١)</sup> مَنْ يَجْعَلُهُ مَصِيدَةَ<sup>(١٢)</sup>  
لُحْطَامَ او يَرَاهُ سِلْعَا<sup>(١٣)</sup>

(١) الآيات للمؤلف من قصيدة من القصائد «الشرقيات»

## الاسلام دين وشريعة معاً

عني بذلك انه دين ينقرب به الى الله تعالى ، وشريعة اي معاملات واحكام تصلح للتعامل بها في كل زمان ومكان ، فاللورد لم يستطع انكار الشق الاول البة ولكن كلامه مضطرب فيه كما سيأتي . قال :

«اما من جهة نظر المأدب فلا سبيل الى انتقاد مباديء الاسلام الاساسية ولكن الانتقاد يوجه فقط الى السيئات التي نشأت فاصبحت الان تستر سذاجته الاولى »

ولكنه انحى عليه من حيث هو شريعة ومعاملات وحكم بعد مرؤته وانه لا يصلح الا للزمان الذي وجد فيه وانه لا يفيض الا الطبقات المنحطة من البشر الخ . ومن وزن كلام اللورد بقصطاس العدل يعلم انه فاسد لا يعتد به كما لا يعتد في سائر مباحث كتابه . لأنَّ من نظر الى القرآن نظر المنصف يجد أنَّ ما جاء به من الاحكام والمعاملات لا غبار عليه بل هو صالح للعمل به في كل زمان ومحيط كما شهد له بذلك الاغيار من علماء اوروبا وغيرهم كما سورد عليك طرفاً من ذلك في باب مخصوص نعقد له هذه الغاية وقد جاء في كتاب «الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية»

تأليف على بك أبي الفتاح أحد علماء القوانين العالمين بها في محكمة الاستئناف بباريس قوله في أول الكتاب :

« يظن كثيرون من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المباديء المقررة في الشريعة الغراء لا تتوافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الإنسان من التمدن والترقى درجة رفيعة ، ويتوهمون أن الأحكام والروابط الموجودة في القوانين الحديثة الوضعية لا مقابل لها في الأصول الإسلامية ، وإنما هي بثابة الاختراعات المادية الجديدة التي اتجهها فكر علماء الغرب لم يسبقهم إليها أحد ، ولكن الباحث في الفقه الإسلامي ولو قليلاً لا يلتبث أن يغير هذا الضل ويتحقق أن أسلافنا وصلوا في الرفاهية وتقدير المبادي العمرانية والاجتماعية والقضائية شاؤوا قليلاً يتجاوزهم فيه أحد ، إلا أن صعوبة كتب المؤخرین وكيفية تأليفها وما هي عليه من التعقيد قد أوصى الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء غير المنقطعين لدراستها ، ولذلك فإني أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التأليف القدية لأنها أسهل مورداً وأغزر مادة مع خلوّها من التعقيد وبعدها من المشاغبات اللفظية ولি�ترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب للوقت »<sup>(١)</sup>

(١) أقول : كنت قد كتبت في هذا الموضوع : موضوع كتاب التعليم -

اذكر هذا على اثر مطالعتي لكتاب الخراج للامام ابي يوسف المتأوف سنة ١٨٢ هجرية وقد االف هذا السفر الجليل برسم امير المؤمنين هرون الرشيد ، وفيه من النصائح والاحكام ما يجدر بامراء المسلمين اتباعه والعمل به ( لعله يعرض بالحكومة المصرية وعدولها عن العمل بالشريعة الى القوانين الوضعية مع ان اكثراها موافق للشريعة بل مسلوخ عنها )

غرت في هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة لا ادخل بنظمها في هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصاً المشتغلين منهم بالقوانين الافرنجية أن المنقدم لم يترك شيئاً للتأخر ، ولعلمهم ينكرون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لانها لا ينافي العصر الحاضر ولا المدينة الحديثة اذا فها حق الفهم ودرساً بعقل وتمييز »

— الدبى والآلى : أيام كنت في مصر منتظماً في سلاك طلبة الازهر سنة ١٣٢١ للهجرة و ١٩٠٣ لليلاد : اربع مقالات مطولة انتقدت فيها طرق التعليم في الازهر والكتب التي تدرس فيه وابتدا باجلي بيان عقمهها وسوء مفبتها واثرها في نفس المتعلم ، وافتتحت على اولياء الامور في ذلك المعهد الاسلامي ان يرجعوا الى كتب المتقدمين فان ما فيها من العلم وسهوه المأذن خيراً من كتب المتأخرین — وهذا هو عين ما يطلبه جناب البیک الموی اليه — فانتقد على اذ ذلك قوم بما لا يخرج عن حد المکابرة ، وعندئـ آخرون . ومن اراد تلك المقالات فليرجع اليها في العدد الصادر في ١٠ جادی الاولى من السنة المقـدة فصادـا . وربما نـ لها للطبع ان شاء الله تعالـ .

الى آخر ما قال

وقد ردَّ المؤلِّف في رسالته على أهل القوانين الذين يظنون أن هذه المسائل من اوضاع علماء اوروبا المتأخرین وأبان انها مسلوحة عن القوانین الاسلامیة والاحکام الشرعیة سلخاً .

وقالت بعض المجالس في نظر يسط الرسالة التي نقلنا عنها مانقدم :  
 « هذه مجلة الاحکام العدلية التي الفتھا لجنة من علماء المسلمين هي احسن من القانون المدني الفرنسي ، وقد امر ( الخليفة ایده الله ) بالعمل بها عند ما اسس نظام العدليه وابطل الامتیازات الاجنبية ، فلماذا لم تتبَعه الحكومة الخديوية بل اختارت على احکام الشرعية الاسلامية قانون الحكومة الفرنسية » اه

فسقط بما قدمناه وهم جناب اللورد في الاسلام من حيث هو شرعيه ومعاملات ولم يبق له شيء يستند عليه في الاعتراض الا بعض ما كتبه الفقهاء المتأخرین وذلك مما نوافقة عليه وليس من موضوع اللورد لانه ي تعرض على نفس القرآن وقواعد الدين الاساسية .  
 قال جناب الدكتور شibli افendi شمیل المیسیحی الكاتب الاجتماعي :  
 « ان في القرآن اصولاً اجتماعية عامة وفيها من المرونة ما يجعلها صالحة للأخذ بها في كل زمان ومكان حتى في امر النساء فانه كلفهنَّ  
 بان يكنَّ محجوبات عن الريب والفواحش وأوجب على الرجل ان

يتزوج واحدة عند عدم امكان العدل ، وان القرآن فتح امام البشر ابواب العمل للدنيا والآخرة ولترقية الروح والجسد بعد ان أوصد غيره من الاديان تلك الابواب ، فقصر وظيفة البشرية على الزهد والتخلی عن هذا العالم الفاني » ١٩

لو ان جناب اللورد انثقد تلك الزیادات التي شوّه بها وجه الدين او لئک البسطاء لاصاب المرى وكان يضرب على الوتر الذي يضرب عليه محبوا الاصلاح الديني من المسلمين والرجوع بالدين الى بساطته الاولى ، ولكنه تطوح وجماوز ذلك الحمى ، فكان رأيه بالاسلام من حيث هو دین وأدب على طرفي نقیض . ولكنه انحى عليه انحاء شدیداً وقبحه نقیحاً عنیفاً من حيث هو شریعة اي معاملات وسياسة ، وقال انه لا يصلح الا لذلک الزمن والمحیط الالذين وجد فيها . خاد عن جادة الصواب وعدل عن المنجز القصد عدواً تماماً في هذا الحكم الجائر الذي ليس له نصیب مامن الحقيقة ، ولو انه قال في هذا الموضوع كما قال في ذاك من وجوب تحریره ونقیحه والرجوع به الى السذاجة الاولى اي العمل بمقتضی القرآن الكريم لاصاب كبد الحقيقة وأنصف في مقاله وجرى مع المصلحين من العلماء في مجری واحد ، لأنهم يبذلون جهدهم ويسعون طاقتهم لارجاع المسلمين الى طریقة القرآن لأن ما فيه من الاحکام

والشرع صالح لكل زمان ومكان . ومن لم يقنع بذلك فليأتنا بحكم من القرآن يخالف مدنية هذا العصر القوية التي تنطبق على العقول السليمة التي لا تميل مع الاهواء ولم تُشبّهها شائبة التعصب ، بل فليأتنا بحكم من الاحكام التي دونها الفقهاء المتقدمون كابي حنيفة وابي يوسف والشافعي ومالك وغيرهم من اساطين الامة ، لا ارى احدا يستطيع ذلك ولو بقي دهره يقلب الصفحات ويدرس الكتب ، فليترك المتعصبون تشدقهم واوهامهم وتغريتهم انفسهم وقومهم . — هذا الامام مالك رضي الله عنه يعد المصالح المرسلة<sup>(١)</sup> اي المطلقة اصلاً من اصول ادلة الشرع يعني ان المصلحة تراعى ولو خالفت النص ، لأن حكم الله انتا شرع لنفعة العباد ، و يعد سداً للذرائع

(١) جاء في الحواشى التي كتبها على رسالة «المصالح المرسلة» للطوفى صديقنا الشيج جمال الدين القاسمي الدمشقى ما نصه : والمراد بالصلحة المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق ، وقد اشتهر القول بها عن مالك احتجاجاً بان الله تعالى انبأ بعث الرسل عليهم السلام لتحصيل منفعة العباد عملاً بالاستقراء فهما وجدت مصلحة غالب على القلن انها مطلوبة للشرع . واشتهر عن الجمهور القول بغيرها مطلقاً . وقال ابن برهان : ان لائئن اصلاً كلياً او جزئياً من اصول الشرع جاز الحكم عليها والا فلا . وقال الفزالي : ان المصلحة المرسلة في جميع قطعية كلية اعتبرت والا فلا . قال القرافي : ان المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق ، لأنهم يقيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهداً بالاعناب ولا يعني بالصلحة المرسلة سوى ذلك

اصلاً كذلك<sup>(١)</sup>

قال الطوفي في رسالة «المصالح المرسلة» :

«ثم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» يقتضي رعاية المصالح اثباتاً ونفياً والمفاسد نفياً ، اذا الضرر هو المفسدة فإذا نفاهما الشرع لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة لانها نقىضان لا واسطة بينها» الى ان يقول :

«ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام : «لا ضرر ولا ضرار» وان خالفاها (يعني النص والاجماع) وجب تقديم رعاية المصلحة عليها بطريق التخصيص<sup>(٢)</sup> والبيان لها لا بطريق الافتئات

(١) الدرائع : جمع ذريعة وهي الوسيلة للشيء . قال في الحواشى السالفة الذكر : ومعنى ذلك حسم مادة وسائل الفساد دفعاً له فنى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة الى المفسدة منعنا من ذلك الفعل . واشير ان القول بسد الدرائع من خصائص مذهب مالك رحمه الله . وقد حقق القرافي انه مشترك بين المذاهب كالمصلحة المرسلة والعرف

(٢) جاء في الحواشى السابقة الذكر ماخلاصته : يقرب من هذا ما قاله الفقهاء الخنفية ، عليهم الرحمة في التعامل وانه يختص به الاثر ، والتعامل من باب المصلحة المذكورة قال في النخبة البرهانية والتعامل حجة يترك به القياس ويختص به الاثر ، وتخصيص النص بالتعامل جائز . وقد ذهب البخاري عليه الرحمة مع كونه من اعظم انصار الاثر الى اعتبار العرف في ترجمة ذلك الباب الذي قل «من ينفعن له ومن دفع في تلك الترجمة رأى انها توّيد ما اشار له الطوفي هنا .

عليها والتعطيل لها كما تقدّم السنة على القرآن بطريق البيان، ونقرير ذلك : ان النص والاجماع إما ان لا يقتضيا ضرراً ولا مفسدة بالكلية او يقتضيا ذلك ، فان لم يقتضيا شيئاً من ذلك فهما موقفان لرعاية المصلحة ، وإن اقتضيا ضرراً فاما أن يكون مجموع مدلوها ضرراً ، ولا بد ان يكون من قبيل مأسسته من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» جمعاً بين الادلة الخ

اقول : يعني بذلك انه إن وجدت مصلحة للامة تخالف النص او الاجماع فتراعي المصلحة ، ومراعاتها لا العدم رعايتها بالكلية ، بل لانا نقول : ان النص والاجماع بمنزلة العام ورعاية المصلحة الثابتة بالدليل بعض مخصوصات هذا العام فالعمل بها لا ينافي العمل بالنص والاجماع ، لأن حديث : لا ضرر ولا ضرار : هو بمنزلة أن يقال بعد كل حكم نص عليه : الا ان اقتضت المصلحة خلافه ثم قال الامام الطوسي في تعريف المصلحة عرفاً وشرعأً : « واما حدها بحسب العرف فهو السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالتجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع هي السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبارة او عادة .

ثم هي تنقسم الى ما يقصده الشارع لفظه كالعبادات ، والى ما لا يقصده الشارع لفظه كالعادات

ثم ذكر اهتمام الشرع الشريف برعاية المصالح فقال :

«واما بيان اهتمام الشرع بها فمن جهة الاجمال والتفصيل :

اما الاجمال قوله عز وجل : «يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للؤمنين .

قل بفضل الله وبرحمته بذلك فلما يفرحوا ، هو خير ما يجمعون »

ودلالتها (يعني هاتين الآيتين ) من وجوه :

احدها قوله عز وجل «قد جاءكم موعظة » حيث انه توعدهم وفيه اكبر صالحهم ، اذ في الوعظ كف لهم عن الاذى وارشادهم الى المدى

الوجه الثاني : وصف القرآن انه «شفاء لما في الصدور» يعني من شك ونحوه وهو مصلحة عظيمة

الوجه الثالث : وصفه بالهدى

الوجه الرابع : وصفه بالرحمة ، وفي المدى والرحمة غاية المصلحة

الوجه الخامس : اسناد ذلك الى فعل الله عز وجل ورحمته ،

ولا يصدر عنهما الا مصلحة عظيمة

الوجه السادس : الفرح بذلك لقوله عز وجل : «بذلك فلما يفرحوا» وهو في معنى التهنئة لهم بذلك ، والفرح والتهنئة اما يكونان مصلحة عظيمة

الوجه السابع : قوله عزّ وجل : « هو خير ما يجمعون » والذي يجمعون هو من مصالحهم ، فالقرآن ونفعه اصلاح من مصالحهم والاصلاح من المصلحة غاية المصلحة .

فهذه سبعة اوجه من هذه الآية ( الصواب من هاتين الآيتين ) تدل على ان الشارع راعي مصلحة المكلفين واهتم بها ولو استقرأت النصوص لوجدت على ذلك ادلة كثيرة » اه

ثم ذكر الطوفي في الرسالة نفسها بيان اهتمام الشارع برعاية المصالح العامة على سبيل التفصيل ومن ارادها فليرجع الى رسالته ، غير اننا نذكر منها مبحثاً واحداً ، قال :

« المبحث الرابع في ادلة رعاية المصلحة على التفصيل وهي من الكتاب والسنة والاجماع والنظر ، ولنذكر من كل منها يسيراً على جهة ضرب المثال اذا استقصاء ذلك بعيد المنال :

اما الكتاب فنحو قوله تعالى : « ولكم في القصاص حياة . والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما . الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحد منها مائة جلدة » وهو كثير . ورعايا مصلحة الناس في نفوسهم واموالهم واعراضهم مما ذكرنا ظاهر . وبالجملة فما من آية من كتاب الله عزّ وجل الا وهي تشتمل على مصلحة او مصالح »

الغ مقال

اقول : اراني قد اطلت في هذه المسألة المهمة وهي مسألة رعاية المصالح العامة ، ولكن المقام اقتضى ذلك لاظهر لجناب اللورد ومن على شاكلته ان الدين الاسلامي سهل مرين لا كما يصفه به من عدم المرونة والصلاح لكل وقت ومكان . فانت ترى ان من قواعد الشريعة المطهرة تحكيم العادة ورعاية المصلحة وان خالفت النص والاجماع ، وهي في الحقيقة لم تخالفه كما قدمنا بل ان لرعاية المصلحة ادلة صحيحة في الكتاب والسنة فتى وجد نص يخالف ظاهره المصلحة نعدل عن عمومه الى رعايتها لأن دليلا مخصوص لعموم النص . اذن لا يوجد نص في الشريعة يخالف المصلحة العامة فهو من صالح للتعامل لا كما يزعم جناب اللورد

ذلك هو الذي يفهم من كتاب الله وسنة رسوله وكلام الصحابة وائمه الفقهاء المنقدمين بل وكثير من اكابر المتأخرین غير ان جهل بعض الفقهاء المتأخرین هو الذي جراء امثال كرومر على الطعن به ووصفه بما لا ينطبق عليه بوجه من الوجوه .

ومما زاد المسلمين بلا على بلائهم أن هؤلاء المتأخرین أوصدوا الباب دون من يروم ان يأخذ دينه من كتاب الله وسنة رسوله بحججه ان الفقهاء قبله قد استخرجوا تلك الاحكام ولم يبق عليه إلا ان يأخذ بها ويتمسك باهدابها ويعتصم بعراها ، ثم ادعت هذه

الطائفة انه لا يمكن ان ينبع احد من العلماء لدرجة أنه يمكنه الاستنباط من الكتاب والسنّة، ولم يعلم هو ولا القوم ان فضل الله يوصي به من يشاء في كل زمان ومكان ، وان الاحكام تختلف باختلاف الازمان وان حكم الله يدور مع المصالح العامة ، واما حكم الفقهاء الذي استندوا فيه على القياس او الاجتهاد البحث لا يناسب الا الزمان الذي كانوا فيه . وقد نسي اولئك المانعون ان العلماء المتقدمين اوجبوا ان يوجد في كل عصر مجتهدون يشرحون للناس ما يناسبهم من احكام الدين والدنيا ، وحرموا ان يأخذ احد باقولهم اذ لم تكن مستندةً الى الدليل ، فما بال الفقهاء المتأخرین عدلوا عن الكتاب والسنّة بل وعن أقوالَ مَن يدعون انهم مقلدون لهم — كان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذا سُئل عن شيء يقول: هل وقع؟ فان كان واقعاً ففي السائل وان لم يكن وقع يقل له: دعوا حتى نقع . واما يقول له ذلك لان الاحكام تختلف باختلاف الزمان بل والمكان ، فان افتاه رضي الله عنه بمسئلة لم تحدث فربما حدثت بعد ذلك فيقتني قوم بما حكم به عمر رضي الله عنه وربما ان فتواه لا تناسب الزمان او المكان الذي حدث فيه مع انه افتى بها لزمانه ومحيطةه — وقد ثبت انه (رضه) افتى في مسألة بحکم ثم تكررت فتبدىء نظره فيها فحكم بخلافه وقال : تلك على ما قضينا

وهذه على ما نقضي - هكذا كان هدي السلف الصالحة وهكذا  
كان مبلغ عقولهم وعلمهم وفهمهم - ألم تر أن أئمة العلماء المجتهدين كابي  
حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل كانوا ينهون أن يقلد هم أحد  
الا بعد أن يعرف دليلهم وماخذهم ، ومتي عرف ذلك خرج عن كونه  
مقلداً لأن المقلد هو من يأخذ الحكم ولم يعرف دليلاً

وقد اجمع أهل الاصول على ذلك واطبقوه في كتبهم . ونحن  
نذكر لك طرفاً من ذلك من قول سيدي محي الدين بن عربي الشهير في  
رسالة له في اصول الفقه وانا اخترناها دون غيرها من كتب الاصول  
لانها غير مشتهرة كاشتهر تلك الكتب . - قال رحمة الله تعالى :  
« لا يؤخذ من الحديث الا ما صحي » ثم قال بعد كلام : « واما  
اذا صحي الحديث وعارضه قول صاحب او امام فلا سبيل الى العدول  
عن الحديث ، ويترك قول ذلك الامام او الصاحب للخبر » ثم قال :  
« ولا يجوز ترك آية او خبر صحيح لقول صاحب او امام ، ومن  
يفعل ذلك فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً وخرج عن دين الله » - ثم قال :  
« وما اوجب الله علينا الاخذ بقول احدٍ غير رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، مع كوننا مأمورين بتعظيمهم ومحبتهم » - ثم قال في  
موضوع آخر منها :

« لا يجوز ان يدان الله بالرأي وهو القول بغير حجة ولا برهان

لَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا سَنَةٍ وَلَا اجْمَاعٍ » — ثُمَّ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ :  
 « التَّقْلِيدُ فِي دِينِ اللَّهِ لَا يَحُوزُ عَنْدَنَا لَا تَقْلِيدُ حَيٍّ<sup>(١)</sup> وَلَا مِيتٍ  
 وَيَتَعَيَّنُ عَلَى السَّائِلِ إِذَا سَأَلَ الْعَالَمَ أَنْ يَقُولَ لَهُ : أَرِيدُ حُكْمَ اللَّهِ أَوْ  
 حُكْمَ رَسُولِهِ فِي هَذِهِ الْمَسَأَلَةِ فَإِنْ قَالَ الْمَسْؤُلُ هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي  
 هَذِهِ الْمَسَأَلَةِ أَوْ حُكْمُ رَسُولِهِ تَعِينُ عَلَيْهِ الْأَخْذَ بِهِ » انْتَخَ ما قَالَ :  
 أَقُولُ : هَذَا السَّبَبُ — وَهُوَ حَجْرُ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَوُجُوبِ  
 التَّقْلِيدِ وَالْعَمَلِ بِقَوَاعِدِ الْفُقَهَاءِ — مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي أَوْدَتْ  
 بِيَقِيَّةِ الرُّوحِ الَّتِي كَانَتْ مُخْتَلِجَةً فِي جَسْمِ الْاسْلَامِ وَمِنْ فَرْفَةِ فَوْقِ  
 عَقُولِ الْمُسْلِمِينَ — وَيَا لَيْتَ الْأَمْرَ اَنْتَهَى إِلَى هَذَا الْخَدْ فَقْطَ ، بَلْ  
 بَلَغَ الْجَهْلَ وَالتَّعَصُّبَ بِعِصْبَةِ بَعْضِ مَنْ يَنْتَسِبُ لِلْعِلْمِ إِلَى حَدٍّ حَرَمُوا مَعَهُ  
 الْاِشْتِغَالُ بِغَيْرِ عِلْمِ الدِّينِ — أَقُولُ عِلْمَ الدِّينِ مَجَارَاهُ لَهُمْ لَا نَهْمَ  
 يَقْصِدُونَ بِهَا أَقْوَالَ مَتَّخِذِي الْفُقَهَاءِ وَفِيهَا مِنَ الْآرَاءِ مَا لَا يَسْتَدِلُّ  
 كِتَابٌ وَلَا سَنَةٌ بَلْ كَثِيرٌ مِنْهَا مُخَالَفٌ لَهَا ، وَلَوْا نَهْمَ ارَادُوا بِعِلْمِ  
 الدِّينِ الْقُرآنَ وَالْحَدِيثَ الصَّحِيحَ لَكَانَ قَوْلَهُمْ حَقِيقَةً لَا يَمْتَرِي فِيهِ اثْنَانٌ

(١) هَذَا مَذَهْبٌ طَائِفَةٌ مِنَ الْعَالَمِ وَعَلَيْهِ الشَّيْخُ رَحْمَهُ اللَّهُ كَمَا هُوَ نَصْ كَلَامُه  
 وَقَالَ غَيْرُمٌ : يَحُوزُ تَقْلِيدُ الْحَيِّ دُونَ الْمِيتِ ، وَهَذَا رَأْيُ الْجَمَهُورِ . وَاجْزَ  
 بِعْضِهِمْ تَقْلِيدُ الْمِيتِ وَالْحَيِّ وَهُوَ قَوْلٌ فِي غَيْاَةِ الْفَصْفَ . وَقَدْ اخْتَدَهُ حَجَّةُ فُقَهَاءِ  
 الْيَوْمِ تَوْفِيرًا لِعَنَاءِ الْجِهَتِ وَالْزِيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ

لان علوم الدين الحقيقة هي كل ما يعين على فهم الكتاب والسنة  
 فيدخل في ذلك علوم اللسان والأخلاق والسياسات بفروعها والطب  
 والطبيعيات والجغرافيا والفلك وجميع ما يسمونه اليوم بالعلوم  
 الكونية او العصرية ، بجميعها من علوم الدين لان آيات القرآن  
 والسنة اشارت الى كثير منها او صرحت به كما قدمنا ذلك بعض  
 تفصيل ، وليس الدين قاصرا على ما يزعمون من العبادات والمعاملات  
 — اقول عبادات بمحاراة لهم والا فليس من العبادة في شيء لانهم  
 تمسكوا بقشورها وتركتوا لبابها وهو المقصود منها ، فقد ظنوا انها  
 عبارة عن تلك الاعمال البدنية التي هي اشبه شيء بالرياضية ، ولم  
 يعلموا ان لكل حركة منها اشارة خاصة الى معنى اسمى وامر اعلى ،  
 فالوضوء والغسل مثلاً يراد بها امر اهم من نظافة الاعضاء وهو  
 تطهيرها من اجتراح السيئات وكسب الاعمال المنكرات ، وتنظيف  
 القلب من الاخلاق الفاسدة والصفات الممقوته ، الى غير ذلك من  
 المقاصد العالية ، والمعاني السامية ، وقس على ذلك الصلاة والصيام والحج  
 وليس هذا موضع تبيانها ، ومن شاء حقيقتها فليرجع الى كتاب الاحياء  
 لللام الفرزالي عليه الرحمة .

ظن هو لا الا قوم ان علوم الدين هي ما يزعمون ولو كان الامر  
 كذلك لاستوى العالم والجاهل ، والورع والمتساهل — فالخلاصة

ان علوم الدين هي كل ما يعين على فهم القرآن والآحاديث الثابتة، وهي ليست قاصرة على الفقه وعلوم اللسان ، بل تعم كل علم اشار بعض جزئياته الكتاب الشريف ، والحديث المنيف

اتى اللورد كرومر في كتابه بعض المسائل التي انحني بها على الدين من حيث هو شريعة ومعاملات . وبعضها موجود فيه وبعضها غير موجود وبعضها كان الخطأ في فهمه سبباً للانتقاد والذنب فيه ليس على اللورد بل على من تلقف هذا الحكم عنهم – وستناقش جانب اللورد في كل ذلك حتى تنقشع سحابات الوهم عن فكره ، وينكشف لثام الحقيقة فتبعد عن الطلعه وضاحه الجبين ، فيظهر اللورد كرومر ومن على شاكلته انهم كانوا مخطئين في حكمهم على الدين الاسلامي ذلك الحكم الجائر – واما ما اخذ به على المسلمين انفسهم فانتا نوافق على اكتره والذنب فيه عليهم لأن دينهم يأمرهم بخلاف ما هم فيه الآن من الكسل وعدم السعي الى العلم السعي المشكور الى غير ذلك – قال المؤرخ الشهير والباحث المنصف جرجي افendi زيدان صاحب مجلة الملال الشهيرة ما نصه : « ان مظاهر المسلمين هي التي تحمل النقد ، وهي التي يحسن ان يواخذوا بجرائرها . اما القرآن نفسه فليس فيه ما يؤخذ عليه ولا يوجد بين آياته ثناقض حقيقي » اه

## بعض شهادات الاغيارات في الاسلام

وانه منبع التمدن الصحيح

لست اقصد من ايراد شهادة الاغيارات في الدين الاسلامي الاستدلال على انه دين التمدن والعلم حقاً لأن ذلك معروف مشهور لا ينكره الا مكابر ، واما اقصد بذلك ان عقلاً ، الامم الاوروبية الذين رفعوا عن قلوبهم ستائر التعصب عرفوا ان القرآن هو منبع المدنية وان الاسلام روح ارقى في كل زمان ومكان . ولو اردت ان اورد جميع شهادات الاجانب لضاف المقام خصوصاً وان جمعاً منهم قصرروا انفسهم للدفاع عن الاسلام وألغوا في ذلك المؤلفات الضخمة المنتشرة بانحاء اروبا ، فلذاً كتفي بعض شهادات من اشهر علمائهم وفلاسفتهم وقسيسיהם :

قال اسحق طيلر رئيس الكنيسة الانكليزية ببلاد الانكلزيز من خطاب فاه به في مؤتمر الكنيسة :

«الاسلام ينشر لواء المدينة التي تعلم الانسان مالم يعلم ، والتي تقول بالاحتشام في الملبس ، وتأمر بالنظافة والاستقامة وعززة النفس ، فنافع الدين الاسلامي لا ريب فيها ، وفوائدها من اعظم اركان المدينة ومبانيها »

وقال كارليل :

« ان القرآن كتاب لا ريب فيه ، وان الاحسات الصادقة الشريفة والنوايا الكريمة تظهر لي فضل القرآن - الفضل الذي هو اول وآخر فضل وجد في كتاب نتجت عنه جميع الفضائل على اختلافها - لا بل هو الكتاب الذي يقال عنه في الخاتمة : وبه فليتنافس المنافسون ، لكثرة ما فيه من الفضائل المتعددة . »

وقال واشنطن ايرفنج :

« القرآن فيه قوانين زكية سنية »

وقال جيبون :

« القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الاطلanticي الى نهر الجانجس بأنه الدستور الاساسي ليس لاصول الدين فقط بل للحكام الجنائية والمدنية ، وللشرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الانساني وترتيب شؤونه »

وقال ايضاً :

« ان الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعاً في احكامها من اعظم ملك الى اقل صعلوك ، فهي شريعة حيكت باحکم واعلم منوال شرعي لا يوجد مثله قط في العالمين »

وقال دروي :

« بينما اهل اوروبا تاهون في ظلام الجهاله لا يرون الضوء  
 الا من سُمِّ الحياط اذ سطع نور قوي من جانب الامة الاسلامية  
 من علوم وادب وفلسفة وصناعات واعمال يد وغير ذلك ، حيث  
 كانت مدينة بغداد والبصرة وسمقند ودمشق والقيروان ومصر  
 وفارس وغرناطة وقرطبة من اكز عظيمة لدائرة المعارف . ومنها  
 انتشرت في الامم واغتنم منها اهل اوروبا في القرون الوسطى  
 مكتشفات وصناعات وفنوناً عظيمة ..... »

وقال سيديو :

« وبعد ظهور النبي ( محمد صلی اللہ علیہ وسلم ) الذي جمع  
 قبائل العرب امة واحدة تقصد مقصداً واحداً ظهرت للعيان امة  
 كبيرة مدَّت جناح ملکها من نهر ( تاج ) باسبانيا « الاندلس » الى  
 نهر ( الفانج ) في الهند « اي من نهاية المشرق الى اول المغرب »  
 ورفعت اعلام التمدن في اقطار الارض ايام كانت اوروبا مظلمة  
 بجهالات اهلها »

وقال غوستاف لوبيون :

« ان العرب هم سبب انتشار المدنية ببلاد اوروبا »  
 يرید بالعرب المسلمين وإنما اتى بلفظ العرب لأنهم لم يصلوا

لذلك الا بعد ان اعتصموا بعروة الاسلام وتمسکوا بقواعد القرآن  
وقال «داود اركوهارت» :

«ان الاسلام دين لا يأمر باتباع عقائد جديدة ، ولا يقول  
بأنزال وحي جديد ، وسنن جديدة ، وليس فيه كهنوته ، او معابد  
سياسية ، بل فيه دستور الامم ونظام الملك »

وقد عربت جريدة اللواء المصرية الجملة الآتية عن كتاب  
عنوانه «ثلاثون عاماً في الاسلام ، ألفه «ميسيو ليون روش»  
السياسي الفرنسي الذي اقام في بلاد المسلمين ثلاثين سنة تعلم في  
اثناءها اللغة العربية وفنونها وقرأ العلوم الاسلامية وعاشر المسلمين في  
الجزائر وتونس والاستانة ومصر والجزائر ولا شك انه قد اختبر  
 بهذه المدة الطويلة احوال المسلمين من سائر الطبقات فهو اذا كتب  
 يكتب عن روية وحكمة ومعرفة لا كما كتب اللورد كروم من  
 الاوهام والكذب والخلط لان روح التعصب كانت ترتفع فوقه  
 عند ما كان يكتب كتابه «مصر الحديثة»

قال الميسيو (ليون روش) المقدم :

«اعتقدت دين الاسلام زمناً طويلاً لا دخل عند الامير عبد  
القادر ديسيسة من قبل فرانسا وقد نجحت في الحيلة فوثق بي الامير  
وثقاً تماماً وانخدفي سكريباً ، فوجدت هذا الدين الذي يعييه الكثيرون

افضل دين عرفته فهو دين انساني طبيعي اقتصادي ادبي ، ولم اذكر شيئاً من قوانيننا الوضعية الا وجدته مشروعاً فيه ، بل اني عدت الى الشريعة التي يسميهما جول سيمون الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الاسلامية اخذًا ، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالاً وكرماً ، بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحملهم الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر والغلو والكذب . فالمسلم بسيط لا يضن باحد سوءاً ، ثم هو لا يستحلّ محراً في طلب الرزق ولذلك كان اقلّ مالاً من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين . ولقد وجدت فيه حلّ المسئلتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرّاً : الاولى في قول القرآن « انا المؤمنون اخوة » فهذا اجمل مبادىء الاشتراكية ، والثانية فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل القراء حق اخذها غصباً ان امتنع الاغنياء عن دفعها طوعاً ( وهذا

(1) اقول ليس الامر كما قال فان الشريعة لم تمنع الفقير ان ينصب الزكاة من الاغنياء ان امتنعوا عن دفعها بل ذلك مفوض الى الحاكم فهو يأخذها غصباً ويدفعها الى اهلها من القراء والمساكين اخلي ، بل له ان يقان لهم عليها ان اقتضت الحال ذلك كما قاتل ابو بكر رضي الله عنه مانعه الزكاة ، واكثر حروب اهل الردة التي كانت في زمانه رضي الله عنه كانت لاجل منع الزكاة وقد مني مانعها مرتدين .

## دواء الفوضوية

ثم ذكر المؤلف عشقة لفتاة جزائرية وعشيقها اياه وكيف قتلت نفسها لما ابأها باصره وانه يرغب ان يرحل بها الى فرنسا عند قضاء مهمته الى ان يقول :

« ذلك من تأثير هذا الدين الکريم ، انه دين المحامد والفضائل ولو انه وجد رجالاً يعلمونه الناس حق التعليم ويفسروننه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم ارق العالمين واسبقهم في كل الميادين . ولكن وجد بينهم وباللاسف شيخ يحرفون كلامه ويمسخون جماله ويدخلون اليه ما ليس منه ، واني تذكرت من استغواه بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والاسكندرية ومكة فكتبوا الى المسلمين في الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنساو بين وبان لا ينزعوا الى ثورة وبان فرنسا خير دولة اخرجت للناس ، وكل ذلك لم يكفي غير بعض الآنية الذهبية

مثل هؤلاء الشيوخ الذين يحسبون هذا الدين ملكاً لهم لا ينبغي لغيرهم شرحه وتفسيره — مثل هؤلاء الشيوخ الذين يقاومون المصلحين ويعدون كل تأويل غير تأويلهم كفراً والحاداً — مثل هؤلاء الشيوخ هم علة تأخر الاسلام والمسلمين . انما قال وعرّب صديقنا الدكتور عبد الرحمن افندي شمبندر الدمشقي

من مجلة الملل والنحل الصادرة في (مارس) اذار سنة ١٩٠٥ ما يأتي  
تحت عنوان «هداية استاذ الاسلام»

«لدينا الان رسالتان بقلم الاستاذ «نشكتابا دهيايا» الرئيس  
الماضي لكلية حيدر اباد ( واستاذ التاريخ في كلية مهراجافي ميسوري)  
والاولى موضوعها «لماذا انتعلت الاسلام» والثانية «محمد  
نبي الاسلام» وقد اصبح اسم المؤلف بعد اسلامه محمد اعزیز الدين ،  
وهو من العلماء الافاضل الذين ساحوا في البلاد زمنا طويلا و درسوا  
الاديان المختلفة ، وفي الرسالة الاولى ذكر اسباب هدايته واتخاذه  
الاسلام دينا لا يبارى في الصحة والسلامة .

كان المؤلف في اول امره شديد الاعجاب بمذهب العقليين  
لكنه لم يلبث ان تحوّل لان هذا المذهب لم يرو له غيلاً فأخذ في  
درس الدين البوذى واعجب بغاير رفعته الاخلاقية لكنه وجده  
اخيراً على عكس طبيعة البشر فله ، وكان ذلك اثناء وجوده في  
البلاد الالمانية حيث التقى خطابين موضوعهما البوذية بلغة تلك البلاد ،  
ومن ثم ذهب الى باريس وبطربورج وبعد ما تعلم الافرنسيه اعجب  
برنان وكان من تأثير ذلك انه اخذ في درس لغات الساميين واديانهم  
وكرس قسماً عظيماً من حياته لدرس المقابلة بين الاديان العظيمة  
يعنى اليهودية والزردشتية والبرهمية من الجهة الواحدة والبوذية

والنصرانية والاسلام من الجهة الاخرى . ووقف في سبيله الى التنصر  
 مسألة الفداء ومسألة الملائكة الابدي وما يضاف اليها في الكاثولوكيتة  
 من اعتقاد المصحمة البابوية والتحول في العشاء الرباني . ثم رجع الى  
 البلاد الهندية على هذه الحال من تبليل الفكر ، وهنالك فراغ نفسه  
 مدة لدرس الرياضة (التصوف) لكنه عاد منها ايضاً غير مقتنع ،  
 ولم يُعطِ البوذية والاسلام حقها من الدرس حتى ذلك الحين  
 فدرس الاولى منها ثم جاء الى الاسلام الذي استطاله اخيراً واثر  
 في نفسه اثراً باقياً ، وكان قد شعر بصحته منذ مدة طویلة ، ولكن  
 الظروف الخارجية منعته من التصريح بذلك حتى الثامن والعشرين  
 من شهر آب (اغسطس) حين صرّح في محفلي بدخوله في الاسلام  
 برسالته « لماذا اتحلت الاسلام »

وبني رضاه بالاسلام على ثلاثة ابواب رئيسة (١) صحة اخبار  
 الاسلام وانه الدين التاريخي الوحيد (٢) موافقته للعقل (٣) انه عملي  
 (لا خيالي) . ويقول في رسالته « ان ميدانه التاريخي قد اثر  
 حتى في اعداء، محمد واباته » واستشهد بكلام للاستاذ (ببورث سميث)  
 ذكر في خطبه وهو « انا في الحقيقة نعرف بعض تف من تاريخ  
 المسيح ولكن انى لانا من يكشف الحجاب عن السنين الثلاثين التي  
 اعدت الطريق الى الثالث ... وفي الاسلام كل شيء على خلاف

ذلك . هنا يقوم التاريخ بدلًاً من الغامض المظلم . . . وهنالاً تصلُّ  
المرء نفسه او غيره من الناس لأنَّ نور النهار يسطع على كلِّ ما يمكن  
ان يصل اليه »

والنقطة الثاني في بحثه جريٌّ الاسلام على قواعد العقل وقد  
ذكر القاعدتين الاساسيتين في الدين — توحيد الله ورسالة النبي  
محمد — وقال : « يجب على كل صحيح عاقل ان يقاد لهذه الحقيقة  
البساطة الجليلة وهو توحيد الله الخالص ( لا كتوحيد اليهود الذين  
جعلوه إلهًا خاصًا بهم ) ولا يوجد في الاسلام تعاليم مثل « ثلاثة في  
واحد ، او ثلاثين مليوناً من الالهة »

ولا يردُّ قاعدة الرسالة النبوية باحث لانه « متى نسيت الحقائق  
الاساسية التي تبني عليها الحياة الاخلاقية الدينية او أبغضت ، ومتى  
اصبح الانسان مفرطاً في حب دنياه طامعاً سيء؛ الاخلاق مادياً  
بحتًا — يظهر في تاريخ الام اناس اخلاقيون احيتهم الروح الخالصة  
في مولدهم ونشأتهم حتى يصبحوا انباء ورسل الله ووظيفتهم تذكير  
الناس ما كانوا انسوه واحياء ما كانوا فقدوه . ويضاف الى ذلك كله  
ان الاسلام على طبق حياة الانسان العلمية . وربما توهم الناس في  
بعض الاحيان ان تعاليم بوذا واليسوع على احسن الكمال لكن هذا  
خطأً وهذه التعاليم اشبه بالكلالات الباردة الواردة في القصص

والروايات وربما كان فيها (جمال شعري) الا انه لا يعد طريقة لحكم الانسان المدنى الصناعي على صحة التعاليم والمبادئ : فمن الواجب علينا ان ننظر الى حالات البشر اولاً ثم نحكم على كمال التعاليم بالنسبة لفائدها . وعلى هذا المبدأ تماماً (يعنى النظر الى حاجات البشر) اباح الاسلام تعدد الزوجات . وسنن الزواج في هذا الدين اقرب للعمل واشد موافقة لحاجات الجماعة البشرية واجلب لترقيها من الجهة الاخلاقية الروحية (يعرض بانتشار الفحش في البلاد الغربية الى حد لا يوصف) ولمبادىء الاسلام الاخر هذا الحظ من الرفعة وشرف المكانة

وذكر في رسالته الثانية « محمد نبي الاسلام » مختصراتٍ من حياة النبي (ص) ونبذًا من التحويل المدهش الذي اجراه في العالم وفي الختام يحيط الكاتب عن اعتراضات المنشدين المتعصبين « اه

هذه بعض شهادات الاغيار في الاسلام وهي قليل من كثیر ولو عمد عامد الى جمع ما قالوه في مدح الاسلام وانه دین اجتماعي سياسي شرعي اخروي اخلي اضافت به الصفحات فان المقالات والمؤلفات في ذلك اکثر من ان تُحصى ، واجل من ان تُستقصى ، وفيما قدمناه من ذلك كفاية لمن اراد الاستبصار والاعتبار ، واما من لم ہزل حاملًا

علم التغضب ومحتجباً تحت برق الرياء او الاوهام فلا يفيده دليل  
ولا تقنعه حجة ولو كانت كالشمس في رابعة النهار

## هل الاسلام ينافق المدنية العصرية؟

قدمنا ان الاسلام يأمر بما فيه سعادة المرأة في الدارين ،  
والسعادة امر لا يجوز تحديده بل لا يمكن تعريفه ، لانه مختلف  
باختلاف الاذواق والمشارب : فمن رجل يعد السعادة في المال ،  
ومن رجل يعدّها في الوحدة والانزواء عن الخلق ، ومن آخر يعدّها  
في اقتناء الجياد المطعمه وركوب العربات المفخمة ، ومن آخر ومن  
آخر . . . ومن آخر يعد السعادة هي سعادة المرأة في نفسه وانها  
نهاية السعادة ، ومن آخر يقول ان السعادة في العلم واكتساب المعرفه .  
ورأي اكثربشان هذا العصر ان السعادة هي في الخمر والقمر واتيان  
الفواحش واتخاذ الاخذان اخ .. . اصلاحهم الله ولا حول ولا  
قوة الا بالله .

هذا وان نظرنا الى المدنية العصرية نجد انها نادٍ حافل بانواع العلوم  
والصناعات والاختراعات الخ

اشرت في سماءه تهادى بجالها غرائب الاشياء<sup>(١)</sup>

(١) الایات من قصيدة للمولف عنوانها : « عصر العلم » ومطلعها : -

وقياس العلوم تيهًا وكانت قد تسبّجت من قبله بالخفاء  
عصر علم يحيى إلينا عروساً مثّلوها معارفاً للرأي  
فالشرعية الإسلامية من هذه الجهة مراجعة لمدينة العصرية  
موافقة تامة ، لأنها تأسّس بعمان الكون وما فيه سعادة الحياة الأولى ،  
قال رسول الله (ص) : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل  
لآخرتك كأنك تموت غداً » — غير أن الإسلام ينافق هذه المدينة  
من وجوه ، كأن سائر الاديان السماوية ناقضها لهذه الأسباب نفسها :  
منها حب الاستئثار بالمنافع وهو ما يسمونه بالاحتكار ، فالاديان  
تمتنع ذلك البته لأنه ضارٌ بصالح العباد ، والخلق كلهم عباد الله كما  
قال الرسول (ص) — ومنها البخل والانتحار <sup>(١)</sup> ، ومنها الحرية في  
اتيان الفواحش كالزنا وشرب الخمر والقمار والربا وغيرها من الجرائم  
الضارة التي تفتت اليوم بجسم العالم الأوروبي ، وقد سرت هذه  
الادواء إلينا لاحتقاراً كنا بهم حتى انه ليخشى علينا أن نفقد شعورنا  
بالواجب الديني الذي فيه صلاح حالنا في هذه الدنيا وفي الآخرة ،

— خل ذكر الربع البلبي "القواء" وطعن الفرسات في الميغاء  
وجالاً أخنى عليها زمان السلم عصر البخار والكهرباء  
(١) لنا في موضوع الانتحار مقال اثبتنا فيه انه من الشرور ، ودفتنا قول  
من قوم انه من المكارم وقد نشرناه في جريدة الاقبال التي تصدر عن بيروت  
في العدد ٢٣٨ من السنة السادسة

فان هذه الامراض ماسرت في امة الا واعدمتها النجدة والغيرة وصحمة  
الجسم والعقل ورمتها في هوة الاخلاق السافلة وغمستها في حماة الشرور  
فالشرقيون المقلدون للغربيين لم يحسنوا التقليد فان اكثرا ناقلاً لهم  
في البذخ والثراء والقمر والهتك (والبالو) وسائل فروع الحرية الجالبة على  
الاخلاق والاموال والاجسام والاعراض امراضاً قاتلة وجرائم  
سامة . ولكنهم وباللاسف لم يقلدوهم في العلوم والمعارف الصحيحة  
التي ترقى بهم في سلم المدينة الحقة ، وترفعهم من دركات الجهلة  
— ولم يحسنوا من المدينة العصرية الا (البوط والكافوري والكميس  
المكوي والكرافات والتوليات والبنطلون الضيق وشرب البيرا  
والشنبانيا والقمار وسهر الليل في المداشر والملاهي ومحاولات الغانيات  
وتخاذل الصواحبات ووو .. الى آخر ما لا يرد استقصاءه لسوء  
وجوه الصفحات ) — ولكنهم عن المدينة النافعة التي هي عبارة عن  
اكتساب العلوم والمعارف والصناعات والاختراعات وكل ما يفيد  
المرء في دنياه غافلون ، وفي فهو مشتغلون ، وبسوى ذلك لا يحفلون :

فالي متى ذهبَ الزمانِ نُضيئُعُ ذهبَ الزمانِ وما مضى لا يرجعُ  
وأَلَذْشُ ذاكَ عنِ الهوى لا يُقْلِعُ وسواءَ أوقاتَ الفراغِ يُضيئُعُ  
وهوُ عنِ الخلقِ الصَّحِيحِ بِعَزْلٍ

فاجلٌ في تلك المواخر 'هجمَ' وإذا أحسُوا بالنصيحة أو دعوا  
الممَّة أو حادثٌ لا يسمعوا وإذا دعا داعي السفاهة 'يرعوا  
لخطيبها كالعارض المتهالِ

حسبوا التمدن والعلى أن يكرعوا في خمرة منها الردى يتضوَّع  
لا يتَّكون كؤوسها او يصرعوا وإذا صحوَ منها فليتك تسمعُ  
احداً ينادي ليتني لم أفعل

نادي القاربهم خصيـب "مرعٌ" فهمُ اليهـ كلـ يومـ "عنـ"  
وإذا دعا نادي العلا يتغزـونـ نـ كـأـنـاـ فـيـهـ اـقـامـ «الـبعـعـ»  
أـوـ آـنـهـ يـدـعـوـهـ لـلـقـتـلـ (١)



(١) الآيات من قصيدة مزدوجة للمؤلف وهي من «الشرقيات» ومطلعها:  
بانش، هذا العصران لم تخفلـ بقالقـي ونصيحيـ لم تعقلـ  
فابشر بداء لاـ بـيارـحـ مـعـضـلـ يـرـدـيـكـ فـيـ وـادـيـ الـموـانـ الـأـلـيلـ  
فتـبـيـتـ رـهـنـ غـضـاضـةـ وـنـذـلـ

## مناقشة كروم وكيله الصاع بالصاع

### مقدمة المناقشة

قبل الدخول مع جناب اللورد في غمار البحث لا بدّ لي ان  
أكاشفه بأمرِين مهمين رأيت روحه وعقله ينمايان طرباً واعجباً بها  
فوق مراحح كتابه :

أحدها : قوله في كلامه عن المرحوم السيد محمد بيرم التونسي :  
«عَالَمَهُ ذَكَرُوهُ الفطري ان النظمات التي تعلّق بها اسلافه  
لا بدّ أن تتلاشى متى قابلتها المبادي السامية المرقومة على رأية  
الإنكليزي »

ونحن نقول لجناب اللورد : اي نظمات تعني كانت اسلافه  
متعلقة بها ؟ — لا اراك تعني الاً احكام القرآن الشريف . واي  
مباديء سامية مرقومة على رأية الانكليزي ت يريد ؟ — لا اراك  
تريد الا الشريعة الانكليزية التي تعمل بوجوها الدولة البريطانية  
في المعاملات — فان كان كذلك ، فأعلم وانك تعلم ان تلك المباديء  
التي تتبه بها عجباً واعجباً هي او جلّها مباديء الاسلام الاساسية التي  
رقى بها المسلمين ايام شباب الدين في معارج الحياة حتى دانت له  
رقاب الامم ، واعجبت به اساطين السياسة من كل ملة ودولة حتى

انه انتشر في مدة ربع قرن انتشاراً هائلاً خارقاً للعادة بسرعة لم يُعهد لها نظير في التاريخ . وهذه النظمات لم تزل بينما مسطورة نقرأها ولكن أكثرنا غافل عن العمل بمقتضاهما لاِ عنها ، بل ان كثيراً منها مسطور فيها نسيه كتب الفقه في قسم المعاملات ، بل انَّ في القرآن وهذه الكتب ما هو ارق من احكام القوانين الاوروبية على اختلاف منازعها ، ولكن الجهل باصول الشريعة الاسلامية ومبادئها القوية دعاك ايها اللورد الى التغول علينا بشيء كان الاولى بك الا تخوض فيه الا بعد ان ثقته علماً . ألم تعلم انَّ كثيراً من تلك النظمات التي تفتخر بها والمبادئ ، التي تناطيل عند ذكرها مترجمة عن القوانين الاسلامية وجلاً احكام هذه القوانين مأخوذ او مستنبط من القرآن الكريم وكلام محمد عليه الصلاة والسلام .

— فايُّ مبادىء على رأية الانكليزى يخشى منها على النظمات الاسلامية —؟ ان كانت تلك النظمات مما وضعه اولئك البسطاء الجانون على الاسلام وان كانوا من اهله فلا كلام في ذلك ، لأن عقلاً المسلمين في كل صفع ثابي ما فيها وئفر منه ، وان كانت ماهو مستند الى قواعد الدين الاساسية فالمبادىء المسطورة على رأية الانكليزى تتشي معها في منهج واحد ، وتجري واياها في مجرى واحد ، لانها في الحقيقة مسلوبة عنها ، اللهم الا ما كان مخالفًا لبعض العوائد

الدينية او الاخلاقية او الشرقية بما يعدهُ قوم حسناً وآخرون سينماً فهو من الامور النسبية التي ترجع الى ما أعتاده اهل كل صنع، وهو لا ضرر فيه ان بقي الشرقي او المسلم متسلكاً به لانه من الامور العرضية ، والاعراض لا تؤثر في حقيقة الجواهر . فلتترك لكل ان يعتقد ما يشاء ويفعل من العوائد ما يريد ، الا ان كانت تلك العوائد محققة الضرر بعد الاختبار الكثير والنظر الصحيح .

الترقى المسيحي : — وهو الامر الثاني من الامرين اللذين اردت ان اكشف بها جناب اللورد — فقد غالب عليه سكره بالادب المسيحي والترقى المسيحي حتى حكم على المسيحيين الذين هم في بلاد المسلمين بعدم الترقى لتأثير العنصر الاسلامي وادابه واخلاقه عليهم فنهم من الرقي في سلم الحضارة والأخذ باهداب المدن . ونحن نقول للورد كرومر : ما هو الترقى المسيحي الذي تغنه ؟ — ان كان ما هو مسطور في كتب الدين المسيحي فقد ظلت في الحكم ، لأن معتقد كتب الديانة عندكم هو الانجيل ، ونحن نرى ان جل ما في الانجيل تاريخ السيد المسيح صوات الله عليه في هذا العالم وبعد انتقاله الى العالم الآخر . وما فيه من سوى ذلك فكله حاث على ترك العالم الفاني وعدم الاتفات اليه بوجه من الوجوه الا ما يسد الرمق ، وهو يونب الاغنياء والامراء اشد التأثير ،

و يوْمَغَ مَنْ يَسْعِي لِلْدُنْيَا أَقْرَعَ التَّوْيِيقَ ، وَخَيْرَ مَا فِيهِ كَمْ يَقُولُ  
الْمُسْكِيْونَ خَطْبَةَ الْجَبَلِ ، بَلْ بِالْعَيْنِ بَعْضُهُمْ قَالَ : إِنَّهَا هِيَ الدِّيَانَةُ الْمُسْكِيَّةُ  
— وَكُلُّهَا أَصْرٌ بِالْتَّمْسِكِ بِالْعَالَمِ الْبَاقِي وَتَرْكُ الدُّنْيَا وَمَنْ يَسْعِي لَهَا  
هَذَا وَإِنَّ الْانْقِطَاعَ عَنِ الدُّنْيَا أَصْلُ مِنْ اصْوَلِ الدِّيَانَةِ الْمُسْكِيَّةِ  
حَتَّى صَرَحَ فِي الْأَنْجِيلِ بِمَا نَصَهُ :

« لَا نَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ ، لَذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ : لَا تَهْتَمُوا  
لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرِبُونَ ، وَلَا جَسَادُكُمْ بِمَا تَبْلِسُونَ . أَلَيْسَ  
الْحَيَاةُ أَفْضَلُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ الْلِّبَاسِ؟ — وَلَكِنَّ اطْلَبُوا  
أَوْلًا مَلْكُوتَ اللَّهِ وَبِرُّهُ ، وَهَذِهِ كُلُّهَا تِزَادُ لَكُمْ . فَلَا تَهْتَمُوا لِلْفَدَاءِ  
لَأَنَّ الْفَدَاءَ يَهْتَمُ بِهَا النَّفْسُ ، يَكْفِيُ الْيَوْمُ شَرُّهُ — الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : أَنَّهُ  
يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيَّ مَلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ . وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا : أَنَّ  
صَرْوَدَ جَلِيلٍ مِنْ ثَقَبِ ابْرَةِ أَيْسَرٍ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيَّ إِلَى مَلْكُوتِ  
الَّهِ — لَا تَقْتُلُوا ذَهَبًاً وَلَا فَضَةً وَلَا نَحَاسًاً فِي مَنَاطِقِكُمْ ، وَلَا مَرْوَدًاً  
لِلظَّرِيقِ وَلَا ثَوْبَيْنِ وَلَا عَصَا الْخَلِيلِ

قال الاستاذ الامام في كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة بعد كلام ما نصه :

« كان ذلك في طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك ،  
والهالك لا يستحق الحياة ، الم تر في الاصحاح الخامس من الاعمال

إلى قصة الرجل الذي باع جميع ما عنده وعند ما جاء إلى بطرس  
اعطاه الثمن وأدَّ خِرْ لنفسه شيئاً أخفاه ، فاطلع بطرس على حقيقة  
الامر ووَبَيَّنَ الرجل وتصرف فيه بسلب حياته من طريق المجزة ،  
ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع على ما اخفي زوجها ولم تَرَهُ فوَجَنَّها  
بطرس واخبرها بموت زوجها فماتت هي أيضاً — فان كان الله يسلب  
الحياة جزاء اخلالس الرجل شيئاً من مال نفسه لم يقدِّمْه هدية  
للرسل ، فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالَفَ خلَفَاءَ الله في الارض  
ونابذهم فيها يعتقدون ؟ » اه

هذا وان من احكام الدين المسيحي ايضاً المواعدة والمسالمة  
المطلقتان لكل من اراد المسيحي بسوء ، فهو يأمره بان يديري الخد  
الايسرلن يلطميه على الامين ، وان لا يُجازي المسيء الا بالخير ، الى  
غير ذلك من الاحكام التي لو تمكَّن بها المسيحيون اليوم وتعلَّقت  
باهدابها الدول النصرانية لكانَتْ أَذْلَّ ام الارض ، ولما قام لهم  
قائمة وعزَّتْ لهم شوكة ، بل كانوا طعنةً لغيرهم ، لأن مقتضاها أن  
من ارادهم بشرٍ يجب عليهم ان يسلموه ولا يقابلوه بمثل اعتدائهم وشره  
 فهو لو غصب منهم مقاطعة وجوب عليهم ان يعطوه مقاطعة أخرى  
جزاءً عدوانه وبغيه . . . وهكذا الى أن يبقوا تحت نير غيرهم وحكم  
كل مسلطٍ معتديٍ عليهم — فما هو اذن ذلك الترقى المسيحي الذي يفتخر

بِهِ كَرُومٌ وَإِنَّ دِينَهُ يَأْمُرُهُ بَعْدَمِ التَّرْقِيِ فِي الدِّينِ وَعَدْمِ الْاسْتِعْدَادِ  
الْأَلَّا بَعْدَ المَوْتِ ؟ — انْ كُنْتُمْ مُتَمَسِّكِينَ بِالآدَابِ الْمُسِيْحِيَّةِ الَّتِي  
تَدَعُونَ إِنَّهَا سَبَبُ رُؤْيَكُمْ وَنِجَاحَكُمْ فَلَمَّا تَسْعَوْنَ لِلَّدِينِ سَعَيْكُمْ  
الْمُعْرُوفُ ، وَتَشْنَوْنَ الْمُحْرُوبَ وَثَبِيْعُونَ الدَّمَاءَ بَعْدَ الْمَاءِ لِلْحُصُولِ عَلَى  
الْمَذَلَّةِ التَّحْكُمِ وَالْفَلْبَةِ ؟ — ارَأَكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا بِالآدَابِ الْمُسِيْحِيَّةِ بِلِبَضْدِهَا  
فَلَسْتُمْ اذْنَ مُسِيْحِيِّينَ ، وَهَذَا التَّرْقِيُ لِيُسَمِّيْحِيًّا — التَّرْقِيُ الْمُسِيْحِيُّ  
الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ الْأَنْجِيلُ هُوَ اخْرُوْيِ بِحْتُ 'بِرَادَ بِهِ تَرْقِيُ النَّفْسِ وَتَهْذِيبُهَا  
فَقْطَ وَاحْتَقَارُ الدِّينِ وَمَا فِيهَا كَمَا قَدَّمْنَا — فَالَّدِينُ الْمُسِيْحِيُّ اذْنَ دِينِ  
اَخْرُوِيًّا لَا غَيْرَ ، وَلِيُسَدِّيْنَا مَدِينَةً لَانَّهُ يَخْتَرُ الْمَدِينَةَ وَاهْلَهَا .

التَّرْقِيُ الْإِسْلَامِيُّ :— عَلَى اَنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ الَّذِي هُوَ عَبَارَةٌ عَنِ  
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دِينٌ اَخْرُوِيٌّ مَدِينِيٌّ ، يُوجَبُ عَلَى الرَّءُوْسِ اِنْ يَأْخُذُ نَصِيبِهِ  
مِنْ تَهْذِيبِ النَّفْسِ وَالْعُقْلِ وَالْتَّحْلِي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمُحَاسِنِ الْآدَابِ ؟  
كَمَا يُوجَبُ عَلَيْهِ اِنْ يَأْخُذُ بِاسْبَابِ دِينِهِ الَّتِي تَرْفَعُهُ عِيشَهُ وَتَجْعَلُهُ مِنْ  
الْمُتَمَدِّنِينَ ، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : « رَبَّنَا اَنَّا فِي الدِّينِ حَسَنَةٌ  
وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ » وَجَاءَ فِيهِ اِيْضًا « قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي  
اَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيَّبَاتِ مِنِ الرِّزْقِ » وَفِي الْقُرْآنِ مِنْ هَذَا كَثِيرٌ  
تَضْيِيقٌ صَفَحَاتِ هَذَا الْكِتَابِ دُونَ اِيْرَادَهِ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « اَعْمَلْ لِدِينِكَ كَأَنَّكَ تَعِيشَ اَبَدًا ، وَاعْمَلْ لِاُخْرَتِكَ

كذلك تموت غداً» - فانك ترى ان الشريعة الاسلامية تأمر بالاقتصاد في امرِي المعاش والمعاد ، بحيث لا يميل المرء الى الدنيا ميلاً كلياً ويهمل امر آخرته ، ولا يميل الى الآخرة كل الميل ويهمل امر هذه الحياة الدنيا ، بل امره بان يحصل نصيبه الدنيوي والاخروي . ومن تصفح القرآن الشريف والاحاديث الصحيحة يعلم صحة ما نقول .

وقد وصف الرسول الدنيا لمن حافظ عليها واهمل امر الآخرة احسن وصف فقال : «الدنيا عَرَضٌ حاضرٌ يُؤْكَلُ مِنْهَا البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل يُبَحِّثُهُ الحق» وُبُطْلَ الباطل ، فـكُونُوا ابناء الآخرة ولا تكونوا ابناء الدنيا ، فـكأنَّ كل ام يتبعها ولدها » فهو يأمر الانسان بأن يكون ابنَ الآخرة بحيث لا يتفرَّغ للدنيا وحدها ، ونهاء أن يكون ابنَ للدنيا بأن لا ينظر الى امر آخرته قطعاً ، وقد فصلَ هذا المعنى كلامه السابق : «اعمل لـدـنيـاـكـ الخـ» وقد قلنا في شرح الحديث عند قوله «ـفـكـونـواـ اـبـنـاءـ الـآخـرـةـ وـلـاـ تـكـونـواـ اـبـنـاءـ الدـنـيـاـ» في كتابنا (باب الخيار في سيرة المختار) ص ٦٨ - ٦٩ مـاـ نـصـهـ : «ـلـيـسـ المـرـادـ اـنـ يـنـهـاـمـ عـنـ الدـنـيـاـ الـبـتـةـ وـأـنـ يـتـرـكـوـهـاـ قـطـعاـ،ـ وـأـنـ هـمـ اـنـ يـعـلـمـوـهـاـ مـقـصـودـةـ بـالـذـاتـ،ـ بـلـ وـسـيـلـةـ لـلـآخـرـةـ وـقـنـطـرـةـ يـجـوزـونـ فـيـهاـ،ـ وـالـقـرـآنـ وـالـاحـادـيـثـ

طاغفة بما يحيث الانسان على الكسب والعمل قال تعالى «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة» وقال صلى الله عليه وسلم: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» — والزهد في الدنيا المطلوب شرعاً هو ان لا يفتر المرء بزخارفه او يصبو الى مشترياتها ان كان شيء من ذلك يضر بأمر الدين ، وأن يكون ما عنده من الاموال في يده لا في قلبه بحيث يصرفه في وجهه المشروعة متى دعي الى ذلك ، لأن يهم الاشغال والاعمال ويكون كلاماً على العباد ، وقد ورد في الحديث الشريف : «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولآخرته لدنياه حتى يصيب منها جميعاً ، ولا تكونوا كلاماً على الناس » — على ان من راجع تاريخ الصحابة يعلم أنَّ منهم من كان عنده من الاموال القناطير المقنطرة والانعام والخيل الخ ، لكنهم متى وجدوا حاجة الى اتفاق شيء منه وجدت احدهم اسرع الى ذلك من السهم الى هدفه » اه قولنا هناك

النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل : «بع مالك وأتبغى » ولكن قال من استشاره فيما يصدق به من ماله : «الثلث والثلث كثير ، انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من أن تدعهم عالة يتکفرون الناس» ولو قابل جناب اللورد كرومر بين تعاليم القرآن والانجيل يجد بوناً شاسعاً بين التعاليمين من بعض الوجوه . فان الثاني يأمر

المرء أَنْ يُغْضِبَ أباه وامه وأولاده واصحابه ليتبع المسيح عليه السلام حتى انه قال : « لا تظنوا اني جئت لالقي سلاماً على الارض ، ما جئت لأُلقي سلاماً بل سيفاً ، فاني جئت لافرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد امها والكتنة ضد حماتها ، واعداء الانسان اهل بيته » - والأول يأمر الانسان ان يتبع محمدآ صلي الله عليه وسلم مع بقاء الاحسان لا بويه واصدقائه وكل من كان بينه وبينه علاقة قبل الاسلام ، بل يأمره باعتبار الناس بالرقة والرحمة كانواهم اولاده وابواه حتى قال محمد صلي الله عليه وسلم :

« الخلق كلهم عيال الله فاحبهم اليه انفعهم لعياله »

وجاء في القراء قوله تعالى : « وبالوالدين احساناً » وقوله « ووصَّيْناَ الانسَانَ بِوالديه إِحْسَانًا ، حَمَلَتْهُ امَّهَ كُرْهَهَا وَوَضَعَتْهُ كُرْهَهَا ( اي بشقة ) وَحَمَلَهُ وَفَصَالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشَدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ اوزعني ( أَهْمَنِي ) أَنَّ اشْكُرْ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالدِّيَّ وَأَنَّ اعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي ذَرِيَّتِي ، إِنِّي تَبَتُّ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ السَّلَيْنِ » وقوله عز وجل : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً » وقوله تعالى : « قل تعالوأً أتل ما حرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين احساناً ، ولا نقتلوا اولادكم من إملاق ( فقر ) نحن نرزقكم واياهم ، ولا

نَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَنْقِلُوا النُّفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ، ذَلِكُمْ وَصَارُوكُمْ بِهِ لِعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « وَقَضَى رَبُّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يُبَلِّغُنَّ عَنْكُمُ الْكَبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَاهَا فَلَا تُنْقِلُهُمَا أَفْ وَلَا تُنْهِرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قُولًا كَرِيمًا . وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ النَّذْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبِّ ارْجُحُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا »

هذا وقد أَمَرَ القرآن باستعمال العدل مع كل الناس حتى مع الأعداء والمبغضين للإسلام والمسليين فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُونُوا قَوَّامِينَ اللَّهُ شَهِدَ إِذَا بِالْقَسْطِ (العدل) وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ (لا يجعلنكم) شَهَادَةً قومٍ (بنقضهم) عَلَى إِلَّا تَعْدُلُوا أَعْدَلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىِ ، وَاتَّقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ »

ولو قال قائل : إن الانجيل يأمر بالمسالمه والرحمة ايضاً فما بالك تصفه بأنه يأمر بيقاع ذات البين والتفرقة بين المرء وزوجه والوالد وابويه والصديق واصحابه ؟ الم يقل « أحبوا اعداءكم بداركوا لا عنكم الخ » ؟ نقول ذلك حق ، ولكنك يهدم في موضع ما يبنيه في موضع آخر ، فلما يكاد يثبت في نفس القاريء ما بناه حتى يزعزعه بكلام آخر فيتركه حيران لا يستقر على رأي ولا يأخذ بخُلُقٍ : ألم يأمر اصحابه بالاتيان باعدائهم وذبحهم تحت اقدامه ، وان يغضض الرجل اباه

وامه . اخْلَعَ ؟

نعم اني لا أُنكر أَنَّ أَعْمَالَ أَكْثَرِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ لَا تُنْطَبِقُ عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ كُتَابُهُمْ، بل اقول: انَّ أَكْثَرَ أَفْعَالِهِمْ نَاقِضٌ مَبَادِئَهُ وَأَوْامِرَهُ وَنَوَايِّهِ حَتَّى  
جَحِبُوا حَقِيقَتَهُ وَجَوَهِرَهُ بِتَلْكَ الْأَعْمَالِ الشَّائِنةِ — فَالْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى  
وَخُصُوصًا أَهْلُ أُورُوبَا وَدُولُهَا الْعَظِيمَةَ كُلُّهُمْ حَادَّ عَنِ دِينِهِ وَأَتَبَعَ  
غَيْرَ سَبِيلِهِ، حَتَّى أَنْ دُولَةً عَظِيمَةً وَهِيَ فَرَانْسَا رَفَضَتِ الدِّينَ الْبَلْتَةَ  
وَطَرَدَتِ أَكْثَرَ رُؤْسَاهُ وَهِيَ تَسْعَى لِاجْلَاثِهِمْ جَمِيعًا عَنْ بَلَادِهَا  
— اقول انَّ الْمَسِيحِيِّينَ جَمِيعًا حَادُوا عَنِ دِينِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَنْجِيلَ  
يَأْمُرُهُمْ بِتَرْكِ الدِّينِيَا بَتَاتَأُ وَتَرْكِ الْحَرْبَ وَادَارَةَ الْخَدَّ الْأَيْسِرِ لِمَنْ  
ضَرَبَهُمْ عَلَى الْأَيْمَنِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَهُمْ تَرَكُوا كُلَّ ذَلِكَ وَتَسْكُوا بِضَدِّ  
مَبَادِئِهِ وَتَعَالِيهِ وَآدَابِهِ — وَاقُولُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ حَادُوا إِيْسَاً عَنِ الدِّينِ  
لِأَنَّ الْقُرْآنَ يَأْمُرُهُمْ بِالْإِقْتَصَادِ فِي الدِّينِ وَالْدِينِيَا وَانْ يَكُونُوا آخِذِينَ  
بِالْتَّرْقِيَّيْنِ الدِّينِيَّيِّ وَالْأَخْرَوِيِّ فَتَرَكُوا الدِّينِيَا، ثُمَّ تَبَعَ ذَلِكَ تَرْكُهُمْ  
لِلْدِينِ فَاصْبَحُوا مَذْبُدِيِّينَ وَاضْطَاعُوا الدِّينِ وَالْدِينِيَا مَعًا، نَفَسُرُوا بِذَلِكَ  
خَسِرَانًاً مِّينَا، حَتَّى صَدَقَ عَلَيْهِمْ قَوْلُ نَبِيِّهِمْ : « أَخْسَرَ النَّاسُ صَفْقَةً  
مِنْ أَخْلُقِ يَدِيهِ فِي آمَالِهِ، وَلَمْ تُسَاعِدَهُ الْأَيَّامُ عَلَى أُمْنِيَّتِهِ، نَفَرَجَ مِنْ  
الْدِينِ بِغَيْرِ زَادِ ، وَقَدَمَ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ حِجَّةٍ »

غَيْرَانِ الْفَرْقِ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى مِنْ حِيثِ تَرْكِ الْجَمِيعِ

للهدين كبير - فالبعض اى ترکوه لما هو ارقى واسعى من حيث الترقى  
 المدنى والمعاشى واختلفوا بذلك عذرا يعتذرون به وهو فصل الدين  
 عن المدنية او السياسة - والمسلمون ترکوه لما هو اذل "واحاط"  
 في الدنيا والآخرة - فلما ترك اوثان الدين وتعاليمه القاضية بأن  
 يكونوا روحين فقط لا يتعلقون باهدا ب الدنيا نجحوا وارتقوا في  
 سلم الحضارة الدينوية الى غاية يقصر عنها الوصف ، غير أنهم تداولوا  
 من جهة الاخلاق والدين الى هوة لا يحيط بها العقل ، لأنهم  
 يتمسكون بالدنيا تمسكاً كلياً اهملوا جانب الدين وما يأمر به من  
 المكارم والاخلاق والمرحمة انفع - ولما ترك هو ولا ( المسلمين ) دينهم  
 الذي يأمرهم بالمدنية والعلم وكل ما ينفعهم في حياتين صاروا ينحطون  
 عن ذروة الجد شيئاً فشيئاً الى ان بلغ بهم الامر ما هم فيه الان ، غير  
 أنهم قد افاقوا الان من ذلك السبات العميق ، وأخذوا يفسلون عن  
 عيونهم ذلك العمش الذي كان يمنعهم من روؤية الحقيقة بفضل  
 خليفتهم الاعظم ) وبسبب ما يبذله بعض العلماء العاملين الذين  
 رجموا بالدين الى بساطته الاولى ودرسوه على نحو ما كان يدرسه  
 ويفهمه سلفهم الصالح الذين بلغوا بفضل الدين الحمد للذي ذرورة  
 لا امثال ، ومدنية شهد بها المخالف قبل الصديق .  
 فازاه الان من مدنية اوزروا باليمن مما ثامر به الديانة المسيحية

بل انها تنافيه كما سلف ، ولا يُستدل بعمل الاوروبيين ومدنية هم على ان ذلك من آثار دينهم كما صنع اللورد كروم :

اذ لا ريب انَّ من اراد ان يستدل على حقيقة دين يعتمد الى قواعده الاساسية واوامره ونواهيه ليكنه الحكم عليه – فكم من امة خالفت ماجاه به كتابها وعملت بخلافه: خذ مثلاً الامة الاسلامية فانها اهملت كثيراً مما يحث عليه القرآن واتبعت كثيراً مما ينهى عنه : امرها باكتساب العلوم والمعارف والسيع وراء ما يفيدها في حياتين فسارت حيناً في تلك السبيل ، ثم خلف خلف اضعوا ما جعوا وهدّموا ما شيدوا لاسباب ليس هنا محل ذكرها وقد قدّمتها بعضها : نهاها عن الموبقات كالزناء وشرب الخمر والقمار والرهاق كان نصيب كثير من المسلمين ان تدنسوا بادنانها وانغمسو بمحماًتها فان عمد عالم ليحكم على الدين الاسلامي فلا يجوز له ان ينظر الى افعال المسلمين ثم يحكم على دينهم بافعالهم لأن الاسلام محظوظ بالمسلمين .

ونحن الآن نتكلم عن المدينة التي التجأها الديانة المسيحية نفسها فلا ينبغي لنا ان ننظر الى تمدن دول النصرانية اليوم ثم نقول ان هذا من آثار دينهم ، لأننا قدمنا أنه لا يُستدل بافعال امة على دينها: – خلاصة ما تأسّس به الديانة المسيحية : ترك الدنيا وكره

الاغنياء وبغض التمدن وكراهية الرجل اهله وذويه ليصلح ان يكون  
 تلميذاً لل المسيح عليه السلام وان لا يُجازىء بمثل ما جوزي به، وان  
 اضرَ ذلك بالهيئة الاجتماعية . ومقتضى هذه القاعدة الاخيرة تلاشي  
 العالم وفساد النظام الكوني ، لأنها تُجريء المجرمين على زيادة العذاب  
 والاذية ، وتشدّب بساعدهم لإهلاك العالم ، الى آخر ما تُنتجه من  
 الامور المضرة بالعمران — فانت ترى ان ما يأمر به هذا الدين  
 منافٍ للدنيا الحاضرة منافاة تامة ، وليس يصلح الا لذلك الزمان  
 الذي وجد فيه السيد المسيح ، حيث فسدت الاخلاق ومال الناس  
 للشهوات وحب الدنيا والانتقام الظالم ميلاً عظيمًا واهملوا شأن  
 الآخرة اخْ .

اذن فليس هذا التمدن المشاهد مسيحيًا بمعنى انه مما وأدته الديانة  
 المسيحية ، لأنها نافيه كما قدمنا — فليترك جانب اللورد كروم  
 سكرره بالادب المسيحي والترقي المسيحي والمدنية المسيحية اخْ .



## التناقض في كلام كروم

والرد على بعض مزاعمه

وفيه كلام عن المذنبين أيضًا

كلام كروم مضطرب كريشه في مهب الريح طائرة ، فيينا  
 شراه ينهي عن الخوض في العبث بالاديان تراه يخوض مع الخائضين  
 ويعبث مع العابثين وبينما تراه ينتقد الاسلام من حيث هو شريعة  
 وسياسة لا من حيث هو ادب ودين ويقول : « اما من جهة نظر  
 المتأدب فلا سبيل الى انتقاد مبادي الاسلام الاساسية ، ولكن  
 الانتقاد يوجه فقط الى السيريات التي نشأت فاصبحت الان تستر  
 سذاجته الاولى » — تراه من جهة ثانية يرجع عن هذا الكلام و يقبح  
 الدين و اهله اشد قبيح حتى قواعده الاساسية التي قال انه لا سبيل  
 الى انتقادها

اللورد يحذر من التعرض الى الاديان وينهي عنه اشد النهي

وقد صرَّح بذلك حيث قال :

« أَحذِّرُ الَّذِينَ يَتَوَلَُّونَ قِيَادَةَ الْحُكُومَةِ مِنْ تَعْرِضِهِمْ بِحِمَاقةٍ  
 إِلَى زَعْزَعَةِ الْبَنَاءِ الْأَدْبَرِ الَّذِي تَقْوِيمُ عَلَيْهِ الْمَيْهَةُ الْإِجْمَاعِيَّةُ الْشَّرْقِيَّةُ إِذَ  
 الْبَعْثُ بِدِينِ أَمَّةٍ كَامِلَةٍ هُوَ اْمْرٌ مَحْفُوفٌ بِالْحُطْرِ الْعَظِيمِ سِيَاسِيًّاً

وأجتماعياً وأديأً

هذا هو كلام اللورد في هذا الموضوع وهو كما تراه معه قدمنا من كلامه من الاضطراب يمكن . واني اراه ذلك الاحمق الذي وصفه في كتابه بل لا ينطبق على غيره ، لانه نقض هذه القاعدة التي امر الهيئة الحاكمة بالعمل بمقتضاهما ، وعبث بالاسلام وال المسلمين واحرج صدورهم حتى ملأها غيظاً وحنقاً بسبب ما كتبه بمحاجة ظاهرة في كتابه « مصر الحديثة » من الطعن بهم وبدينهم ، واظهر الاستخفاف بمبادئه وقواعده ، وان تكون هي التي كانت سبباً رئيسيّاً لقومه وسائر العالم المتmodern .....

وبينا تراه يقول ان الانتقاد يوجه فقط الى السيريات الحديثة التي أصفيت بالدين ، تراه وهو يتكلم عن المباديء الدينية يشرد الى الكلام عن العادات القومية والبدع التي ليست من الدين في شيء ، ثم يحكم بعد ذلك ( اي بعد ان يخلط العوائد السيرية بقواعد الدين الأساسية ) بان الاسلام عقبة كوهود في سبيل ترقى المسلمين ، ويقول معتبراً عن تأخر المسلمين في المدينة :

« لانا كيف تأملنا في المصري وجب ان نذكر دائماً نتيجة ما اوصلته اليه حوادث تاريخه ومناخه ودينه ومركته الجغرافي » اثنى جناب اللورد على الاسلام من جهة كونه ديناً وآداباً ،

ولكنه شاب هذا الثناء بسموم لا تخفي على ذي بصيرة فقد اردف ذلك الثناء بقوله :

« ان العمل بهذه القواعد قد افاد مئات الملايين من اعتنقوها الاسلام دينًا لهم وخصوصاً الفقراء بينهم عزّاً روحياً فضلاً عن النعم المادية من خيرات هذا العالم وامل الخلود في الآخرة » — كأنه اراد ان الاسلام لم يُفِد الا الطبقة المنحطة وأما انه افاد الطبقة العالية فلا ، وهو كلام بعيد عن الحق بعد الشمس عن الارض ، لأن المطلع على تاريخ الاسلام يعلم ما افاده من الرقي للناس اجمعين شريفهم ووضيعهم عالمهم وجاهلهم .

أَنْسِي جناب اللورد المدينة الاسلامية وعظمتها وما افادته للعالم اجمع من العلوم والمعارف والصناعات ؟ أَنْسِي مدارس بغداد والبصرة والقاهرة والشام والاندلس ( اسبانيا ) ومراكش وبخارى وسرقند ؟ أَنْسِي ما كان يدرس فيها من العلوم والفنون ؟ أَنْسِي ما اخترعه العرب من الاعمال المدهشة التي افادت فائدة لا تُنْكِر ؟ — كان في مدرسة بغداد في القرن السادس المجري ستة الاف شخص بين معلم ومتعلم ، وكان بقرطبة وحدها من بلاد الاندلس ثمانون مدرسة في ايام الحكم المستنصر بن عبد الرحمن في منتصف القرن الرابع للهجرة ، وكان في القاهرة وحدها عشرون مدرسة منها الجامع

الازهر الذي هو الان المدرسة الاسلامية العظمى و كانوا يدرسون في علوم الشرعية ومقدماتها والمنطق والوضع والمناظرة و جميع الرياضيات والاهليات وعلم الطب والهيئة والتاريخ ، وقد تخرج من هذه المدرسة في الزمان السابق علماء كثيرون في جميع ما قدمناه من العلوم التي كانت تدرس فيه<sup>(١)</sup>

و كانت مدارس الاندلس على غاية الانتقام ، وقد قصدها اهالي اوروبا في القرون الوسطى و درسوا فيها العلوم على اختلاف موضوعاتها ثم رجعوا الى بلادهم ، وفي سنة ٢٦٠ للهجرة (٨٧٣ م) امر (هرمتوت) رئيس دير (ماري غالن) جماعةً من رهبانه بدرس اللغة العربية لتحصيل معارفها وما دُون فيها من العلوم والفنون ، وكان في جملة من درس في هذه المدارس (البابا سليمستروس الثاني) واصله رجل فرنساوي يقال له (جرييت) وقد طاف قسماً كبيراً من اوروبا طالباً للعلوم والمعارف حتى وقع على الاندلس فدخل مدارس اشبيلية وقرطبة وبذل همه في تحصيل العلوم حتى أَساغها ، ثم عاد

(١) اما الان فلا يدرس فيه الا العلوم الشرعية والآدبية ، وقد ادخل اليه حدثاً بهمة بعض المصلحين الرياضيات والجغرافيا والتاريخ ، وفيه نجوم عشرة الاف طالب علم ، اما طرق التعليم فيه فهي عقيدة والامل ان تصلح بهمة اولياء الامور

الى دياره وما زال يسمو على اقرانه حتى نصّبواه «بابا» فشاد للعلم مدرستين احداهما في ايطاليا والاخري في ريمز ، ودخل الى اوروبا علوم المسلمين والارقام الهندية التي نقلها عنهم .

ثم ثارت الحمية وحبُ الرغبة في العلم في نفوس اهل ايطاليا وفرنسا وجرmania وانكلترا فطلبو العلماء العلوم الرياضية ، ولم يقم عالم من الافرنج بالرياضيات الا كان جميع ما تعلّمه من العرب مدة قرون جمّة ، فمن جملة من نقل عنهم العلوم الى ايطاليا «دوكريونا» فانه قرأ على المسلمين الهيئة والطب والفلسفة بطليطلة ، وترجم عنهم الجسطي وكتب الرازي والشيخ الرئيس ابن سينا الى اللغة اللاتينية . وكذلك «ایونارد البيزی» نقل عنهم الحساب والجبر ، و(ارنولد الفيلانوفي) نقل عنهم الهيئة والطبيعيات والطب . ومن نقل عنهم من الانكليز راهب يسمى «بلاد» وآخر اسمه «مورلي» وآخر يقال له «اسکوت» — هذا وان ما حصل له «روجر باكون» الشهير من المعارف في الكيمياء والفلسفة والرياضيات انما استخلصه من كتب العرب . وكثير غير من ذكرنا تلقوا العلوم عن المسلمين في مدارس الاندلس ثم رجعوا الى بلادهم التي كانت مظلمة بخandas الجهل ، فبلغوا في قومهم انوار المدنية والعلوم الاسلامية ، ورفعوا لهم من حضيض التأخر الى ذروة الحمد .

ولما عرف ملوك الافرنج قيمة معارف المسلمين اخذوا في اقتفاء آثارهم وامروا بترجمة كتبهم الى لغاتهم — ولباب القول أنَّ الافرنج نقلوا عن المسلمين ما نقله المسلمون عن غيرهم او أستبطوه هم انفسهم من العلم والفلسفة والميئه والطبيعيات والرياضيات والكيميا والطب والصيدله والجغرافيا والزراعة والفراسة ، واخذوا عنهم عمل الورق والبارود والسكر والخزف وتركيب الادوية ونسج كثير من الاقمشة وادخلوا منهم دود القز الى بلادهم وكثيراً من الحبوب والاشجار كالارز وقصب السكر والزعفران والقطن والسبانخ والرمان والتين ، ونقلوا عنهم دبغ الجلود وتجفيفها ، وذلك لأنهم حين طردتهم اهل اسبانيا الاصليون منها هاجروا الى فاس فقدت هذه الصناعة من الاندلس ثم أستردَّها الانكليز ، ولا يزالون يُسمُّون الجلود المدبعة بها « موركَو وكوردفان » نسبة الى مراكش وقرطبة . جاء في مجلة الملال من مقال عنوانه « آثار التمدن الاسلامي »

ما نصه :

« فلتمدن الاسلامي فضل كبير في نهضة الشرق وجمع شتاته ، ولم يقتصر تأثيره على الشرق ، ولكنَّه نناول الغرب فأنهضه بعد غفلته اقتداءً بال المسلمين او خوفاً من تيار فتوحهم بعد ان أحتكوا بهم في اورو باذوطنئت خيولهم شواطيء نهر (لوار) بفرنسا ، وزادت معرفتهم

بهم في اثناء الحروب الصليبية وأطأطّلعوا على حقيقة المسلمين وما عندهم من اسباب المدنية وال عمران والعلم فأخذوا يقلدونهم فيها حتى انشأوا التمدن الحديث على ما ثراه «  
و جاء في مجلة المقتطف ما نصه :

« ولا تزال الالفاظ العربية في أكثر مباحث الافرنج الطبيعية كالسمت والنظير والسموت والمقنطرات واسماء النجوم والكحول والقلي والجير والقطن والشراب والكيمياء وغيرها، ولو لغة العرب بلقيت لغة اهل اسبانيا قاصرة كما كانت فاسماء اوزانهم واقيساتهم أكثرها عربي محرّف كالقنطار والربع والشبر وكذلك اسماء قطع الماء كالبحيرة والبركة والجب (البئر) والقبّية (مصحّر القبة) وغيرها كثير ، فالمولادون كانوا في زمانهم حلقةً من سلسلة العلوم التي اتصلت بها علوم الاولين بالمتّاخرين ، ولو لام لفقد أكثر المعارف ان لم نقل كلها .

قال (روبرتسون) المؤرخ الانكليزي الشهير وغيره ماحلاصته :  
« في الزمن الذي كان يتدارس فيه العرب هذه العلوم وينشرونهما في بلادهم كانت اهالي اوروبا في حالة لا زالوا هم ذواتهم يندبونها حتى اليوم ، ولم يستفيقوا من ذلك الجهل المفرط والنوم العميق الاً بواسطة شروعهم في تلك الفزوات الصليبية الوحشية التي اجروها مع المسلمين بقصد استخلاص البلاد المقدسة من ايديهم ، حيث

مرثوا في غزواتهم هذه وسيرهم جهة بلاد اورشليم باراضٍ نصرة لحسن زراعتها اكثراً من اراضيهم وبدولٍ مغذنة اكثراً من دولهم ووجدوا في آسيا آثار تلك العلوم والفنون التي كان أَسْسَها وأَعْنَانُهَا على تحصيلها الخلفاء العباسيون »

أَنت ترى يا جناب اللورد مما اوردناه هنا وفي باب شهادة الأغيار وفي الباب الذي قبله ان المسلمين بلغوا بفضل تمكّهم بدينه مدينة خارقة للعادة ، وأسسوا من المدارس والمراصد وحصلوا من العلوم والصناعات ما كان سبباً في تخليص اوروبا من الظلمات التي كانت مرتكمة فوق قلوبهم ومن القيود وسلسل الجهل التي كانت عقولهم مُقيّدة بها ، فكيف يقال بعد ذلك ان الاسلام لم يُفِيدِ الالطبقات المنحطة ؟ القائل بهذا احضر جلتين اما رجل جاهل بالتاريخ وما جريات الام ، واما رجل متغصب يقلب الحقائق وُيعير الاوضاع ليُويَّد على الناس . — مضى يا جناب اللورد زمن التمويه والكذب فحن الان في عصر العلم والاختراع عصر البخار والكهرباء عصر الحقائق والحس ، فكلامك لا يُفِيد ولا يُويَّد الا على ضعاف العقول والذين ليس عندهم من العلم والمعرفة شيء . أظنت أنك تُؤثِّر بكلامك هذا كما أثر كلام المثيرين للحروب الصليبية الذين اقتفيت أثراً لهم وضررت على وترهم ؟ كلا : ذلك زمن مضى كان الوهم

والجهل فيها السعادة على العقول، وهذا زمن لا يُؤثر على عقول اهلية  
الا الحقيقة والصواب وانت بعيد عنها .

استشهد جناب اللورد على دعواه السابقة التي جاءت ضمناً بما كتبه  
«السير جون سيلي» تحت عنوان «قوة الدين تنشيء الملك» وهي :  
«إينا وجدت قوة ببرية قد رفعت نفسها يوماً حتى أرتفت  
عن حالتها الهمجية ونالت بعض التقدم تجد أنها فعلت ذلك بواسطة  
اعتقادها الدين الإسلامي »

قال المؤيد في ردوده على كروم ما نصه :

« وهو (اي كروم) لم يسوق هذه العبارة الا ليستدل بها مع  
مقالات اخرى متشورة هنا وهناك من الفصول الثلاثة المذكورة آنفاً  
على أنَّ الإسلام إنما يفيض الهيئة الاجتماعية الى حد محدود، وأنه لا يفيض  
الى الطبقات المختطفة من البشر ليخلصها من احوال التوحش والبربرية .  
اما كونه ديناً يرقى الى آداب ويعلي النفوس ويعد اوامر الاخاء  
والمحبة بين الناس فلا ، بل هو دين پيث روح التعصب في اهله  
ويجعلهم ينفرون من لا يدينون معهم به ، وان القرآن نفسه يفترس في  
عقول مُتابعيه أن الانتقام والبغضاء يجب ان يكونا اساس العلاقات  
بين المسلم وغيره بدلاً من ان پيث فيهم روح المحبة والاحسان » اه  
ولو انصف جناب اللورد لم يحكم على الدين بما حكم من كونه

لَا يُفِيدُ الْأَطْبَاقُ الْمُخْتَطَةُ وَأَنَّهُ لَا يُرِيقُ الْآدَابَ وَإِنْ هُوَ إِلَّا فَجُورٌ  
 بَيْنَ مُتَبَعِيهِ وَبَيْنَ غَيْرِهِمُ الْخَالِغُ - المطلع على القرآن وكلام محمد (ص)  
 يجد فيها من نوابع الكلم ومحاسن الحكم والأدب والأخلاق  
 وُمدهشات الأحكام ، إلى غير ذلك من المواضيع النافعة والأمور  
 المفيدة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر  
 - القرآن يأمر بحسن الخلق ومعاملة جميع الناس بالحسنى ومكارم  
 الأخلاق - القرآن يأمر بأن لا نعامل من صارحونا بالعداوة  
 والاذى الا بالعدل والانصاف وان لا نجعل ما بيننا وبينهم سبباً  
 لعدم العدل قال تعالى : « وَلَا يَجُرُّنَّكُمْ شَنَآنَ قَوْمٍ عَلَى إِلَّا تَعْدُلُوا  
 أَعْدُلُوا هُوَ أَقْبَلُ لِلنَّقْوَى » وقال : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ » وقال :  
 « وَلَوْ كُنْتَ فَظَّاً غَبِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضَّوا مِنْ حَوْلِكَ » وقال :  
 « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ  
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعْظُمُكُمْ لِمَا كُنْتُمْ تَذَكَّرُونَ » وقال :  
 « وَلَا تَنْقِتاُوْنَ الْفَسَادَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَمَنْ قُتِلَ مُظْلومًا  
 فَقَدْ جَعَلَنَا لَوْلَاهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسِرِّفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مُنْصُورًا »  
 وقال : « قُلْ تَعَالَوْا أَتَلُّ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ : إِلَّا بُشْرَكُوا  
 بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدِينِ احْسَانًا ، وَلَا نَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ  
 نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا نَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا

نقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلکم وصاكم به لعلکم  
 تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشدّه ،  
 وأوفوا الکيل والمیزان بالقسط ، لا تکلف نفس الا وسعها ،  
 واذا قلتם فاعدلوا ولو كان ذا قریب ، وبعهد الله اوفوا ، ذلکم وصاكم  
 به لعلکم تذکرون » وقال : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه  
 جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيماً »  
 — ولیعلم جناب اللورد أن حکم الظمیین وَمَن هُم في امان المسلمين  
 حکم المسلمين : یعلم ذلك من درس اصول الشريعة وكتابها المنزل  
 وكلام رسولها محمد مُدِّن العالم ومهدِّب الامم صلی الله علیه وسلم ،  
 فلا یجوز قتلهم ولا اذیتهم ولا اکل اموالهم، بل هم مساوون للسلميين  
 في جميع الحقوق المدنية ، ولم یخرج من هذه القاعدة الا من صارح  
 بالاذى والعدوان ، وأشهر الحرب على الاسلام فيباح حينئذ قتاله بعد  
 النصح له ووعظه مقابلة لعدوانه ، والشر بالشر والبادي اظلم ، بل صرح  
 العلماء انه يجب قتال المسلمين ايضاً ان خرجوا بغياناً وعدواناً لقوله تعالى :  
 « وان طائفتان من المؤمنين اقتلوا فأصلحوا بينها ، فان بفت احداها  
 على الآخر فقاتلوا التي تبغي حتى تفی الى امر الله ، فان فاءت  
 فأصلحوا بينها بالعدل واقسروا ، إن الله يحب المحسنين » وسنوضح  
 هذا المقام في الكلام على التعصب في الاسلام ان شاء الله تعالى

وقد جاء في القرآن من آيات النجر عن المحرمات قوله تعالى :  
 « ولا تقربوا الزنا إِنَّهُ كَانَ فَاحشةً وَسَاءً سَبِيلًا » وقال : « يا ايهَا<sup>١</sup>  
 الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ  
 الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعْلَكُمْ تُفْلِحُونَ »

وجاء فيه من آيات التربية والأخلاق قوله : « وَأَنْ لَوْا سَقَامُوا  
 عَلَى الطَّرِيقَةِ لَا سَقَيْنَا هُمْ مَا عَدَقَّا » وقال : « وَلَا تُصْعِرْ خَدَكَ  
 لِلنَّاسِ وَلَا تُقْبِشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحَّاً ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ  
 نَفُورٍ » وقال : « وَلَا تَنْقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمَعَ وَالبَصَرَ  
 وَالْفَوَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا وَلَا تُقْبِشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحَّاً ،  
 إِنَّكَ لَنْ تُخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجَبَالَ طُولًا ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ  
 سَيِّدُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا » وقال : « يَا ايهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخِرُ  
 قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِّنْ نَسَاءٍ عَسَى  
 أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ، وَلَا تَلْبِزُوا أَنفُسَكُمْ ، بِئْسَ الاسمُ الْفَسُوقُ بَعْدَ  
 الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » وقال : « وَلَا تُسْتَوِي  
 الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . فَإِذَا الَّذِي يَيْنِكَ وَبَيْنِهِ  
 عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِيًّا حَمِيمًا » وقال : « أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحَكْمَةِ  
 وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » وقال : « يَا ايهَا  
 الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُنِ ، إِنَّ بَعْضَ الظُّنُنِ إِثْمٌ ، وَلَا

تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً، أُنْجِبَ أَهْدُوكُمْ أَنْ يَا كُلَّ لَحْمَ  
أَخِيهِ مِيَّتاً فَكَرْهُتُوهُ، وَأَنْقُوا اللَّهَ أَنَّ اللَّهَ تَوَابُ رَحِيمٌ . يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ إِنَا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكْرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لَتَعْلَمُوْا،  
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . وَقَالَ فِي صَفَةِ  
الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا حَقًّا :

« وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوَنَا وَإِذَا خَاطَبُهُمْ  
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ، وَالَّذِينَ يَبْيَطُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدًا وَقِيَامًا ، وَالَّذِينَ  
يَقُولُونَ رَبُّنَا أَصْرَفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ،  
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقْرَأً وَمُقَاماً ، وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ  
يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ، وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا  
آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزِنُونَ، وَمَنْ  
يَفْعُلُ ذَلِكَ يُلْقَ أَثَاماً ، يُضَاعِفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ  
فِيهِ مُهَانَا ، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ  
سِيَّاتَهُمْ حَسَنَاتِهِمْ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ  
صَالِحًا فَأَنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مُتَابًا ، وَالَّذِينَ لَا يَشْهُدُونَ الزُّورَ وَإِذَا  
مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كَرَاماً ، وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا  
عَلَيْهَا صُمَّاً وَعُمَيَّانًا . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبُّنَا هَبْ لَنَا مِنْ إِذْوَاجَنَا  
وَذْرِيَّا إِنَّا قَرْءَةٌ أَعِيْنٌ وَجَعَلْنَا لِلنَّقِينِ إِمَاماً . اُولَئِكَ يُبَحْزَوْنَ

الْفُرْنَفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيَأْتَهُونَ فِيهَا تَحْيَةً وَسَلَامًا ، خَالِدِينَ فِيهَا ،  
حَسْنَاتٍ مُسْتَقْرًا وَمُقَاماً »

وانَّ من امثال هذه الآيات الحاذثة على مكارم الاخلاق  
والآمرة بالابتعاد عن قبيح الافعال كثيراً لانفسهم له المقالات  
ومن اراد أن يتحقق ذلك فيرجع الى القرآن الكريم ، وأئنني  
لأمثال اللورد أن يعرفوا ذلك وهم بعيدون عن العربية —نعم انهم  
درسوا ترجمته في لغاتهم ولكن لم يفهموا اسرارها حق الفهم ، او فهموا  
غير انهم في تيارات التعصب والحق غارقون ، على اني لم اذكر من هذه  
الآيات الا يسيراماً حضرني وما تركته مما احفظه أكثر ، وما  
في القرآن اوفي واغزر ، فهل بعدها يقول متعصب أحمق كاللورد  
كروم : ان الاسلام لا يفيد الا الطبقة المخطئة وانه بث روح  
التعصب في اهله ويجعلهم ينفرون من لا يدين معهم به ، وان القرآن  
يغرس في عقول متبعه بغض الأغيار وحب الانتقام

القرآن يا جناب اللورد يأمر بسم الله من يسالنا والا نعتدي  
عليه وان لا نقاتل الا من ارادنا بسوء كما جاء في القرآن الكريم :  
« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب  
المعدين » — فهل مقابلة الاعداء بمثل ما يقابلوننا به من الشر يعذر من  
التعصب زكره الأغيار ؟ هل تريد ايها اللورد ان يكون المسلمين عبيداً

مستسلمين لكلّ معتقدٍ أثيم؟ هل ت يريد ان يعملاكم بالانجيل :  
 « من ضربك على خدك الain فأدْرِ له الaisر » ؟ هل انت معاشر  
 المسيحيين عاملون بقىضي ذلك واخْصُ منكم الانكليز ؟ كلاماً ، لأنكم  
 لو عملتم بذلك لكونتم اذلّ أمّ الارض — القرآن يريدهم مُتَّبعيه  
 ان لا يكونوا اذلاء مضطهدين فلهذا اباح لهم أن يقاوموا كلّ من  
 مدّ اليهم يداً بشرّ فقال : « فَنَّ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ  
 بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » فانت  
 ترى أنه اجاز لهم مقابلة العدوان بمثله ثم امرهم بتقوى الله في ذلك  
 بان لا ينحرجو عن الحد الذي أباحه لهم وهو عدم الزيادة في العدوان ،  
 لأنّه رخص لهم أن يقابلوا الاعداء بمثل عدوائهم فقط ، ولم يجرز  
 لهم أن يتجاوزوا الحدّ فيه — ومع ذلك فلم يوجب عليهم الانتقام من  
 اعدائهم بل جعله مباحاً ان شاؤا فعلوه وان شاؤا تركوه ، بل انه  
 حرضهم على العفو وترك الانتقام ووعدهم الخير عليه ، ولم يوجب  
 العفو عليهم لانه مخالف لسنة العمارت بل ترك الامر لهم ، فهم  
 يتلقون متى وجدوا الانتقام احرز ، ويعفون متى رأوا الصفع والعفو  
 احکم ، لأن حلم الفتى في غير موضعه جهل  
 ووضع النَّدَى في موضع السيف بالعلی  
 مضرٌ كوضع السيف في موضع النَّدَى

قال الله تعالى في الحث على العفو والصفح : « وَأَعْفُوا وَأَصْفِحُوا ،  
 أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُم ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » وقال : وَأَن تَعْفُوا  
 أَقْرَبُ لِلتَّقْوِيَّةِ » وقال : « إِنْ بَدَوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهَا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ  
 فَانَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا » وقال : « وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفِحُوا وَتَقْفِرُوا  
 فَانَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » وقال في سياق الكلام عن بنى اسرائيل :  
 « وَلَا تَنْزَلُ تَطْلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًاً فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفِحْ  
 إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » وقال : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مُّثُلُّهَا ، فَمَنْ  
 عَفَا وَأَصْلَحَ فَأُجْرِهِ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » وقال :  
 « وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرِدُونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا  
 حَسْدًا مِّنْ عَنْدِ نُفُسْهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَأَصْفِحُوا »  
 وقال : « وَسَارَعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ  
 وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلْمُتَقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفَقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَاءِ  
 وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ »  
 القرآن اباح لنا بما قدمنا : مقابلة الشر بثله ان كان العفو يعين  
 المجراني على عمله ويجعله شغلاً له ، وبالعفو ان صدر من هو اهل للصفح  
 عنه بحيث لم يُعرف بعمل الشر قبل ذلك . ومع هذا فالامر بالقصاص  
 مفروض الى الحكم وهو يحكم بما فيه المصلحة  
 هذا ما يأمر به القرآن ، وان في كلام محمد عليه الصلاة والسلام

كثيراً من الاخلاق والآداب والمساواة بين الخلق والصفح عن  
زلائهم واعتبارهم اخواناً كفاء من حيث الحقوق المدنية وقد قدمنا  
 شيئاً من ذلك . فهل ينكر على الاسلام مثل ذلك ؟ ام هل يجوز ان  
 نصفه بغير ما وصف به نفسه من المباديء السامية والاخلاق الراقية ؟  
 لعمري لم يفعل ذلك سوى متخصص جاهل بكتاب اللورد كرومز  
 ومن على شاكلته من الناس .

والخلاصة ان اللورد كرومز كما قدمنا مشوش الفكر مضطرب  
 الحكم على الدين الاسلامي من حيث هو دين وآداب : فمرة يحكم  
 عليه بأنه لا غبار عليه الا من حيث تلك الزيادات التي أُلصقت به  
 وليس لها اصل في الدين ، وتارة يقول انه لا يفيد بل انه ضارٌ ومخالف  
 للآداب والاخلاق

يقول اللورد : « ان قواعد الاسلام الاساسية مبينة في القرآن  
 الكريم وقد شرحها العلماء من جميع الامم بلغات كثيرة ، ولكن  
 عظمتها وسهولتها لم تُبيّنا بأكثربلاعنة مما يَدِّيَنَه الصحابة الذين  
 اتّبعوا الى ملك الحبشة المسيحي يطلبون حمايته من اذى قريش اذ  
 كانت تعتدي على النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) واتباعه ، فقالوا له :  
 « ايها الملك : كنناً قوماً اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل  
 الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونُسي الجوار ويأكل القويُّ

مناً الضعيف، فكناً على ذلك حتى بعث الله لنا رسولاً كما بعث  
الرسول الى من قبلنا ، وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه واماته  
وعفافه ، فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع ايمان ترك  
ما كان يعبد آباءنا من دونه من الاجمار والاثاث ، وامرنا ان نعبد  
الله وحده : امرنا بالصلة والزكاة والصيام ، وامرنا بصدق الحديث  
واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم  
والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقدف  
المحسنة ، فصدقناه واماًنا به واتبعناه على ما جاء به »

عجباً لکروم کيف ينافق نفسه بنفسه ؟ ان كان لا يعرف  
مثل ما قدمنا من الآيات السابقة ، فهل لا يفهم هذه القصة التي  
اوردها ؟ حتى حکم بما حکم مما لا يصدر الا عن مت指控 او جاهل  
على اتنا لو اردنا ان نقارن بين تعالیم القرآن والانجیل نجد هما  
متتفقین في جميع المسائل الجوهرية ، لأن الادیان جميعها كما قال  
السيد الامیر عبدالقادر الجزائري : « اولاد علات ابوهم واحدوا مهاتمه  
متفرقة » نعم يختلف القرآن والانجیل من حيث الايضاح والوفاء  
بالغرض ، ومن حيث ان الانجیل يدعو الى العمل الاخروي المجرد  
وان القرآن يدعو الى العملين الدنيوي والاخروي ويهتم علیها  
حثاً . وربما اختلفا ايضاً بعض الامور العرضية التي يمكن للعقل

ان يوفق فيها بینها .

### هل واء المسلم وينه ؟

جناب اللورد حكم بأن الداء العياء والمرض العossal الذي يمنع المسلم من الترقى هودينه بل ان ذلك قد أثر على المسيحيين المجاورين للسلسين ، قال :

« قلت فيما تقدم ان التقاليد الدينية هي من جملة الموانع بين الانكليزي احد افراد العائلة الاوروبية من جهة التمدن العمومي ، فانه يحاول اكثرا من كل اوروبى آخر ان يصل الى اسما درجات الرقي من التمدن المسيحي ، اي انه يحاول أن يدخل نظام آداب مسيحي صريح ويجعله قاعدة للعلاقات بين الرجل والآخر ، يحمله على ذلك تلك المبادئ القدحية التي جاءته من اسلافه ومن دمه البيوريتاني الذي لا يزال يجري في عروقه . ومن الجهة الاخرى فان المصري متمسك بدین الاسلام الذي ينوب فيه الایمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلاد الشرقية »

اقول : إن ما حكم به جناب اللورد ضمناً من أن الدين الاسلامي من جملة موانع الترقى والتقدم خطأ بحت منشؤه اما الجهل او التعصب وهو الاقرب ، فقد بينا فيما سبق أن المسلمين بلغوا ايام عزهم

وتمسكم بدينهم مقاماً من الترقى والتمدن لا يزال كثير من دول اوروبا باقصاً عنه ، وينبئاً أن قبساً من انوار هدايتهم وعلومهم سرى الى اوروبا فاضاء حالك ظلماتها ، وأثار ليل جهالتها ، فلو كان الدين هو المانع من رقّ المسلمين لم يبلغوا ما بلغوه من ذلك النقدم والفتح والتبريز في العلوم والصناعات والسيادة ايام مجدهم ، فلم يبقَ سبب يمنعهم من الترقى والرجوع الى ما كانوا عليه الا ترك الدين وتمسكم بالفشل منه دون الباب ، وقد قال الامام مالك : « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » ومعلوم أن ماصلح به اولها هو العلم والعدل والجهد والاجتهاد لتحسين الفنون واقتباس العلوم والصناعات كما يأمرهم بذلك القرآن ويدل عليه كلام الرسول واصحابه والعلماء المتفقين وكثير من المتأخرین ، فانتفى أن يكون الدين الاسلامي من اسباب موانع رقيّهم وتقديمهم في سبيل العمران والتمدن ، بل ان ترکهم اياه هو سبب خسارتهم وجهالتهم — فلو ان اللورد دعاهم الى التمسك بدينهم على نحو ما كان عليه آباءُهم الاقدمون لاصاب المرمى . وأما قوله : ان الدين الاسلامي ينوب فيه الایمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلاد الشرقية » واستنتاج من ذلك عدم اهليته لترقية اهله ، فهو وهم باطل ، لأن الاسلام قول وعمل : فلا يغنى احدها عن الآخر فلا بد مع الایمان من الاعمال الصالحة التي تنجي

الانسان في أخراه ، وتجعله سعيداً في دنياه — يعلم ذلك من قرآن القرآن وعرف السنة ودرس كتب العقائد الصحيحة — واما الوطنية فهي ما يأمر به الدين الاسلامي فقد جاء في بعض الآثار : «حب الوطن من اليمان» فأنت ترى أنه جعل محبة الاوطان والتفائلي في صاحبها وعمرانها وترقيتها جزءاً من اليمان ، وقد اختلف العلماء في تفسير الوطن فليرجع الى تفسيراتهم من شاء وليس هذا حملها . يقول اللورد : «ان الانكليزي يحاول اكثر من كل اوربي

أن يصل الى اسماي درجات الرقي من التمدن المسيحي اخلي »

ماذا يقصد جناب اللورد من قوله هذا ؟ اي تمدن مسيحي يعنيه وليس للنصرانية مدينة تعرف ؟ أيقصد بذلك الدول التي تسمى نصرانية ام النصرانية نفسها ؟ ان كان الثاني فقد قدمنا أن ما في الانجيل مخالف ومناقض لمدينة هذا العصر مناقضة تامة ، وان كان الاول فلا يجوز ان نقول ان ذلك التمدن هو تمدن مسيحي ، لانه هو والقواعد المسيحية على طرفي نقىض ، فان التاريخ يشهد ان الدول النصرانية لم ترق في سلم المدينة ولم تأخذ بباب التقدم الابعد ان فصلت الدين عن السياسة او بالاخرى بعد ان تركت العمل بمقتضى اوامر الدين ونواهيه ، فما معنى تسمية هذا التمدن بالمسيحي بعد ذلك وهو مناقض لها وهي مناقض له بل انها تناهضه وهو يناهضها ؟ — ان

امثال هذه السفسيطات لا تروج الا على امثال اللورد – فليترك اذن هو وامثاله التشدق بالقواعد المسيحية الراقية والتندس المسيحي ان الحاخ ، فقد وضع الصبح الذي عينين ، وزال الغطاء والريان .  
اما نحن المسلمين فلم تتأخر الا بعد ان تركنا الدين ، لأن العقلاء منا ومنكم يعتقدون ان الدين الاسلامي دين آخر ديني ديني سياسي مدني يصلح لكل زمان ومكان ، لأن ما فيه من القواعد يناسب كل امة وكل محيط وكل وقت – فقول اللورد كروم في بعض الموضع من كتابه :

« ان من الاسباب التي اوجبت فشل الاسلام أنه جمع بين الدين والشرع بفعلها جزءاً واحداً غير قابل للتفریق او التغيير فتتجزء من ذلك أن تلاشى من النظام الاجتماعي ما فيه من المرونة »  
 قوله هذا بعيد عن الحقيقة والصواب الا أن قصد به تلك الاقوال التي اوجب العمل بها بعض متاخرى الفقهاء ، وهي اثنا اثنتي بها لما يناسب زمن المفتى ومحيطة – ونحن اثنا زيد بالدين الاسلامي ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة لا غير ، وان ماجاه فيها من القواعد صالح ومناسب لكل وقت ، وما زاد على ذلك مما يحدث من القضايا والواقع فيرد اليها نصاً او قياساً الح ، وقد قدمنا في مسلف ان المصلحة المرسلة والعادة هما من اهم قواعد الشريعة المطهرة يترك

العمل بالنص لها لانه لا ينافيها كما وضحنا ذلك من قبل اتم توضيح: وقاعدة : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » هي من تلك القواعد المكينة ، والاصول الركيينة – نعم ان كثيراً من فقهاء اليوم لا يراغون تلك القواعد الشرعية الثابتة بالادلة الصحيحة التي من مقتضاهما ان تكون المرونة في الدين ، وهذا يقول ارباب الاصلاح الديني من المسلمين بعدم التقييد بما قاله الفقهاء و بوجوب استنباط الاحكام من الكتاب والسنة على نحو ما كان عليه السلف الصالح ، لأن تلك الاحكام التي افتى بها الفقهاء قبلنا موافقة لاحوال الهيئة الاجتماعية الاولى . فما كان منصوصاً عليه عمل بمقتضاه وما لم يذكر حكمه يرجع به الى قواعد الشريعة ، وكل ذلك بعد مراعاة المصالح العامة – فلو ان اللورد قصر كلامه على اقوال الفقهاء ووقف عند هذا الحد لكان خيراً له ، وكناً واياه في الاتقاد سواء ، ولكنه شطأ به القلم فتجاوز الى الطعن في القرآن نفسه ، ووصفه بأنه لا يصلح للعمل به في عصر المدنية والنور ، وأنه بذر بذور الشر في نفوس متبعيه – وقد ذكر المؤيد في رده عليه انه انتقل الى موضوع آخر واخذ يقابل بين طريقة الاسلام في عباداته وبين طريقة النصرانية فيها من صوم وصلوة متذرعاً بذلك الى الطعن على اخلاق المسلمين وآدابهم .

وهنا لا بد لي من التصريح باسم ما كنت اظن انه يخفي على امثال اللورد كرومر الذين لا يزالون يسکرون لذكر العالم المنسدنه ويعنون به العالم المسيحي ، ويتشدقون بالتمدن المسيحي والآداب المسيحية الغـ ، وهو :

لا يخفي على كل من طالع التاريخ ان الام الاوروبية كانت قبل الحروب الصليبية والاندلس في هـة من الهمجية لا يدرك لها غور ، ولا يعرف لها قرار ، الى ان اختلطت بال المسلمين واخذت العلم والصناعة عنهم الى آخر ما فصلناه فيما نقدم — فلو أن الدين المسيحي هو الذي رقى الام الاوروبية كما يفهم من كلام اللورد وامثاله ، فلـم لم يرقةـم في طول تلك المدة التي مرـت عليهم وهم يتخبـطون في ظلمـاتـ من الجهل بعضـها فوقـبعضـ ؟ وداموا كذلك الى ان قبـساـ من انوار التمدن الاسلامي الذي كان مـشـرقـاـ في الآـفـاقـ في ذلك الوقتـ . فازـحـوا بهـ عن سـمائـهمـ تلكـ الـديـاجـيـ التيـ كانتـ تـجـبـهمـ عنـ روـءـةـ الحـقـيقـةـ وـالتـمـتعـ بـمـسـاهـةـ عـذـارـ العـلـومـ وـالـصـنـاعـاتـ المـفـيدـةـ ، وتـلكـ الـديـاجـيـ كانـ مـنشـأـهـاـ الجـهلـ وـالتـعـصـبـ الدـينـيـ وـالـرـوـبـاسـاءـ الـذـينـ كانواـ يـحرـمونـ عـلـيـهمـ الـاـنتـقالـ عـاـمـ هـمـ فـيـهـ ، وـالـاشـتـفـالـ بـغـيرـ مـاـ تـفـرضـهـ عـلـيـهمـ الـكـنـيـسـةـ ، الىـ غـيرـ ذـلـكـ منـ الـاحـوالـ وـالـامـورـ الـتـيـ هيـ مـسـطـرـةـ فـيـ التـارـيخـ وـالتـارـيخـ اـكـبرـ شـاهـدـ

على مانقول

اما العرب فكانوا قبل اعتناق هذا الدين دين الاسلام امة همجيئه بربريه لا تعرف الا الجهل وسفك الدماء ووأد البنات، وغير ذلك من المنكرات ، ولماً اتاهم القرآن انار بصائرهم وهداهم الى ما فيه خيرهم في الدين والدنيا فترقوا في ربع قرن حتى وصلوا الى مالم يصل اليه غيرهم في عدة قرون ، وما ذلك الا بفضل هذا الدين الذي كان السبب الوحيد لخلصهم من ذلك الجهل الذي كان مرتكماً في قلوبهم — وما زالوا في الترقى والنجاح الى ان بلغوا ما بلغوا مما طبق الآفاق ذكره ، وملاً الكون صيته ، الى ان كانت تلك الحروب المشؤومة التي شنها الغرب على الشرق ظلماً وجحلاً وعدواناً ، فتنبه الاول من سنته ، وأخذ الثاني في غفلته ، وترك المسلمين علومهم وفنونهم ، وأضاعوا كثيراً من اوابردينهم ، فكان اوئلهم الى التقدم سائرين ، وهو لاء الى الضعف والتآخر صائرين ، ليقضي الله امراً كان مفعولاً .

فالخلاصة ان الدين المسيحي لم يكن سبب رقي اوروبا وتمدنها ، وان الدين الاسلامي ليس العلة تآخر المسلمين ونفيتهم ، ولكن الجد والاجتهاد يعلمان العجائب ، ويُظهران الغرائب ، — فلو ان المسلمين جدوا واجهدوا كما جد اسلامفهم ، خصوصاً وان نصوص القرآن

تُأْمِرُهُمْ بِذَلِكَ لِلْغَوَى فِي مَدَةٍ قَرِيبَةٍ مَا يُدْهِشُ الْعَالَمَ اجْمَعًا ، وَلَكِنْ أَبْوَا  
إِلَّا اخْتِلُولُ وَالرَّاحَةُ ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ  
فَهُوَ لَازِهًدًا بِهَا عَنْهَا نَائِي      لَكِنِ الْجَدُّ يُذِيبُ الْأَضْلَاعَ<sup>(١)</sup>  
خَافَ أَنْ يَسْعَى فِيُدْمِي رَجْلَهُ      فَرَأَى الرَّاحَةَ فِيهَا صَنَعًا

إِيَّاهَا اللَّوْرَدُ لَوْ رَفَعْتَ بِرْقَعَ التَّعَصُّبِ عَنْ وَجْهِكَ ، وَانْزَلْتَ رِينَ  
الْجَوْرَ عَنْ قَلْبِكَ ، لَظَاهِرُ لَكَ جَلِيًّا أَنَّهُ لَا عَلَاقَةَ بَيْنَ التَّمَدْنِ الْمُحْدَثِ  
وَبَيْنَ النَّصَارَى يَةَ بِوْجَهِهِ مِنَ الْوَجْهِ ، وَلَا قَصْرَتْ عَنِ الْإِعْجَابِ بِهِذَا الرَّقِيقِ  
وَتَلْكَ الْمَدِينَةِ الَّتِي تَدَعُّى أَنَّهَا مَسِيْحِيَّةً . التَّارِيَخُ يَشَهِّدُ وَاللهُ خَيْرٌ  
الْشَّاهِدِينَ أَنَّ هَذَا التَّمَدْنَ طَارِيءٌ عَلَى الْغَرْبِ وَعَارَضَ لَهُ بَعْدَ اِنْ  
اَخْتَلَطَ اَهْلُو بِالْمُسْلِمِينَ وَاخْذَوْ مَعَارِفَ الْشَّرْقِ ، وَقَدْ ظَلَ الْغَرْبُ  
وَهُوَ مُتَمَسِّكُ بِالْمَسِيْحِيَّةِ بِضَعْفَةِ عَشْرِ قَرْنَآَيَّاً بَعِيدًاً عَنِ الْمَدِينَةِ وَالْعِلُومِ  
وَالْمَعَارِفِ وَالصَّنَاعَاتِ النَّافِعَةِ إِلَى غَايَةِ يَنْجِلُ الْعُقْلَ مِنْ تَصْوِرِهَا ،  
وَالْقَلْمَنْ مِنْ تَصْوِيرِهَا ، وَاللِّسَانُ عَنْ تَبَيِّرِهَا ، فَمَا نَفْعَ اُورُوبَا مَا لَدَهَا  
مِنَ الدِّينِ وَرَجَالُهُ فِي رُفْعَهَا مَا كَانَتْ فِيهِ مِنَ التَّأْخِرِ وَالْمَهْمَجِيَّةِ – عَلَى  
أَنَّهَا لَمَا اَخْذَتْ بِاسْبَابِ الْعِلْمِ وَتَقْدَمَتْ نَحْوَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ اَخْتَلَطَتْ  
بِالْمُسْلِمِينَ قَامَتْ قِيَامَةُ الْاَكْلِيرُوسَ عَلَيْهَا وَكَفَرُوا كُلُّ مَنْ يَتَعَلَّمُ غَيْرُ

(١) الْبَيْنَانُ لِلْوَلْفِ مِنْ (الشَّرْقِيَّاتِ)

علوم الكنيسة وأضطهدتهم وقتلتهم وحرقهم الى غير ذلك من الفضائع التي سوّدت صفحات التاريخ ، وشوّهت وجه الإنسانية . وألقووا بذلك العهد محكمة التفتيش لمناهضة من يروم تلقي العلوم التي أتتهم من المسلمين ، وقد أصدرت في مدة وجيبة حکماً بالاعدام على نحو ثلاثة واربعين ألفاً ... ، فكانوا بين مقتول ومحروم ومشنوق ....

متى كان للسيجية مدينة يفتخر بها سوى تعاليم الكنيسة التي لا يجوز لأحد أن يتلقى سواها ؟ وهي كما علت اخروية بحثة ، وتأمر بالنفرة من كل رقي وتقديم دينوي ، حتى انها انظر الى الاغنياء نظرها الى اعظم الجرميين المذنبين ، فحرمت عليهم الدخول في ملوكوت السموات ، فزمام امر الامة كان بيد رؤسائها الروحين وبيدهم الحل والربط حتى انهم صرّحوا أن اراده السماء تابعة لارادتهم ، فما رأوه حسناً وان كان سيئاً فهو حسن عند الله بزعمهم ، فائزروا بذلك على نفوس الناس وملوكوا ارادتهم وحربيتهم ، حتى يقنأ تابع الكنيسة ان لا عزم لهم ولا ارادة : فما يأمر به الكاهن فهو الحق وان كان خطأ صراحأ .

جاء في كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة بعد كلام ما نصه مع حذف بعض الجمل :

« من هنا أعرض المسيحيون الاولون عن شواغل هذا الكون  
وصدوا عن سبيل النظر فيه اظهاراً للغنى بالاعيال والعبادة عن كل  
شيء سواها ، وحجر على هم النفوس أن تهض إلا إلى الدعوة إلى  
ذلك الاعيال وتلك العبادة ، ووسائل الدعوة هي الاعيال والعبادة كذلك ،  
فإذا نزع العقول إلى علم شيء من العالم وضعوا أمام نظرها كتب  
المهد القديم ، وحصروا العلم بين دفاترها مستغناء بالوحى عن كل عملٍ  
للعقل سوى فهمه من عباراته ، وليس يسوعن أكل ذي عقل فهمه ،  
بل إنما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفاً من الزيف عن الاعيال  
السليم ( البروتستانت رأوا انه يجوز تفسير الكتاب لغير الكنيسة )

حضرروا التعليم في الأديار ، ومنعت الكنيسة ان ينشر بين  
ال العامة إلا ما كان دعوة إلى الصلاح وتقدير الاعيال على وجه ظاهر ،  
وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه واسراره  
— ظهرت ذات الذنب التي تُنسب إلى هالي في سنة ٦٨٢  
فاضطررت لظهورها أوروبا وجلأوا إلى البابا واستجحروا به فأجارهم  
وطردوها من الجنة فوأتمت في الفضاء مذعورة من لعنته ولم تعد إلا  
بعد خمس وسبعين سنة !!

لم يكن يسمح لاحدان برأيًا يخالف صريح ما في الكتاب ،  
وعند ما اظهر ( بلاج ) رأيه في أنَّ الموتَ كان يوجد قبل آدم ،

اي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يُخضيء آدم بالاكل من الشجرة قام لذلك ضوضاء وارتفعت جابة وانتهى الجدال والجلاد الى صدور امر امبراطوري بقتل كل شخص يعتقد بذلك ! يقول المؤرخ : وهكذا عد الاعتقاد بان الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك .

أحرقت كتب البطالسة والمصربيين بالاسكندرية على عهد جول قيسار ، ثم ان (تيوفيل) بطريرك الاسكندرية اتحل ادنى الاسباب لـ إثارة ثورة في المدينة لـ إتلاف ما بقي في مكتبة البطالسة : بعض بالاحراق وبعض بالتبديد . وقال (اوروسيوس) المؤرخ انه رأى ادراج المكتبة خالية من الكتب بعد ان نال (تيوفيل) الامر الامبراطوري بـ اتلافها ، بنحو عشرين سنة .

ثم جاء بعد (تيوفيل) ابن اخنه (سيريل) وكان خطيباً مفوهاً له على الشعب سلطان بفصاحته ، وكان في الاسكندرية بنت تسمى (هيباقي الرياضية) تشتغل بالعلوم والفلسفة ، وكان يجتمع اليها كثير من اهل النظر في العلوم الرياضية ، وكان لا يخلو مجلسها من البحث في امور اخر خصوصاً في هذه المسائل الثلاث : من اناجح والى اين اذهب ؟ وماذا يمكنني أن اعلم ؟ فلم يتحمل ذلك القديس (سيريل) مع ان البنت لم تكن مسيحية ، بل كانت على دين آبائها

الصربين ، فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها وهي سائرة الى دار ندوتها وجرّدواها من ثيابها ، واخذوها الى الكنيسة مكشوفة العورة وقتلوها هناك ، ثم قطّع جسمها وجرّد الجم عن العظم ، وما بقي منها أُلقي في النار » اه وجاء في مجلة « المقتبس » لصاحبها محمد افندى كرد على الدمشقى ما نصه :

« قال (قوندي) في تاريخه : ان مسيحي اسبانيا لما استولوا على قرطبة حرقوا كل ما طالت اليه ايديهم من مصنفات المسلمين ، وعددها مليون وخمسون الف مجلد وجعلوها زينة وشعلة في يوم واحد ، ثم رجعوا على سبعين مكتبة في الاندلس وانشأوا يتلفون كل ما عثروا عليه في كل اقليم من مؤلفات العرب . وقال احد المؤرخين (ربلس) : ان ما احرقه الاسبانيون من كتب الاندلسيين بلغ الف الف وخمسة آلاف مجلد . وذكر بعض المؤرخين أن أحد جاثلتهم امر باحرق ثمانين الف مجلد في ساحات غرناطة عقب سبيائهم عليها وانهم قبضوا على ثلاثة سفن قاصدة من اكشن نقل ما عزّ على المسلمين أن يخلفوه وراءهم من اسفارهم ، فالقوها في قصر الاسكوريا ثم لعبت فيها النيران . وبقيت منها بقية رأس هرستها احد مسيحيي سوريا ، وجعلوها الى اليوم مكتبة يتباها علماء

الارض ، وكان بقي منها على عهد من رأبها ١٨٥١ سفراً . وقد أدى معه  
قوم ان المسلمين حرقوا كتب الامم قبلهم في الفتح فعاملهم الدهر  
بعملهم بعد : فقالوا أنَّ عمر بن الخطاب (رضه) امر باحرق  
كتب الاوائل وانه امر عمرو بن العاص باحرق مكتبة الاسكندرية ،  
وفيها قسم كبير من حكمة اليونان وغيرهم من الامم الخالية ، وانه  
حرقوا مكاتب فارس في خلال الفتح ، وان عبد الله بن طاهر قاء  
المؤمن حرق في خراسان سنة ٢١٣ للهجرة ما كان باقياً من مؤلفات  
المحوس ، الى غير ذلك مما يندزعنون به من الحجج ، وهو مردو  
عند اهل التحقيق ونقدة الاخبار ” ١٩ ”

(١) حريق مكتبة الاسكندرية ، لازالت الاسن نلهم بذلك ، ويزع  
البعض ان عمر بن الخطاب امر عمرو بن العاص باحرقها ، وليس لما ادعوه  
نصيب من الحقيقة ، فان المكتبة اتتها نكبات كثيرة من احرق وتبديل  
وقد ذكر المؤرخون انها ماحت النشوة على (بلوس) بسبب طلبهم (كيلوبطرون)  
واراد الثائرون ان يفكوا به وبأخذوها منه لينقموا منها فشرعوا في الاستيلاء  
على اساطيله فلم يكن به الخلاص من هذا الخطير الجسيم الا باحرق المراكب  
وقد سرت النار الى القصر الملوكي واحرق المكتبة الشهيرة بالاسكندرية .  
— على ان بعض مصائب هذه المكتبة كان على ايدي رؤساء الدين من  
النصارى كما يشهد بذلك التاريخ ، وفيما اسلفناه من الكلام المنقول عن  
الاستاذ الامام عبارة لمن اراد ان يعتبر ، فقد قدمنا ان (اورسيوس) المؤرخ  
رأى بعيني رأسه مواضع الكتب خالية بمعنى فيها البوم بعد ان انلقت بخوا

هذا ولو اردت أن اعد لجناب اللورد تلك الجهالات والجرائم التي كانت في اورو با قبل ان ترى بصيص العلم لا حجت الى وقت كبير ومجلدات ضخمة ، ولكن فليعمل نظره الى تاريخ اورو با في القرون الوسطى التي يسمونها عصور الظلمات يجد صحة ما يقول لما دخلت تلك العلوم علوم المسلمين الى اورو با ورأى الراغبون فيها ذلك الاضطهاد العظيم والقتل والحرق من قبل رجال الدين — اخذوا واتعلموها سرًا وقد لا يقوى سبيل ذلك الا لاقى بوجدوا

عشرين سنة ، وقد أتلفها (توفيل) بطريق الاسكندرية بعد ان نال الامر الامير اطواري بانلاقها — هذا وان ما دعوه من احرار المسلمين بذلك المكتبة لو كان صحبياً لذكره قدماء المؤرخين من المسلمين ولو باشارة خفية ، ومن راجع التواریخ العتمد عليها كابن جریر والمسعودي والبلاذري وسيرة العمرین وغيرهم يعلم صحة ما نقول، بل لوصح لا ورده اصحاب كتب الحديث . أما وكل ذلك لم يكن فناها في قصة موضوعة كغيرها من الموضوعات التي اخذها من لا رؤية ولا نقدية مسلمة توصلاتها للنيل من الامام رضي الله عنه ، ولهموا المسلمين بكرامة العلوم والفلسفة ، على ان من بسطاء المسلمين من صدق هذا الزعم وجعله حجة للتغیر عن الفلسفة وعلوم الاولين وهو من الخطأ بمكان صحيح وكل ما نسب للؤرخين منقول عن القبطي من اهل القرن السادس وعن ابن العزي النصراوي ، وهي كما علمت رواية مثلاً فمدة عن الوضاعين لعدم ثبوتها في كتب منقدمي المؤرخين بل ولا في كتب متأنٍ خرجهم التي بوثق بها ، والثابت في التاريخ ان الحريق طرأ على هذه المكتبة صرات قبل الاسلام . قال المقنيس: ولما فتحت الاسكندرية في الصدر الاول لم يكن في مكتبتها —

نصباً شديداً، وما زال العلم والجهل يتناهضان ويتصارعان إلى أن  
صرع الحقُّ الباطلَ، «ان الباطل كان زهوقاً» «بل تزدُفُ بالحقِّ  
على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون» — «انها  
بقاء الباطل في غفلة الحق عنده»

هذه هي المدينة المسيحية التي يفضحها جناب الورود وأمثاله،  
وهي كما علت ناقص العلم والفلسفة وكل رقي — وان لهذه المدينة  
من مقاومة الفلسفه والعلماء من كل ملة ما يحمر له وجه الإنسانية،

— من الكتب ما يدعى إلى مدح الفاتح اليهابي، من الأذى والحرق، ولذا  
لم يذكر هذا الخبر أحد من معاصر الفتح من المؤرخين سواء كانوا من الروم  
أو غيرهم — وقد اعترف بذلك المصنفوون من مؤرخي الأفريقي، قال بعض  
مؤرخيهم : حرق مكتبة المتحف في خلال حصار قيسارية الاسكندرية  
ولكن كان لما فرع جعل في السراي يوم وفيه على ما يقال ثلاثة الف مجلد،  
وقيل ان هذه المكتبة الثانية حرقت المسلمين في القرن السابع للبلاد ولكن  
الظاهر أنها فقدت من قبل « اه وهذا هو الحق الموعَل عليه — وللي في هذه  
الموضوع رأي ولم أرأ أحداً من تصدى لهذه المسألة التاريخية التي به وهو ما يجدر  
إيراده وذلك انه اشتهر في التاريخ ان عمر بن العاص كان ميلاً بعد ما فتح  
مصر واستولى بجيشه على الاسكندرية لرجل يسمى بوجنا التحوي وهو رجل  
مسيحي من بقایا اليهوديين ، وكان في مبدأ أمره ملاً حاث مال إلى العلم بسبب  
ما كان يسمعه من العلامة حين يرکبون معه ، فقال من الفلسفة وهو ابن اربعين  
ربما شيئاً كثيراً حتى عذر من فلاسفة عصره واطبائهم ومناطقهم . قال  
الاستاذ الامام : يقول كثيرون من مؤرخي الغربيين ومؤرخي المسلمين : ان عمرو بن

وئفر منه الفوس الوحشية ، فضلاً عن البشرية . — جاء في كتاب الاسلام والنصرانية تحت عنوان : « مقاومة النصرانية للعلم » مانصه :

« لا اجد في التاريخ ذكرًا للعلم والفلسفة بعد ظهور المسيحية في مظاهر القوة لعهد قسطنطين وما بعده الا في اثناء المنازعات الدينية التي يفصل فيها تارة بسلطان الملك وأخرى يجمع الماجموع وثالثة بسفك الدماء ، فتخمد شعلة العلم وينتصر الدين الحض . وإنما الذكر كل الذكر لما بين المسيحية وما جاورها من الملل الأخرى من الحروب الدينية للحمل على العقيدة بما يعتقده المسيحيون ، وما يقع بين ملوك أوروبا من اتسافك في الدماء باغراء رؤساء

— العاص سمع به فاستدناه منه وأكرمه ألمده ووقت بينها مجده ظهر أمرها واشتهر حق قال أحد فلاسفة الغربين : ان الحبة التي نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر وبين يوحنا التحوي ترتبنا مابلغ مايسو إليه العقل العربي من الأفكار الحررة والرأي العالمي — مجرد ما أعتقد من الوثنية الجاهلية ودخل في التوحيد الحمدي أصبح على غاية من الاستعداد للجولان في ميادين العلوم الفلسفية والادبية من كل نوع » — اقول هل يتصور ان يستاذن عمرو بن العاص امير المؤمنين عمر (رضه) باحراق مكتبة الاسكندرية وهو كاعنة مثال للفلسفة والفلسفة يحب مجالستهم وبستانس بمحابيتهم ، ان هذا لم ينافض ، فثبتت ان هذا الخبر اخلاق بحث وكذب صراح . هذا ما اردت ايراده الان عن حر بي مكتبة الاسكندرية في هذه المقالة .

الكنيسة وامر ذلك معروف عند من له إمام بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه . ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في اوروبا بعد ظهور الاسلام واستقرار سلطاته في بلاد الاندلس واحتلال الاوروبيين المسلمين في الحروب الصليبية »

وجاء في موضع اخر منه ما نصه :

« ظهر القول بكرودية الارض — ذلك القول الذي عرفه المسلمين وصار رأيآ لهم في اول خلافة بنى العباس ولم تتحرك لهم شعرة في بدن — فاحدث اضطراباً شديداً في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع من الحوادث في شأنه »

ثم ذكر الاستاذ بعد ذلك ما حدث لكريستوف كولب عند ما اراد ان يقصد للسفر في المحيط الاطلanticي لاكتشاف ارض جديدة وما كان من اهتمام الكنيسة وحكم بجمع سلامانك بأنه مخالف لاصول الدين ١١٠٠

ثم ذكر مقاومة الكنيسة لمشروع الاطباء بالحقن تحت الجلد ، وقال ان هذه الطريقة الطبية اكتشفت عند المسلمين في الاستانة العلية ثم نقلتها الى اوروبا امرأة تسمى (ماري مونتاجو) سنة ١٢٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها — وذكر ايضاً ما حصل عند ما اكتشفت طريقة تعقيم الجندي — وذكر ايضاً مقاومة

القصوس لمشروع تسهيل الولادة بحججة انه يخلص المرأة من تلك اللعنة او تلك العقوبة التي سُجّلت عليها في سفر التكوين انخ ثم ذكر الاستاذ تحت عنوان « البروتستان او الاصلاح » مانصه : « وربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، ولكن قام في المسيحية مصلحون يرون ارجاع الدين الى اصل الكتب المقدسة و يبيحون لعامة اهل الدين أن ينظروا فيها ويفهموها ، وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والعقول من عهد ظهور الاصلاح والرجوع به الى اصول الدين الاولى فبرزت شمس العلم بالغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن الا ان يكون جريأاً مع طبيعة الدين

لا اذ كر الجواب عن ذلك الا ما ذكره البروتستان انفهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانوناً يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة ، وقد ام ( كلفان<sup>(١)</sup> ) باحراف ( سيرفيت ) في جنيف لانه كان يعتقد أن الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابداع قبل مجمع نيقه . وكان يقول : ان روح القدس ينش الطبيعة باسرها ، فكان جزاًًا على هذا أن يُشوي على النار حتى مات وهكذا أحرق ( فايتى ) في تلوز سنة ١٦٢٩

( ١ ) كلفان هو زعيم الثاني للبروتستان

كان (لوثير<sup>١</sup>) أشد الناس إنكاراً على من ينظر في فلسفة (ارسطو) وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخنزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا يأس بها اذا صدرت من اهل الغيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! – وكان كلفان اقل شتاً للفيلسوف من لوثير لكنه لم يكن احسن ظناً به ولا اوسع صدرأً من يطلع على شيء من كتبه . وكان علماء المسلمين يلقيون هذا

(١) لوثير هو الزعيم الاول للبروتستانت وقد ذكروا في ترجمته انه كان راهباً كاثوليكي المذهب الماني الجنس ، اراد اصلاح المذهب الكاثوليكي وقال بعدم مشروعية النظام الكنائسي والرهبنة على الاطلاق والاعتراف وتجسيد القربان وغير ذلك من الامور التي اقرّ عليها ائمة المذهب الكاثوليكي منذ اجيال ، فحرمه البابا وحكم ببروقة عن الدين بعد أن كلّه بالتوبيه والرجوع عن طرقته وحرّم مطالعة ناليفه ، ولكن لم يكثّر لوثير بهذه الاجرأت بل استمر ينشر مذهبة وبوبيده بالبراهين حتى انتشر في جميع الاطراف ، وتبعه كثيرون من ابناء المانيا ، وتوفي سنة ١٥٤٦م وكانت ولادته سنة ١٤٨٣م بعد ان تزوج راهبة ابنته واتت منه بعده اولاد ، وهو مؤسس المذهب البروتستانتي المشتق من لفظة (بروستو) اي اقامة المحجة ، وهو المذهب السائد الان في شالي المانيا والدنمارك والسويد والفلمنك وانكلترا وامييريكا الشمالية ومنتشر في غالبية الجهات الاخرى ، وابناته بعض اقباط مصر ، وانتشرت بسببه عدّة حروب في المانيا وفرنسا أهمها الحرب المعروفة بحرب الثلاثين سنة التي استمرت من سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨ وانتهت باستھصال البروتستانت على الحريمة الدينية . ذكر ذلك محمد فريد بك في تاريخ الدولة العلية .

الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين ١١

قالوا: البروتستان قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وباطل السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الاخروية وباطل عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بأنَّ الكتب المقدسة هي نبراس المداية في طريق العلم البشري كما أنها منبع نور الایمان بالدين الالهي ، وأنَّه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوتة ، وأنَّه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها . وبالجملة إنهم لم يبطلوا اصلاً من الاصول الستة<sup>(١)</sup> التي تقدمت ، الا انهم قالوا بنع غلو الروسae في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قولنا

قالوا : ولماذا لم يكن مذهب الاصلاح أخفَّ وطأةً على العلم ولا افضلَ معاماً له من الكاثوليكي ، لأنَّ كلا المذهبين يرجع الى

(١) الاصول الستة للنصرانية التي اشار اليها الاستاذ في التي وردت في الاناجيل المعروفة الآن في ايدي المسيحيين وجاءت في كلام امتهن الاولين وهي : (١) الخوارق (٢) سلطة الرؤساء (٣) ترك الدنيا (٤) الایمان بغير المعمول (٥) ان الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج اليه البشر في المعاش والمعاد (٦) التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الاقرئين . وقد فصل الاستاذ هذه الاصول في الكتاب المذكور ثم ذكر نتائجها وآثارها ، فلابد من شاء .

طبيعة واحدة ، ولم يكن لأهل النظر العقلي جزاء في كلتا المأئتين إلا القتل وسفك الدم » ١٩

يا جناب اللورد : هذه المدينة المسيحية وهذه اعمالها حتى في عهد الاصلاح البروتستاني : مقاومة العلم والعلماء ، ومناهضة الفلسفة والفلسفه ، وهذه هي المدينة الاسلامية ، وهذا ما أَ كسبه الاسلام للعالم اجمع من المدينة والعلوم والصناعات ، فهل أَ كسبت المسيحية مثل ذلك ؟

نعم ان عقلاً الام الاوروبية لما رأوا تقدم المسلمين ومدنية لهم علموا ان لا رقيّ لهم ولا مجد الا بثقلدهم والسير في طريقهم ، فالفضل بذلك لهم لا لدينهم ، لانه كما قدّمنا لم يرق بهم في سلم المدينة حين كانوا متمسكين به وبقواعديه ، وانهم لما تركوه وعملوا بغير ما يأمر به واعتصموا بالعلوم والتدين الاسلامي الذي يخالفه كل المخالفة من حيث الحياة الدنيا اخذت نقشع عنهم سبب من الجهل والوحشية اظلّتهم زهاء سبعة عشر قرناً . يدلّك على ذلك ان الاصلاح المدني لم يحصل الا على ايدي قوم من غير رجال الدين بذلوا الجهد في سبيله وسهلوا كل ما كانوا يجدونه من العقبات التي كانت تُلقى امامهم من ايدي رؤساء الدين ، الى ان ظهر وا عليهم وقطعوا على اوهامهم

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في احدى الكليات رأى رأياً لا يرود للحزب الكاثوليكي فرمي البaba وطلب من الحكومة عزله ، وكانت احدى المعضلات السياسية ، غير ان عزيزة (بسمارك) انصرت مدينة القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاسناد وجعلت التعليم تحت السلطة المدنية . وامثال هذه المسائل كثيرة مسطورة في كتب التاريخ فليرجع اليها من اراد التوسع ، وفيما قدمناه مقنع لما اراد الحق ورام البصر .

هذا ما اردنا ايراده من الكلام على المدينة الاسلامية ، وما جاء عرضاً من المقابلة بين المدينةتين ، توهيناً لاركان كتاب « مصر الحديثة » - وسفرد الكلام على مدينة الاسلام وما جاء به من الاصلاح كتاباً مطولاً خاصاً بذلك نبيه « حياة محمد صلى الله عليه وسلم » - وليك الان رد ما بقي من اعتراضات اللورد علي الدين الاسلامي



## المتعصب في الإسلام

كلمة التهسب لمحج بها كثير من الاوربيين ووصفوا بها المسلمين ، واللورد كرومر ال يوم يضرب على الوتر الذي يضرب عليه اوئل المتعصبين من الاوربيين ، ويقصدون بذلك ان المسلم يجب الانتقام ويكره من كان على غير دينه ، وينسبون ذلك الى ما يبته في القرآن من روح الحقد والانتقام والتعصب على الاغيار ، الخ ما يتشددون به ، وهذا القول من اللورد وامثاله هو عين التعصب الاعمى ، لانه بعيد عن الحقيقة ، وليس له نصيب من الصحة ، وفيما قدمناه من الآيات القرآنية الـ آمرة بالجاملة والعفو والأخلاق الكريمة مقتضى من أحب الحق أو ألقى السمع وهو شهيد . ومع ذلك فلا بد لنا الان من محاراة جناب اللورد والدخول معه في هذا البحث لنُريه الحق حقاً عسى أن يتبعه ان كان معتقداً صحة ما يقول ، أماً ان كان منشاً مايقوله التعصب النديم كما نظن فلا ثفعه موعظة ، ولا يوثر فيه برهان ، ولو كان اجل من الشمس .

عهدنا بالرجال العظام من كل امة انهم دائمون وراء ما يعود على هذا المجتمع بالخير ، فترى كل عالم عظيم يثبت في قومه روح

التألف والتحاب والمودة ليُوجد فيهم عاطفة الإلفة مع الناس على اختلاف اديانهم ومذاهبهم ، ليكون الجميع اعضاء نافعين في هذا المجتمع ، يسعى كل فريق لنفع الآخر ، تكون المفعة متبادلة ، وبذلك ترقى الهيئة الاجتماعية في معارج التقدم والفلاح — اما جانب اللورد كرومر فعرَّفنا في كتابه « مصر الحديثة » أنه ليس من اوئلك النظام لأنَّه ألقَ فيهم بما يهيج الصدور وينهي الاحقاد ويظهر تلك العداوة التي أماتتها المدينة ، وعمل على اطفاء جذوتها العلماء العاملون من كل امة : فاخذ يصف المسلمين بالتعصب ويدمُّ قرآنهم ويصفه بما لا يعرفه مسلم ، فكان جناب اللورد مسَّه ماسٌ من جنون فهو يهرب بما لا يعرف . على أنه لو درس القرآن حقَّ الدرس لوجد فيه كثيراً من الآيات الدالة على وجوب معاملة الأغيار بالحسنى ومحاملاتهم ، ووعدت من يعذِّبُ اليهود سوء بالجزاء في الدنيا والعذاب في الآخرى ، وقد قدمنا كثيراً من تلك الآيات فيما سبق ، ويجدون بنا الآن أنَّ نورد بعضاً مما قاله محمد رسول الله (ص) مما يأمر بالحسنى ومحاملاة الأهل والصفح عن المذنب :

قال عليه الصلاة والسلام : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » وهذا كلام عام يشمل المسلمين وغيرهم ، فليس ب المسلم على الحقيقة من يُوذى احداً من المخلوقات ، ويدخل في هذا العموم

الذميين والمعاهدون وَمَنْ هُمْ فِي أَمَانِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِيذَا وُهُمْ وَإِيذَا  
الْمُسْلِمُ سَوَاءٌ ، لَانَّهُ لَهُمْ مَا نَالُوا وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا ، قَالَ الرَّسُولُ : « مَنْ  
أَذَى ذَمِيًّا فَأَنَا خَصِّمُهُ وَمَنْ كَنْتُ خَصِّمَهُ خَصِّمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »  
وَقَالَ مَنْ أَذَى ذَمِيًّا فَقَدْ أَذَانِي » فَتَرَى أَنَّهُ بِهَذَا الْكَلَامِ يُعَلِّمُنَا أَنَّ  
نَعْمَلُ لِلْأَغْيَارِ كَمَا نَعْمَلُ اهْلَ دِينِنَا مِنَ الرِّفْقِ وَعَدْمِ الْأَذِيَّةِ . وَسَنَفِرُ  
لِهَذَا الْمَوْضِعِ فَصَلَّى خَاصًا فِي هَذَا الْكِتَابِ .

وَقَالَ الرَّسُولُ أَيْضًا : « مَنْ غَشَ فَلَيْسَ مَنًّا » أَيْ لَيْسَ مِنَ  
الاسْلَامِ فِي شَيْءٍ ، مَنْ غَشَّ أَحَدًا لَانَّ الغَشَ حَرَامٌ لِكُلِّ عِبَادِ اللَّهِ ،  
فَإِنَّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ (ص) :

« الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِبَادُ اللَّهِ ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ »

فَتَرَاهُ فِي كَلَامِهِ لَمْ يَخْصُ بِوجُوبِ الْمُعَامَلَةِ بِالْحُسْنَى الْمُسْلِمِينَ فَقَطْ بِلِعْمَمِ  
الْكَلَامِ حَتَّى يَشْمَلَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ ، وَهَذَا هُوَ مَا يَلِيقُ بِجَنَابَةِ الشَّرِيفِ  
لِيَحْتَقِقَ مَا وَضَفَهُ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حِيثُ قَالَ : « وَإِنَّكَ  
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وَقَالَ : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » وَرَحْمَتُهُ  
(ص) بِالْعَالَمِينَ لَيْسَ قَاسِرَةً عَلَى عَالَمِ الْعُقَلاَءِ فَقَطْ بِلِإِنْهَا شَمِلتَ الْعُقَلاَءَ  
وَغَيْرَهُمْ ، فَقَدْ كَانَ يَأْمُرُ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِجَمِيعِ الْمُخْلُوقَاتِ حَتَّى قَالَ :  
« مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذِيْحَةً عَصَفُورَ رَحِمَ اللَّهُ » وَقَالَ : « فِي كُلِّ ذَاتِ  
كَبِيرٍ حَرَّى أَجْرٍ » وَقَدْ قَلَّنَا فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ فِي كِتَابِنَا « لِيَابِ »

الخيار في سيرة الختار» ص ٧٣ مانصه : (الحرَّى) : العطشى مؤنث الحرَّان بمعنى العطشان . والمعنى أنَّ الإنسان يُؤْجر بكل عمل خيرٍ يعمله ولو بستي الماء للاحتاج اليه من بني آدم وغيرهم من الحيوانات والبهائم ، وقد ورد في الحديث : «غفرَ لامرأةٍ موسمةٍ مرأتٍ» بكاب على رأس رُكْيَةِ يَلْهَثُ كاد يقتله العطش فترعى خفَّها فاوشقته بخمارها فترعى له من الماء ففُرِّ لها بذلك» رُكْيَةٌ : جمع رُكْيَةٌ وهي البئر ، ويلهث : معناه يخرج لسانه من العطش . ولا يخفى ما في قول الرسول هذا من الحثٍ على الرفق بالحيوان والشفقة عليه ، وقد ورد كثير من الأحاديث الدالة على تأكيد ذلك والمحاثة عليه ، فليستفيد منها ما شاء كلَّ من يسعى بإنشاء الجميات للرفق بالحيوانات من أهالي أوروبا وغيرهم ) اهـ ما كتبناه هناك  
وقال الرسول أيضاً: «أدرِ الامانةَ إلىَ مَنْ ائْتَمْنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» — وقال: «البُرُّ حسنُ الْخُلُقِ وَالاَثْمَ ما حاكَ في صدركَ وَكَرْهَتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» — وقال: «ترك الشَّرِّ صدقةٌ» فهو بهذا الكلام يعلمنا أنَّ في تركنا الشرِّ ثواباً من الله وصدقة فكيف اذا قرن تركه بفعل الخير والسعى ورا، نفع العباد— وقال: «ثلاثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَانْ صَامَ وَصَلَّى وَحَجَّ وَاعْتَمَرَ وَقَالَ اِنِّي مُسْلِمٌ: اذا حدثَ كذب ، واذا وعدَ أخلف ، واذا ائْتَمْنَ خان ، فهو يرشدنا

بهذا الكلام الى أنَّ الاعتقاد اذا لم يصحبَه عملُ الخير وتركُ الشر  
 والخلق بالأخلاق الكريمة فهو نفاق ، لأنَّ العمل الصالح أثر الامان  
 الصحيح ، فمن آمن حقَّ الامان ، انزجر بزاجر القرآن ، وقد ورد:  
 الامان غرثان ، اي جائع يطلب العمل كما يطلب الجائع الطعام —  
 وقال : « صنائع المعروف ثقي مصارعَ السوء ، وصدقَة البر تطفئ  
 غضبَ ربِّنا ، وصلة الرحم تزيد في العمر » — وقال : « الراحمون  
 يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء »  
 وقال : « يصل من قطلك وأحسن لمن اساء اليك ، وقل الحق  
 ولو على نفسك » — وقال : « الظلم ظلمات يوم القيمة » — وقال :  
 « العفو لا يزيدُ العبدَ الأعزَّا ، والتواضع لا يزيدُ الأرفعَة ، وما  
 نقصَ مالٌ من صدقة » — وقال : عَلَمُوا ويسروا ولا تُعسروا ، وبشرُوا  
 ولا تنفروا ، وإذا غضب أحدكم فليستكْ — وقال : « الغادر يُنصب  
 له لوبي يوم القيمة » — وقال : « الفُلُّ والحسد يا كلان الحسنات كَا  
 تأكل النار الحطب » — وقال : « فَكُوا العاني وأجيبيوا الداعي وأطعموا  
 الجائع وعدوا المريض » — وقال : « الفضل في أن تصلَّ من  
 قطلك ، وتعطيَ من حرمك ، وتغفوَ عنْ ظلمك » — وقال :  
 « قُلِّ الحقَّ وانْ كانَ مُرًّا » — وقال : « قولوا خيراً تعموا  
 واسكتوا عن شرِّ تسلوا » — وقال : « كلُّ معروفٍ صدقة » —

وقال: «بَرْتُ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُولَكَ بِهِ مُصْدَقٌ  
وَانْتَ لَهُ بِهِ مَكْذُوبٌ» - وقال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرْعَةِ<sup>(١)</sup> ، إِنَّمَا  
الشَّدِيدُ مَنْ يُمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْفَضْبِ» - وقال: «لَقَدْ شَقَقْتُ  
أَنْ لَمْ أَعْدُلْ» - وقال: «لَيْسَ لَاحِدٌ فَضْلٌ عَلَى احَدٍ إِلَّا بِدِينِ  
أَوْ أَعْمَلِ صَالِحٍ» - وقال: «لَا يَمْهَانُ لَمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ  
لَمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» - وقال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَجْبَلَ لَأَجْبَلِهِ  
مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» - وقال: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضَرَارٌ» - وقال: «مَنْ  
حَسِنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَالًا يَعْنِيهِ» - وقال: «مُدَارَّةُ النَّاسِ  
صَدْقَةٌ» - وقال: «مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ أَعْمَالُ أَهْلِ الْجَنَّةِ» - وقال:  
«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» - وقال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ  
بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَوْدِعُ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَلِيَكُرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلِيَقُلْ  
خَيْرًا أَوْ لِيَصُمِّتْ» - وقال: «مَنْ أَتَاهُ أَخْوَهُ مُتَنَصِّلًا<sup>(٢)</sup> فَلِيَقُلْ  
ذَلِكَ مِنْهُ ، مُحَقَّاً كَانَ أَوْ مُبْطَلًا ، فَإِنْ لَمْ يَفْعُلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ  
الْحُوضُ» - وقال: «نَامُوا فَإِذَا انتَبَهُتُمْ فَأَحْسَنُوا» - وقال: «هَلْ  
يَكُبُّ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمُ الْأَحْصَادُ أَسْتَهِمُ» - وقال: «هَلْ

(١) الصرعة هو من بعض الناس اي بغيرهم (٢) متصلأً مثبرأً  
من ذنبه .

تصرون و ترزقون الاً بضعفائهم»

وهذا قليل من كثير ما تفوّه به الرسول عليه الصلاة والسلام في الآداب والحكم والأخلاق ، وقد نقلت هذه الاحاديث من كتابي «باب الخيار في سيرة المختار» على أنَّ كتب الحديث مملوأةً بما مثل هذه الكلمات الكبيرة ، والحكم الخطيرة ، وما هذه الاحاديث بالنسبة لما في القرآن الكريم الاً قطرة من بحر ، وما هي الا تفسير لما جاء فيه من الآيات الحاثة على التمسك باهداب الفضائل ، الزاجرة عن الميل إلى الرذائل ، ومن يتحقق يرَ صحةً ما يقول . على أنَّ فيما أورده من الآيات القرآنية فيما قبل ، وما أورده هنا من الاحاديث مقنعاً لمن اراد الحقَّ وطلب الصواب .

فهل بعدها يحقُّ للورد كروم أن يقلب الحقيقة ، ويظهرها في ثوب الباطل ، ويقول إنَّ الاسلام هو الذي يبثُ في نفوس متبِّعه الاحقاد والتعصب على المخالفين والذين يدينون بغير دينه ؟ – كيف يجوز للورد كروم أن يقول في كتابه « مصر الحديثة » : إنَّ الاسلام يربِّي في اهله عاطفة الكره والانتقام ، ومها عمليات مع المسلمين من خير ، ومها انقذته من خطر ، ومها اسديته من نعم ، فانك لا تقدر أن تستفيد من عملك شيئاً اكثراً من أن تحول بينك وبين انفجار بركان تعصبه عليك فعلاً ؟ – ما هذا التعصب ؟

وما هذا الزور والبهتان بعد أن وضح الصبح لذى عينين ؟  
 من الغريب أن جناب اللورد كرومر يريد أن يوَّيد مَدَّعاه  
 بغير ما هو دليل له ، وذلك لسوء فهمه أو قصده ، فعمد إلى بعض  
 آيات القرآن الواردة في معنى خاصٍ وسبب خاصٍ ، فيذكرها  
 دليلاً على دعواه من غير ثبيتٍ أو نظر . فما أستدل به قوله تعالى:  
 « وَإِذَا لَقِيْتُمُ الظَّالِمِيْنَ كَفِرُوا فَضْرِبُوا أَلْقَابَ حَتَّى إِذَا اخْتَتَمُوْهُمْ فَشَدُّوا  
 الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فَدَاءً » الخ الآيات — لوعم جناب  
 اللورد أنَّ هذه الآيات وارادة في حق المشركين الذين كانوا  
 يتربَّون الأذى للسلميين ، ويَهْجُونُ عَلَيْهِمُ الْقَبَائِلَ لِيَوْقُعُوا بِهِمْ ،  
 حتى لَكُمْ مَثَلُوا عَلَى مِرَاسِعِ الْجُورِ وَالْعَدَاءِ رواياتٌ تُبَكِّيُ الْقُلُوبَ  
 الْقَاسِيَةَ ، وَتُنَفِّرُ مِنْهَا الْوَحْشَ الضَّارِيَةَ ، — لعدل عَمَّا فَاهَ بِهِ ، ولَكُنْهُ  
 أَبِي الْأَنَّ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَا خَبْرَةَ لَهُ بِهِ ، وَاظْهَرَ الْحَقِيقَةَ فِي غَيْرِ ثُوْبَهَا  
 لِيَوْهُ عَلَى قَوْمِهِ ، كَيْ يَنْظُرُوا الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ بِعِنْدِ الْاحْتِقارِ ،  
 وَيَرْمُوهُ بِطَرْفِ الْأَزْدَرَاءِ — وَلَوْ فَهِمُ اللورد ختام هذه الآية وكيف  
 تَعْلَمُهُمْ أَنَّ يَكُونُوا مَعَ أَللَّهِ أَعْدَاءِهِمُ الَّذِينَ يَتَحِيَّنُونَ الْفَرَصَ  
 لَا غَيْرَهُمْ وَابَادُهُمْ عَنْ وَجْهِ الْبَسِيْطَةِ : لَكُمْ بِأَنَّ الْقُرْآنَ سَنْ سُنْنًا فِي  
 الْحَرْبِ وَهِيَاتٌ أَنْ تَصْلِي إِلَيْهَا أَعْظَمَ دُولَةٍ مِتَّدَّنَةٍ ، الْيَوْمَ وَقَبْلَ الْيَوْمِ ،  
 وَلَوْ كَانَ فِي قَلْبِهَا مِنَ الْخُنُوكِ وَالرَّفْقِ مَا لَا يَعْكِنُ أَنَّ يُوصَفُ : أَنْتَ تَرَاهُ

انه امرهم بمقابلة أعدائهم بالقتال ليردوا كيدهم في نحرهم ، حتى لا ينتدأ  
أذاتهم ويتسع الخرق على الراقع ، ثم امرهم بالرفق والاحسان اذا  
ظهروا عليهم ، بأن يستاسروهم ، ثم خيّرهم بعد ذلك بأحد امرتين :  
إماً ان ينْتَهُوا عليهم و يخلو سبيلهم بلا مقابل - وقد مدح هذه الخلة  
لتقديمه إياً ها على اختها - وإماً ان يطلقوا سبيلهم بفداء من المال  
يغدون به أنفسهم :

لما انتصر المسلمون على المشركين في غزوة بدر الكبرى ،  
واسروا من اسرى منهم استشار الرسول اصحابه في الاسرى قبل  
نزول الوحي عليه في شأنهم - فنهم من اشار عليه بقتلهم ، ومنهم  
من اشار باستبقاءهم ، فقال الرسول الى قولهم وأستبقاهم وطلب من  
قومهم ان يغدوهم ، فتآمروا فيما بينهم على ان لا يجتمعوا في طلب  
الفداء كيلا يتغافل المسلمون فيه ، فلم يلتفت الى ذلك ابووداعة السهبي  
وكان ابوه في الاسرى ، نخرج خفية حتى اتى المدينة وفدى آباء  
بارعة الاف درهم ، وعند ذلك بعثت قريش في فداء اسراها ، وكان  
الفداء من اربعة الاف درهم الى الف درهم ، ومن لم يكن معه مال  
للفاء وكان يحسن القراءة اعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم ،  
وكان ذلك فداءه .

ظهر مما نقدم ان الاسلام عظيم شأن الاسرى وامر باكرامهم

وعدم إهانتهم الى درجة لا توصف

وما يدلّك على أن الآية في موضوع الذين جاهروا المسلمين  
بالعداوة ونصبوا لهم الشرّ وقلبوا لهم ظهر المجنّ قوله تعالى :  
«وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله  
لا يحبّ المعذين » وقوله عزّ وجلّ : « لا ينهاكم الله عن  
الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم  
وتقسّطوا اليهم ، إن الله يحبّ المُقْسِطِين . إنما ينهاكم الله عن  
الذين قاتلوكم وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن  
تولوهم ، ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون » – فحكم القتال إنما  
هو على من صارح بالعداوة والخروج على المسلمين لاغير كما تدل عليه  
آيات القرآن الكريم ، حتى لو خرجت طائفة من المسلمين بغياً وعدواناً  
وجب مقاتلتها حتى تخلد إلى السكينة وتشوب إلى الحق كما قال تعالى :  
« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينها ، فإن بعثت  
إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن  
فاقت فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحبّ المُقْسِطِين »  
وليس عجباً من اللورد كرومر أن يقول غير الحق بعد أن  
ثبت أنه رجل متغصّب جاهل بتاريخ الإسلام وقرآنه وتعاليمه  
القوية ، ولكن العجب منه أن ينسب إلى الإسلام ما هو براء منه في

حين أنه لم يعرف عن حقيقته شيئاً .

\*\*\*

وهذا أمر لا بدّ لي من التصرّح به وهو مهمٌ في بابه ، وطالما خالج نفوس غير العارفين بتاريخ الدين من الاجانب : وهو مسألة الجهاد ، حتى ان كثيراً يعتقدون ان أمراً القتال في الاسلام من جملة بقایا الهمجية والتعصب ، بل انهم يعتقدون ان الدين الاسلامي لم يتم الا بالسيف واجبار الناس على قبوله وأعناقه — وهذه دعوى ليس عليها دليل الا التعصب الذميم ولا بدّ من توضيح هذا المقام حتى يظهر كالشمس في رابعة النهار . وقد كنت كتبت عن ذلك فصلاً مهماً في كتابي « خيار المقول في سيرة الرسول » وهالـ خلاصة ما كتبته فيه :

« من درس سيرة الرسول حقَّ الدرس يعلم أنه لم يكن معه سيف يضرب به اعناق الناس لا كراهيـم على الدين ، ولا رمح يطعن به صدورهم لاتباع طريقة المسلمين ، بل كان الأمر قاصراً على الدعوة إلى الحق والتبيـير بالاسلام ، بالأدلة الباهرة ، والحجـج الدامـفة ، وقد عارضه في ذلك من عارضه ، ومانعه من مانعه ، بغيـاً وحسداً وطمعـاً في الـريـاستـة في الدنيا ، وأكثـرـ المعارضـين يـعلـمـونـ أنهـ الحـقـ من ربـهمـ ، ولـكنـهاـ الحـمـيـةـ الجـاهـلـيـةـ ، والنـخـوـةـ الشـيـطـانـيـةـ ، اعمـتـ قـلـوبـهـمـ ،

وخيَّمت بظلامها على صبح عقولهم ، فعادت بهم عن الصراط المستقيم ، والسبيل القوي ، ولم يترکوا نوعاً من الاذى ، ولا ضرباً من الضرر والاستهزاء الا فعلوه — كل ذلك والرسول صابر على اذاهم ، متحملاً بلوادهم ، ولو لا أنَّ اللهَ كان يُنزل عليه من الآيات ما يقوِّيه على الصبر امام ما كان يلاقيه من اذى قريش ، ولو لا ما وضعه فيه من القوى الكاملة ، لما صبر على ذلك الضيق شهراً من الزمن ، حتى إنهم الجاؤه واصحابه للهجرة مراراً — فهل بعد ذلك من رجل غير بعيد عن الصواب غير نقاداً للامور يقول : إنَّ الدين الاسلامي لم يقم الا بالسيف واجبار الناس لا بالدعوة ، والاً ما معنى تلك الحروب المائلة التي حصلت ؟

— الدين الاسلامي قام بالدعوة ، والسيف اما شرع لحمايتها ودفع المعارضين لها الذين يلقون العقبات امام تقدمها السريع ، الا ترى كيف بقى الاسلام بعكة مضيقاً عليه من اهلها ثلاثة عشرة سنة ؟ وكيف انَّ الوفود كانت تأتيه للإسلام طوعاً ورغبةً بلا ارسال مبشرين ، بل بمجرد السماع لأنهم كانوا يعرفون صفتة من محاوريهم اهل الكتاب ؟ — من وضع السيف في رقاب الاشعريين ؟ من طعن بالرمج صدور الانصار اهل المدينة ؟ من اجبر وفود نجران وهم من اهل الكتاب ؟ من قهر وفدى دوس ؟ من من .. . هؤلاء

الاقوام الذين آمنوا هم كانوا سبب انتشار الاسلام ، وسطوع شمسه على الانام .

الجهاد امر مدنى لا بد منه لحياة الام لتدفع بهشر من ارادها بسوء لتُبقي على حياتها وتحفظ كيانها ، ولو لاه لاغتسال القوى الضعيف ، لأنَّ الظلم اثر من آثار النقوس كما قال الشاعر العربي: والظلم من شيم النقوس فان تجدْ ذا عفةٍ فلعلة لا يظلم الا ترى أنَّ الدوَّل جماء لوم تتخذ الاحتياط لنفسها لدفع بوادر الاعداء لآنَّهك جسمها غولُ الاضطهاد والظلم والاستبداد، وجعلها طعمةً تلوَّث بها افواه العدو ؟ — اللهم نعم —

ان الله آذنَ للسلمين أن يُدافعوا عن انفسهم ليُرثوا تيار التعصب عليهم من مجاوريهم ، وبذلك يؤمنون شرهم ، ويسلون من أذاهم . والجهاد في الاسلام انا هومن بباب المقابلة بالمثل كيلا تمتدَّ الاذية ويتبعَ الحرق — الا ترى انَّ المسلمين لم يقاتلوا قريشاً الاَّ بعد ما قاسوا منهم ما قاسوا ، وساموهم سوء العذاب ؟ : فمن مُضطهد ومن من جوم بالحجارة ومن نخرج الى الرمضاء عارٍ عن ثيابه موضوع عليه الحجارة الضخمة ، ومن مُعذَّب بالحديد المحيى عليه بالنار ، ومن ومن . . .

وأوضح برهان على ما نقدم أنَّ الرسول لم يتعرض للأقرىش

دون سائر العرب ، لكن لما تمالأً غيورهم من مشركي العرب وأتحدوا مع الاعداء أمر الله بقتال المشركين من العرب كافة بقوله : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع التقيين » وبذلك صار الجهاد عاماً لكل من ليس له كتاب من الوثنيين الذين قلبوا المسلمين ظهر الحين وأظهروا العداوة وجيّشوا الجيوش لمقاتلتهم ، وقبل ذلك لم يكونوا يقاتلون إلا أهل مكة اعداءهم ، والله لم يأمرهم ان يمحاربوا إلا من حاربهم كما قال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تفتدوا ، إن الله لا يحبّ المعذين » ولما وجد المسلمون خيانة من اليهود لمساعدتهم المشركين في حروبهم نصح لهم بأن لا ينزعوا الى ثورة ولا ينقضوا العهود فلم يتذمتو الى ذلك بل فضموا عرى العهد ونقضوا ما ابرموه مع المسلمين من عدم المهاجر ، فلما فعلوا ذلك ولم يرجعوا عن غيورهم امر الله بقتالهم بقوله : « وإنما تخافن من قوم خيانة فأنبذ اليهم على سواء ، إن الله لا يحبّ الخائنين » وقتالهم بسبب مافعلوه صار واجباً عقلاً وشرعأ لأنهم هم الذين سعوا الى حتفهم بظلمهم بنقضهم العهود ومساعدتهم اعداء المسلمين « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » وبذلك يأمن المسلمين شرّهم وجانبيهم .

ورب قائل : إنَّ مُحَمَّداً تَعَجَّلَ بِالْقَتَالِ وَكَانَ الْأَوَّلَ إِنْ يُبَطِّيَ

به ، ولعمري : اي بطيء أثقل من مكثه ثلاث عشرة سنة بين تيار التعصب وأمواج العداء وأنياب الاذى ، فلما بلغ السيل الرئيسي ، وأشفي الامر على ما اشفي ، وبلغ الصبر المتهى ، ووصل الامر الى الغاية اذن الله للمسطلين بمقاومة الاعداء حتى يكسرروا حدتهم ، ويرجعواهم عن طغيانهم وعسفهم ، فقال : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدر ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله » فأنت ترى انه اذن لهم في القتال بسبب ظلم الاعداء لهم وإخراجهم من ديارهم اي من مكة الى المدينة والى الجبعة ، وليس لهم من ذنب الا انهم قالوا ربنا الله وتركتهم ما كان يبعد آباءهم من الباطل والاوثان ، وطرحهم تلك العادات السيئة والخرافات المضلة - وقد كان المشركون كثيراً ما يؤذون الرسول والذين آمنوا معه ، حتى إنهم كثيراً ما اتمرروا على قتله ، حتى ليهاراد الهجرة الى المدينة . فلما اخفقوا سعيأبا شوا الجواسيس لذلك . ولما رأوا خيبة مسعاهم جعلوا من يأتي به قتيلاً او اسيرًاجائزة وافرة . ولم يكن الاذى قاصراً عليه بل ثناول اصحابه ايضاً . فقد كانوا يؤذونهم اشد الابداء . ويعذبونهم بتنوع من الاذى تنفر منها الطباع الوحشية . بل هـ النفوس البشرية . وكان هو غالباً يأتون الرسول وهم بين مضروب وبمحروم ومبسوج رأسه . بـ يتظلمون اليه من فعل المشركين بهم .

فيقول لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال . وقد صبروا على ذلك الى حين الهجرة ، وهذه الآية هي اول آية نزلت في القتال بعد ما نهى عنه في سبعين آية ونيف من القرآن ، ومع ذلك فالقتال خاص بين تعرضاً لهم بسوء او ارادهم بشر . — ولو لا أنَّ الله امرهم بمقابلة الاعداء بالقتال لصدَّ اذاهم لكانوا طعنة لهم ، ولهلكو امام الماكين ، فهل يريد من ينكِرُ أمرَ الجهاد على الاسلام ان يفتالمون العدو ، وُهلكَ الحوت والنسل ، والمسلمون مغلولو الايدي ، يرسفون بقيود السكون والسكوت ، والصبر والذل والهوان ؟ . . . .

فالخلاصة ان مدافعة الاعداء و مقاومتهم لا اطفاء نار عدائهم وفتحتهم امر مفروض عقلاً و شرعاً « ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيوت وصلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرنَ الله من ينصره انَّ الله لَقْويٌ عزيز » — حتى ان السيد المسيح صلوات الله عليه الذي اطنب في امر السلام كان يكره اعداءه و يحب أن يقبض عليهم كما في الانجيل : « أما هؤلاء أعدائي (اليهود) فأتوا بهم قدامي وأذبحوه تحت أقدامي » وفيه ايضاً : ماجئت لاتي سلاماً بل سيفاً

على أنَّ الجهاد لم يكن خاصاً بالدين الاسلامي بل هو موجود في سائر الشرائع السماوية والوضعية ، ومن راجع تاريخ الاديان

## بعلم صحة ما نقول

هذه الامة اليهودية حين كان لها حكم في الارض وسلطان على الناس : فقد كان من اصول عقائدها أن القرية التي يعبد اهلها الاصنام يقتلون كلهم مع دوابهم بحدود السلاح ، وتحرق القرية ومتاعها واموالها بالنار ثم لا تبني ابداً » ومن اراد الاطلاع على الواقع الدمويّة التي مثلوها ، وعلى تاريخ حروبهم مع الغيار وعلى معنقداتهم في ذلك فلابد من الرجوع الى كتب العهد عندهم .

على ان الشريعة المسيحية التي يبالغ المتعصبون لها بانها تأمر بالسلام ورفع الحروب لم يقم لها قائمة ولم تنشر الا باكره الناس عليها وضرب اعناق من يمتنع عن ذلك : راجع تاريخ الصرامة منذ انتشارها على يد قسطنطين الاول وما سفكه من الدماء في سبيل تعزيزها ، وأنظر ما فعله ملك الملوك الرومي في القرن السادس لليلاد ، فان صفحات التاريخ ملطخة بدم اليهود وغيرهم من أجيروا على التنصر : فقد كانوا يظلمون اليهود بأنواع من العذاب والقتل وسفك الدماء والجلاء عن الاوطان وهدم معابدهم ومنعهم من العبادة ، وليس لهم ذنب سوى أنهم يدينون باليهودية مع انهم من رعاياهم : وقد كان من عادة البورتقال أنهم يحرقون اليهود بالنار ويحترقون نساؤهم ورجالهم يوم يحرقون . وكان دأب الانكليز أنهم

اذا بني الامراء على ملوكهم قتلوا عدداً من اليهود وافراً وشدوا على اموالهم نهباً، ليظهرروا شوكتهم وقوتهم، فكان اليهود أمامهم كالأشجار التي تجرب فيها السيف ليظهر مضاؤها وجودتها . وأنظر الى ما فعله قسطنطين السادس بعد أن استشار امراءه: فما أمر أن يجبر على اعتناق الدين المسيحي كل من في السلطنة الرومية ، ويُقتل كل من لم يتصرّ .. بل راجع تاريخ الاندلس (اسبانيا) عند ثلاثة صنف ظلّ الدولة الاسلامية عنها ، وكيف أن المسلمين جبروا المسلمين واليهود على الانصهار واضطهادهم ، ومن لم يقبل بذلك آخر جرمه من بلده صاغرًا ذليلاً محروماً من كل ما يملكه ، إلى آخر ما جرى من الفضائح والاهوال التي يشيب لها الأطفال وتدمي لها القلوب ، في حين أن المسلمين لم يجبروا أحداً على اعتناق الاسلام ، ولم يقاتلوا قوماً لاجبارهم على قبوله ، ومن يقلب صفحات التاريخ يعلم صحة هذا القول :

خطر لاحد الملوك العثمانيين أن يجبر بعض النصارى القاطنين في اوربا العثمانية على الاسلام او الرحيل من البلاد بسبب ما كانوا يُحدثونه من المياج وإفلاق الراحة فعارضه في ذلك بعض العلماء واظنه شيخ الاسلام في ذلك العهد محتاجاً بأن هذا العمل مخالف لما جاءت به الشريعة وأمر به القرآن ، لأنَّه اباح لكل دينه وحفظ

له رسومه ، فان من مبادئه القوية « لكم دينكم ولـى دين » فـأـمـتـعـ السـلـطـانـ عـماـ عـزـمـ عـلـيـهـ اـحـتـرـامـاـ لـلـدـينـ ، وـعـلـاـ بـالـكـتـابـ الـكـرـيمـ -  
 عـلـىـ أـنـ مـاـ رـادـ عـلـمـهـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ هـوـ مـنـ السـيـاسـةـ الـحـكـيـمـةـ ، لـأـنـهـ  
 رـأـىـ اـنـ وـجـودـ هـوـلـاـ الـقـوـمـ دـائـعـ عـضـالـ فـيـ جـسـمـ الـمـلـكـةـ لـأـ  
 تـسـأـصـلـ شـأـفـتـهـ الـأـ بـتـطـهـيرـهـ مـنـهـ وـحـلـهـمـ عـلـىـ اـحـدـ اـمـرـيـنـ : إـمـاـ  
 الـاسـلـامـ ، وـاـمـاـ الجـلـاءـ عـنـ الـبـلـادـ ، وـبـذـلـكـ تـكـونـ الدـوـلـةـ آـمـنـةـ مـنـ  
 حـوـادـثـهـمـ وـتـعـصـبـهـمـ الـدـيـنـيـ الـدـيمـيـ - وـمـنـ رـأـىـ قـلـاقـلـهـمـ وـمـفـاسـدـهـمـ  
 الـيـوـمـ يـحـكـمـ بـأـنـ مـاـ كـانـ اـرـادـهـ السـلـطـانـ فـيـ ذـلـكـ الـحـيـنـ هـوـ عـيـنـ  
 السـيـاسـةـ وـلـبـ الصـوـابـ ، وـلـكـنـهـ أـمـتـعـ لـاـنـ الشـرـعـ الشـرـيفـ لـاـ يـجـيزـ  
 ذـلـكـ ، نـخـضـعـ مـسـتـسـلـاـ لـاـوـمـهـ رـحـمـهـ اللـهـ زـرـحـةـ وـاسـعـةـ  
 وـذـكـرـ فـيـ تـارـيـخـ الـدـوـلـةـ الـعـلـيـةـ تـالـيـفـ (مـحـمـدـ فـرـيدـ بـكـ) أـنـ السـلـطـانـ  
 الغـازـيـ (ابـراهـيمـ خـانـ الـأـوـلـ) مـاـ اـفـتـحـ مـدـيـنـةـ (خـانـيـةـ) اـهـمـ ثـغـورـ جـزـيـرـةـ  
 كـرـيدـ اـنـقـمـ الـبـنـادـقـ بـحـرـقـ شـغـورـ (بـترـاسـ وـكـورـونـ وـمـوـدـونـ) مـنـ بـلـادـ  
 مـوـرـةـ ، وـيـقـالـ انـ السـلـطـانـ اـرـادـ فـيـ مـقـابـلـهـ ذـلـكـ قـتـلـ مـسـيـحـيـنـ اـجـمـعـ  
 وـلـوـلاـ مـعـارـضـةـ المـفـتـيـ اـسـعـدـ زـادـهـ اـبـيـ سـعـیدـ اـفـنـدـیـ لـتـمـ هـذـاـ الـاـمـرـ ،  
 وـلـوـ تـمـ لـكـانـ يـلـحـقـ بـالـدـوـلـةـ عـارـ عـظـيمـ كـالـحـقـ بـمـسـيـحـيـ اـسـبـانـيـاـ مـاـ رـاتـ كـتـبـوـهـ  
 مـنـ القـتـلـ وـالـفـنـكـ بـالـسـلـيـنـ بـعـدـ فـتـحـ مـدـيـنـةـ غـرـنـاطـةـ<sup>(1)</sup>

(1) ذـكـرـ فـيـ سـبـبـ غـزوـ جـزـيـرـةـ كـرـيدـ اـنـ (قـيـزـلـ آـغـاسـيـ) اـسـتـاذـنـ -

ومن قابل بين امثال هذه الحادثة وبين ما جرى للسلميين في بلاد الاندلس يعلم تساهل المسلمين وتعصب الاغيارات، وانا نورد بعض ذلك اظهاراً للحقيقة :

جاء في كتاب «الاسلام والنصرانية» تحت عنوان: «اضطهاد المسيحية للسلميين واليهود والعلماء عامة» مانصه :

«ما كان ابن رشد هو اليهود الذي نفجّر منه ماء العلم والحرية في اروبا على زعم القوس ، وكان ابن رشد استاذًا يتعلّم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر افكاره وآرائه ، ثم هو مع ذلك مسلم — صُبَّ غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً ، فصدر الامر في ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بانَّ كلَّ يهودي لم يقبل المعمودية في اي سنٍ كان وعلى اي حالٍ كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر — السلطان في القصد الى بيت الله الحرام فلما اذن له بذلك سافر ، فلما كان في الطريق هاجته مراكب رهبان مالطية وقتلواه واخذوا منه ولداً ظنوه انه ابن السلطان ثم ظهر لهم خطاؤهم فربوا الولد على الدين المسيحي وادخلوه في طائفتهم واشتهر عند الافرنج باسم (بدرى او تومانو) اي الاب العثماني ، وبعد ذلك نزل الراهبان الى جزيرة (كرييد) فاحسن البنا دق وقادتهم واكرموا فاغتاظ السلطان لذلك غيظاً شديداً ثم امر بتجهيز عماره يجريه قوية لفتح جزيرة كرييد بغزت وسار باحتفال حافل تحت قيادة (يوسف باشا) الى ان القت مراسها امام مدينة (خانية) في ٢٩ ربيع الاول سنة ١٥٥٠ الموافق ٢٤ يونيو سنة ١٦٤٥ وافتتحها بدون حرب ثقريباً لعدم وصول الدوناتة اليها في الوقت المناسب

بولييو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عقب بالقتل ، وأتيح لهم ان يبيعوا ما يملكون من عقار ومتقول بشرط ان لا يأخذوا في الثمن ذهباً ولا فضة وانما يأخذون الاثمان عروضاً وحوالات . ومن ذا الذي يشتري اليوم ثمن ما يأخذه بعد ثلاثة اشهر بلا ثمن ؟ (يعني انَّ اموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذي يتم في يوليوا) وصدر امر (توركماندو) آن لا يُساعدهم احد من سكان اسبانيا في امر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين ما يملكون ناجين بارواحهم ، على أنه لا نجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع العدم والفقر

وفي فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الامر بطرد اعداء الله المغاربة (المسلمين) من اشبيلية وما حولها – من لم يقبل العمودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل (نيسان) وأتيح لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذي وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو ان لا يذهبوا في طريق يوْدِي الى بلاد اسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فهو للاء المساكين نُفوا جميعاً الى القتل ، ان لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فالموت مُلاقيهم بالتعب مع العرى والجوع " ) " ١٩

(١) اقول كان الامر كذلك : فقد روى التاريخ ان الذين خرجوا من —

اقول: هل تُقابل هذه الاعمال باعمال المسلمين مع من دخل تحت عهدهم وذمتهم، بل مع الذين عاهدوهم ثم نقضوا العهود ونبذوا المواثيق واعانوا عليهم اعداءهم وأطلاعوهم على عوراتهم: روى التاريخ أن «عُمير بن سعد الانصاري» قدم على عمر بن الخطاب وقال له: ان يينا وبين الروم مدينة يُقال لها (عربوس)

— بلاد الاندلس كانوا الوفا كثيرة ، فنهم من خرج إلى تلسان وهو ران وجمهورهم خرج إلى تونس ، وتسلط على كثيرون منهم من لا يخشى الله من سكان البوادي ونهبوا اموالهم وأكثر النهب والأخذ وقع على الذين ذهبوا إلى تلسان وفاس ، وأما الذين ذهبوا إلى تونس فاكتثروا من ذلك . وذكر بعض المؤرخين ان الاسپانيين كانوا لهم في بعض الطرق فقتلوا منهم كثيراً وشدوا على اموالهم شيئاً . وقد عمر هؤلاء الخارجون من الاندلس كثيراً من القرى الخالية في تلك الواضع التي ذهبوا إليها ومنهم جماعة بسلا وتطاوون والجزائر ، ووصل جماعة منهم إلى القسطنطينية العظمى «دار الخلابة العلية» وإلى مصر وببلاد الشام وغيرها لانهم كانوا عدداً كثيراً لا يحصىهم إلا الله . قال في فتح الطيب : والسلطان الذي أخذت منه غرناطة آخر سلاطين بنى الاحمر الذي اقرضت انقراف دولته مملكة الاسلام بالاندلس وحيث رسمها هو السلطان ابو عبد الله محمد ابن السلطان ابي الحسن ابن السلطان سعيد ابن الامير علي ابن السلطان يوسف ابن السلطان الفقي بالله محمد ، واسطة عقدم ، والمشيد بمنائهم الانية ، وسلطان دولتهم على الحقيقة ، ابن السلطان ابي الحجاج يوسف ابن السلطان اسماعيل ابن الرئيس ابي سعيد فرج بن اسماعيل بن نصر بن قيس الانصاري الخزرجي رحمهم الله جميعاً .

وان اهلها يخبرون عدوَّنا بعوراتنا ولا يُظْهِرُونَا على عورات  
عدوَّنا ، ولهُم علينا عهدٌ واستشاره في امرهم ، فقال عمر : اذا قدمت  
نفيراً لهم ان تعطِّيهم مكان كل شاة شاتين ، مكان كل بقرة بقرتين  
ومكان كل شيءٍ شئين ، فان رضوا فأعطيهم ايام وأجلهم (ابعدهم  
عن البلاد) واخر بها ، فان ابوا فابذ اليهم واجلهم سنة ثم اخر بها «  
اقرأ هذا وقابل ثم انظر كيف ابى المسلمين ان ينقضوا عهدهم الذى  
عاهدوهُم به ، مع انهم هم البدُّون بنقض العهد ، ثم انظر الى ما رواه  
التاريخ ايضاً وهو :

ان الاعداء لما حاصروا مدينة غرناطة اصاب المسلمين وقت  
الحصار شدة الجوع وتفاقمت عليهم الخطوب فكتابوا العدو في الصلح  
واشترطوا شروطاً وعقدوا مواثيق وملأوا الاعداء من غرناطة ،  
وكان الشروط سبعاً وستين شرطاً منها : تامين الصغير والكبير في  
النفس والاهل والمال ، ومنها ابقاء الناس واما كنهم ودورهم ورباعهم  
وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم على ما كانت وابقاء المساجد والآوقاف  
كذلك ، وأن لا يدخل النصارى دار مسلم ، وان لا ينصبو احداً ،  
ومنها أنَّ من اراد الجواز منهم الى المغرب لا يمنع ، الى غير ذلك من  
سائر الشروط . ثم ان النصارى نقضوا تلك الشروط شيئاً فشيئاً  
ونكثوها عروةً فعروة ، الى ان آل الامر بهم الى إجبار المسلمين

على النصر ، حتى صاروا يقولون بعض المسلمين: ان جدك كان نصراينياً فاسلم في زمن كذا فلابد ان ترجع نصراينياً كما كان اجدادك السابقون ! ! فلما اشتدَ الخطبُ وبلغَ التّعصبُ كلَ مبلغٍ وقعتْ فتنةٌ بينهم فصدرَ الامرُ من سلطان النصارى بقتل جميع المسلمين الا من نصرٍ فإنه ينجو من القتل فتنصرَ قومٌ في الظاهر خيفةً من القتلِ ، وامتنعَ قومٌ من التّنصرِ فطلّبُهم النصارى فاجتمعوا في بعض القرى وتحصنوا بها ، فجمع لهم العدوُّ الجموعَ واستأصلهم عن بكرة ابيهم قتلاً وسبياً ، وبقي جماعةٌ من المسلمين صعدوا جبلًا واحتموا فيه فقاتلتهم الاعداء فقتل المسلمين منهم خلقاً كثيراً ، ثم أخرجوا على الامان الى فاس بيعاهم وما خفَّ من اموالهم . ثم ان الذين اظهروا التّنصرَ خوفاً عليهم يكونوا متنصرين في الباطن كانوا يعبدون الله خيفةً ويصلون كعادتهم فعلم بهم اعداؤهم فشدّدوا عليهم في البحث حتى انهم احرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ومنعوهم من السلاح حتى السكين فضلاً عن غيرها من الحديد . وكان بعض المسلمين مخضناً في بعض الجبال وكان يجري بينهم وبين اعدائهم بعض المناوشات الى ان تغلب عليهم النصارى ولم يُقْيِض اللّهُ لهم ناصراً ، الى ان كان الوقت الذي اخرجوهم فيه وهو سنة الف وعشرة (١٠١٠) هـ

من قابل اعمالهم هذه باعمال المسلمين عند الفتح ، وكيف انهم كانوا يعاملون من يحكمونهم من الرأفة وحفظ اموالهم ودمائهم وصيانة معايدهم وسائر احوالهم يجد الفرق الشاسع والبون البعيد : انظر كيف تقضوا عهود المسلمين واستذلهم وأجبروهم على اعتناق دينهم ، ومن لم يقبل ذلك قتلوه او حرقوه او طردوه . ان المسلمين ما افتحوا بلداً من البلاد الا وكان سكانه مساوين المسلمين في جميع الحقوق ، ولم يُسمّ أنهم تقضوا عهداً او شرطأ من الشروط التي اشترطها عليهم الذين مكثوهم من افتتاح بلدانهم ، فقد كانوا احرص الناس على الوفاء بالعقود والزمهم لشرعية الانصاف والعدل مع المغلوبين ، وكانوا اذا صلحوا قوماً على شيء وكتبوا لهم بذلك عهداً صار العهد سنةً متبعةً لمن بعدهم في معاملة اولئك المعاهدين ، لا يحيد عنها احد من المسلمين ، واعظم شاهد على ما نقول التاريخ وشهادة الحسن .

هذا وان امر العهود العمرية التي كتبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من دخل تحت ذمة المسلمين معروف مشهور لم يزل العمل بمقتضاه جاريًّا في بلاد المسلمين خصوصاً البلاد التي تحت رعاية الدولة العثمانية ايدها الله ، وكان بودي أن لا اذكر شيئاً منها هنا لولا أن بعضَ من لا خلاق لهم لفقوا جملًا مختلفة

لا اصل لها لاغراضهم السيئة ونسبوها الى الامام (رضه) فظنَّ  
بعض البسطاء انها هي العهود المحرية ، وليس منها في شيء ، وانا  
الثابت في التواريف الصريحة هو ما يأتي :  
كتابه لاهل ايليا (القدس )

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر امير  
المؤمنين اهل ايليا من الامان : أعطاهماً ماتأنا لانفسهم واما لهم  
ولكن نائسهم وصلبانهم سقيرها وبرئها وسائر ملأتها ، انه لا تسكن  
كneathم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم  
(صلبانهم) ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا  
يُضار أحد منهم ، ولا يسكن بليلياء معهم احد من اليهود ، وعلى  
أهل ايليا أن يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن ، وعليهم أن  
ينحرجوها منها الروم والاصحوص ، فمن خرج فهو آمن على نفسه وما له  
حتى يبلغوا مأهولهم ، ومن كان بها قبل مقتل فلان فمن شاء منهم  
قعد وعليه ما على اهل ايليا من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ،  
ومن شاء رجع الى اهله ، فانه لا يُؤخذ منهم شيء حتى يحصل  
حسابهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة  
الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد  
 بذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية

ابن أبي سفيان ، وكتب وحضر سنة ١٥ « اه »

وامتن دليل وانص برهان على ما قدمناه من تسامح المسلمين  
وتعصب دول النصرانية أنَّ الاسلام ماحلَّ مقاطعة الا وحفظ لا هليها  
حقوقهم الشخصية ، ورسومهم الدينية ، ولم يجروا احداً على اعتناق  
الاسلام : بذلك على ذلك ان ننظر الى البلاد التي هي تحت حوزة  
المسلمين اليوم والتي هي تحت تصرف غيرهم قبل الفتح الاسلامي  
قرى الاغيار لم يزدوا على اديانهم حافظين على رسومهم — ولو  
نظرت الى البلاد التي دفع التعصبُ الدينيِّ الدولَ المسيحيةَ على  
تخليصها من ايدي المسلمين لرأيتها خالية من المسلمين ، وقد أخذت  
مساجدهم كنائسَ وبيوتاً وأصطبلات ، وما ذلك الا لِإجبار اهلها  
على التنصر واضطهاد من لم يقبل بذلك ، فنهم من قتل او حرق  
ومنهم من قبل مكرهاً كما قدمنا ذلك ، في حين ان الاسلام لم يفعل  
 شيئاً من هذا قط :

نقل البنا التاريجي أنَّ عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورجع  
قادداً الى الفسطاط مرَّ بناحية الطرانة فاستقبله فيها سبعون الف  
راهب ويد كل واحد منهم عكا طالبين منه الامان على انفسهم  
وأد iar لهم فكتب لهم أماناً بذلك — ومن قابل بين فعله هذا وبين  
ما فعله الافرنج بعد أن حاصروا القسطنطينية ثم دخلوها بمواثية

الافرنج الذين كانوا مقىين فيها : وذلك انهم شبوا فيها النيران فاشتغل  
الروم سكان القسطنطينية الاصليون باطفائها ، ففتح الافرنج الابواب  
وأدخلوا قومهم ، ووضعوا السيف في رقاب الروم وهم مشتغلون  
باطفاء النار ، وداموا على ذلك ثلاثة ايام يقتلون حتى الاساقفة  
والرهبان والقسوس ، وقد كان هؤلاء قد خرجن اليهم من كنيسة  
(اياصوفيا) ويدهم الانجيل والصلبان يتسللون اليهم بها ليرفعوا عنهم  
السيف ، فلم يلتفتوا اليهم ولم يرحموهم ، وقتلتهم اجمعين ، ونهبوا  
الكنيسة ، وهم من ابناء دين واحد — من قابل هذا العمل بما فعله  
عمرو وسائر الفاتحين من المسلمين يعلم درجة تساهل المسلمين ورأفتهم  
ورحمتهم حتى باعدائهم .

قلنا في صدر هذا المقال انا شرع السيف لغاية الدعوة من  
ارادها او اراد المسلمين بسوء ، وهذا هو عين ما تفعله دول النصرانية  
اليوم : فانها ترسل البعوث والمبشرين ومعهم القناطير المخنثة من  
الذهب والفضة للتبيشير بالدين المسيحي ، وقد اخذت على عاتقها ان  
تحميهم من يعارضونهم ، وكم سفكت في هذا السبيل دماء اقوام تعرضا  
بعض افراد المبشرين باهانة لا تذكر ، وكم أراقت دم كثير من  
الابرياء ، الى غير ذلك من الاعمال المنكرة  
﴿ ولباب القول ﴾ ان الدين الاسلامي لم يقم بالسيف وانا قام

بالدعوة ، والدعوة حياة الاديان . نعم قام بالدعوة اليه بيان فضائله وذكر حكمه وآدابه ونشر محسنه ، والجهاد انا شرعاً لحماية الدعوة ودفع المعارضين لها ، وازالة العثرات من امامها ، ولو لا المعارضة لما أصر المسلمين بالقتال ، والقرآن اعظم شاهد على ما نقول . ومن أبى الا العناد ، والقدح بغير الزناد ، فتركه وشأنه ، وفيما قدمناه كفاية لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد « لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الفي » اهـ ما كتبناه في خيار المقول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

\*\*\*

هذا وإنَّ من نظر في التاريخ يرى أنَّ تعصب الأمم النصرانية لم يكن قاصرًا على من خالفهم في الدين ، بل ثناول من خالفهم في المذهب ايضاً ، ومن طالع اخبارهم وحرروهم وفظائعهم في ذلك حكم بأنَّهم يرعوا من خالفهم عهدًا ، ولم يربقوا فيهم إلاً ولا ذمةً ، بسبب تلك الملاحم التي سوَّدت وجه التاريخ حتى تركت المؤرخين بعدهم يكتبون اخبارهم بالدموع التي كانوا يُسيلونها من احداثهم صفحات موأفاتهم :

عج بطرفك نحو ما فعله الكاثوليك مع مخالفتهم من الفرق النصرانية التي لم تخضع للبابا ، فترى حروباً شديدة ، ودماءً سفكت ،

وافتَّاً أشتعلت نارها ، وتمثِيلاً وتعذيباً نُفطر لاجلها الاكاد - كل ذلك لا جبار من خالفهم على اتباع مذهبهم . ثم انظر كيف وضعوا قوانين مقتضاه عدم تكين احد غير كاثوليكي أن يعيش في مملكتهم ، وتحالفت ملوكهم على هذا الامر ومن خالف ذلك فيكون شعبه غير مقيد بسلطته ، بل يخلع رقبة سلطانه ونير حكمه - انظر مصائب البروتستانت مع الكاثوليك وما حل بهم يوم ضعفهم وقلة عددهم وعددهم ، ومن اشهرها حادثة (برغبي سنت هيل) التي سفك فيها الكاثوليك دماء البروتستانت اخوانهم في الدين ليلاً على حين غرة ، وقتلو النساء والرجال والصبيان والبنات ، حتى ان من يقرأ تلك الاخبار يظن أن فعلهم ذلك ليس واقعة حقيقة ، بل هو رواية وهمية ، مثلاً لها اولئك الاقوم على مرسخ الانسانية ، بلباس الوحشية ، وفعال الحيوانات الضاربة - انظر ما عمله البروتستانت مع الكاثوليك بعد ان أستد ساعدتهم وأشتده عصدهم ، وأقرأ ماسنوه من القوانين التي خواها اجرائهم على اتباع مذهبهم وخطفهم

قال في كتاب «الاسلام والنصرانية» :

«ما من عقيدة ظهرت وأريد نقريرها من فريق ونازع فيها فريق الا وقد سالت لها الدماء ، فليراجع التاريخ لتتشكل ارض مصر مصبوغة بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عند ما أريد نقرير

عبادة العذراء واتخاذها لله أماً

وجاء فيه ايضاً :

« قال البابا (انوسان ) الثالث عند السكلام في مصادر الدين يخالفون العقيدة الكاثوليكية : « لا يجوز ان يترك لاولاد الماجدين سوى الحياة ، وترك الحياة لهم منه واحسان » فلم يقصر الجزاء على الماجدين ، ولكن عداؤه الى اولادهم ، وعد ترك الحياة لاولادهم يتبعون بها ضرباً من الاحسان عليهم لانه لا حق لهم في ان يعيشوا وقد جحد آباءهم »

وروت اليانا اخبار هذا العصر ، عصر المدينة والعلم عصر النور والتقديم : ان ملك الانكليز البروتستاني حضر في الكنيسة الكاثوليكية بلوندره ليشاهد الصلاة عن نفس ملك البورنقال ، فهاج عليه السواد الاعظم وجعور الامة من الانكليز وكادوا يجاهرون بخلع طاعته لانه خالف دستور المذهب وحضر الصلاة الكاثوليكية - اقول : وهل يقابل ذلك بما رواه التاريخ عن الخليفة المعتصم العباسي ؟ - وذلك ان طبيبه (سلويه ) النصراوي مات فاسف عليه وامتنع من الطعام ذلك اليوم حزناً ، وأمر باحضار جنازته الى الدار وأن يصلى عليها بالشمع والبخور على عادة النصارى ، ففعلوا ما أمر به وهو يشاهد ذلك ، ومع هذا فهو خليفة المسلمين وامير المؤمنين

على أنَّ ما صدر من الام المسيحية من التعصب الديني ضدَّ بعضهم وضدَّ غيرهم من اليهود والمسلين واليهود وما شنُوه من الحروب المأثنة في هذا السبيل : كثير لا تسع له هذه المقالة— ومن قابل بين اعمال المسيحيين من حيث التعصب الديني واجبار الآغيار على قبول دينهم ، بل اجبار بعضهم بعضاً على التذهب بمذاهبهم ، من قابل مناهضتهم للعلم والفلسفة والعلماء وال فلاسفة من كل ملة ودين — من قابل اعمالهم تلك ، بالاسلام وقوانينه العادلة علم امتياز هذا الدين واهله

هذا وليس في الاسلام ما يسمى بالحروب الدينية ، وإن وجد شيء من ذلك فليس من امر الدين في شيء ، بل إنَّ من نظر نظرية النصف يعلم أنها حروب سياسية ليست لباس الدين ، وهذا أمر معروف لدى كل مؤرخ عاقل سير التاريخ بمسار الانصاف جاء في كتاب « الاسلام والنصرانية » :

« لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين (الآخرين بعقيدة السلف) والاشاعرة مع الاختلاف العظيم بينها ، ولا بين هذين الفريقين من اهل السنة والمعزلة مع شدة التباين بين عقائد اهل الاعتزاز وعقائد اهل السنة سلفيين وشاعرة — كما لم يسمع بأن الفلسفه الاسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين

غيرها . نعم سمع بمحروب تعرف بمحروب الخوارج كما وقع بين القرامطة وغيرهم، وهذه المحروب لم يكن مثيراً للخلاف في العقائد: وإنما أشعّلتها آراء السياسية في طريقة حكم الأمة ، ولم يقتل هؤلاء مع الخلفاء لاجل أن ينتصروا عقيدة ، ولكن لاجل أن يغدر وواشكـل حـكـومـة . وما كان من حـربـ بين الـأـمـوـيـينـ وـالـهـاشـمـيـينـ فـهـوـ حـربـ علىـ الـخـلـافـةـ ، وـهـيـ بـالـسـيـاسـةـ اـشـبـهـ ، بلـ هـيـ اـصـلـ السـيـاسـةـ»<sup>١٤</sup>

﴿والخلاصة﴾ أن الدين الإسلامي خالٍ من التعصب الموهوم ، بريءٌ مما ينسبه إليه المتعصّبون ، لا يأمر أهله إلا بما فيه الرأفة والرحمة لجاؤرهم وللناس أجمعين . وهو يساوي المسلم وغير المسلمين في جميع الحقوق وفي كل ما يؤول إلى السعادة الدنيوية ، ولا يجوز له أن يُعادِي إلاّ من صارحه بالعداوة والاذى وجاهره بالسوء كما جاء في القرآن الكريم : «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم : أن تبروهم ونقسطوا إليهم ، إن الله يحبّ المحسنين . إنما ينهاكم عن الذين قاتلوكم في الدين وآخر جوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم : أن تؤلوهم ، ومن يتولهم منكم فإليئك هم الظالمون» وخلاصة ما تأسـرـ بهـ الآـيـةـ الشـرـيفـةـ موـالـةـ منـ لمـ يـدـدـواـ إـلـىـ الـمـسـلـمـينـ يـدـالـاـذـىـ وـالـعـدـوـانـ والـبـرـ بـهـ وـالـاحـسـانـ إـلـيـهـمـ ، وـانـ لـاـ يـوـالـواـ مـنـ أـضـطـهـدـوـهـ وـارـادـواـ

إِذْلَاهُمْ ، بَلْ يَجْبُ عَلَيْهِمُ الدِّفَاعُ عَنْ حَوْزَتِهِمْ حَتَّى لَا يَتَقَاصُ ظَلَمُهُمْ ،  
وَيُقَوِّضُ بَنَاءَ دِينِهِمْ وَمَجْدُهُمْ : وَهَذَا هُوَ غَايَةُ مَا تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ الدُّولَ  
الْمُتَنَاهَةُ الْيَوْمَ ، غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ تَحْسِنْ مَعْالَمَةً مَنْ لَمْ يَتَطَاوَلْ إِلَى ثُلَمِ يَضْطَهَدُهَا ،  
وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهَا بُسْوَهُ ، بَلْ إِنَّهَا دَائِمًا تَطْمَعُ يَصْرَهَا لِاغْتِيَالِهِ  
وَاسْتِئْصالِهِ طَعْمًا فِي زِيَادَةِ امْلَاكِهَا ، وَأَمْتَدَادِ سُلْطَانِهَا . . . . .

عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ لَوْ عَمِلَ بِفَحْوِي الْآيَةِ الْأَنْجِيلِيَّةِ كَمَا يَرِيدُ  
جَنَابُ الْلَّوْرَدِ كِرُومَرْ : «مِنْ ضُرِّبَكَ عَلَى خَدَكَ الْأَعْيُنِ فَأَدَرَ لَهُ  
الْأَيْسِرَ» لَمَا قَامَتْ لَهُ قَائِمَةُ ، وَلَا عَزَّتْ لَهُ شُوَكَةُ ، بَلْ ظَلَّ مُضِيقًا  
عَلَيْهِ مُضْطَهِدًا ، وَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ نَقْلُبُ الشَّرِكَ وَالْجَهَلِ عَلَيْهِ حَتَّى يُبَيِّدَهُ  
عَنْ وَجْهِ الْكَرَّةِ ، وَلِسَادِ الْجَهَلِ وَالشَّرِكِ وَفَسَادِ الْأَخْلَاقِ ، وَعُمَّ ذَلِكَ  
الْأَرْضُ ، فَكَانَ مِنْهُ التَّلَاشِيُّ وَالْعَدْمُ ، بَلْ لَظَلَتْ أُورَبَا مَتَكْسُعَةً فِي  
ظَلَّامَاتِ الْجَهَلِ رَاسِفَةً فِي قِيُودِ الْعَمَى لَأَنَّ اهْلِيَّاهَا كَمَا قَدَمْنَا لَوْلَا الْمُسْلِمُونَ  
لَمَّا رَأُوا بِصِيصِ الْعِلْمِ ، وَلَمَّا عَرَفُوا شَيْئًا مِنْ مَعْنَى الْحَيَاةِ ، وَلَمَّا شَاهَدُوا  
شَيْئًا مِنْ الْمَدِينَةِ

---

يَرِى جَنَابُ الْلَّوْرَدِ كِرُومَرْ فِيمَا قَدَمْنَاهُ أَنَّ الْإِسْلَامَ أَوَّلَ الْقَرآنَ  
لَا يُرِيَّ فِي عَاطِفَةِ الْكَرَهِ وَحُبِّ الانتِقامِ فِي نُفُوسِ مُتَبِّعِيهِ ، بَلْ إِنَّهُ يَأْمُرُ  
بِالْمُسَلَّمَةِ وَالْمَوَادِعَةِ ، وَإِنْ يَعِيشَ الْمُسْلِمُ مَعَ غَيْرِهِ بِرَاحَةٍ وَطَمَانِيَّةٍ وَسَلَامٍ ،

ولم يُبَح له أَنْ يقاتل وينقم أَمْنَ مَدَّ الْيَهُودِ السُّوءِ ، ومع أَنَّه  
اباح له ذلك حَرَّضَهُ عَلَى العَفْوِ وَالصَّفْحِ . وما قدمناه من الآيات  
والآحادِيثُ وَالحوادثُ كافٍ لِاثبات هذه الدعوى ودحض مزاعم  
جناب اللورد .

قال الكاتب الاجتماعي المسيحي الدكتور شibli افدي شمیل  
في مقال له نشره في جريدة الموئذن عنوانه «القرآن والعمان» بعد  
كلام مانصه :

«ولكن الكاتب الباحث الذي يعقب كلام كل من الكتابين  
(القرآن والأنجيل) يجد فيما كثيراً من مثل قوله (القرآن) :  
«اقتيلوهم حيث ثقفتهم» بعد قوله : «قاتلوا في سبيل الله الذين  
يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين» ومثله قوله (الأنجيل) :  
«ما جئت لآتي سلاماً بل حرباً» بعد قوله : «من لطمسك على  
خدك اليمين خول له الأيسر» إلى غير ذلك من المفارقات التي لا يذهب  
مغزاها على العاقل، ولا مكانها من القول، ولكن قد تضرُّ كثيراً  
بالجهال (مثل كروم) وتكون عنده سبباً للتشبت السقيم، وللأخذ  
في سباب الجدال العقيم، فتضُر بالدين وبمصلحة العممان معاً .  
لذلك رأى العلاء من المؤمنين في النصرانية والاسلام وجوب رد  
هذه القضايا المشتبهة التي قد تلتبس على الافهام فتبدو مخالفةً لمصلحة

الاجتماع الى مبدأ الدين الجوهرى الذى نقدم ذكره والذى يه  
هو فرض الشارع الحقيقى وتأوilyاً بحسب ذلك، حتى صار الاجتهد  
امرًا لازمًا في الدين . والحق يُقال انَّ رجال الدين في الاسلام قد  
برزوا في هذا الامر كثيراً في العصور الاولى ، وافقوا النصرانية فيه،  
لان كبار ائمتهم كانوا من كبار الفلاسفة ايضاً ، لا في الدين فقط  
بل بكل معنى الكلمة الحقيقى ، حتى بلغت علوم الفلسفة التي اخذوها  
عن اليونان في نهضتهم الاولى أقصى مراقيها ، بخلاف النصرانية  
فإن الفلسفة طمس فيها على عهدها الاول ، وعدت من المظورات  
فيما خلا النظريات المتعلقة باللاهوت المسيحي ، وبقيت كذلك الى  
عهد الانشقاق العظيم الذي حصل في النصرانية في اوائل عصور  
النهضة في اوربا » ١ ه

### خلاصة ما يأمر به الاسلام من معاملة الاغيار

ان ما قدمناه في الفصل السابق (التعصب في الاسلام) كافٍ  
للحض اقوال كرومر فيما افتراه على الدين من هذا الوجه ، وانما  
ذاكرون في هذا الفصل القصير خلاصة ما يأمر به الشرع الشريف  
من معاملة غير المسلمين ، وقد قدمنا طرفاً من ذلك في الفصول  
السابقة :

غير المسلم اما ان يكون ذمياً او معاهداً او مُؤمِّناً او حريباً فالذى هوَ من دخل تحت حوزة المسلمين وذمّتهم ودفع شيئاً من المال يستعين به الحاكم على صرفه لترتيب الحافظين للدفاع عنه ، وله من الحقوق مالنا وعليه ما علينا ، غير أنه لا يكافي حرباً ولا دفاعاً ، بل ان المسلمين مُكاففون بالدفاع عن حوزته ومقاومةَ من أراده بسوء ، ومنحنه الشريعة الحرية بدينه ومذهبة وسائر شوؤنه ان لم يكن من ذلك ضرر بالمجتمع كمجاهرته بشرب الخمر مثلاً ، ولو نقض الدمة لا يخرج عن كونه ذمياً

والمعاهدون همَ من دخلوا في عهد دولة من الدول الإسلامية وكان بينهم وبينها عهود ومواثيق فلا يجوز نقض عهدهم ولا خيانتهم الا ان كانوا هم البادئين فيدخلون حينئذ في قسم الحريبيين بعد النصح لهم وتحذيرهم

والموَّمنون همَ من دخل في بلاد المسلمين من الحربيين وطلبوا الامان من الحاكم ، فلا يجوز ايضاً خيانتهم ولا نقض امانهم – ويجب معاملة جميع من تقدم بالحسنى واللين وعدم الجور كاوردت الآثار بذلك وقد قدمنا شيئاً منها فيما قبل

هذا وأيُعلم أنَّ الامان الذي يعطيه الفرد من المسلمين ولو امرأة لم استأمن هو كامان الجميع فلا يجوز نقضه كما في خبر ام

هاني، عند ما أُجارت مشركاً في الحرب فأجاز ذلك الرسول وأمضاه وقال لها ما معناه : «إِنَّا أَجْرَنَا مِنْ أُجْرَتِ يَاءِ هَانِي» والحربيون هم الذين أشهروا السيف في وجوه المسلمين أو من تحت أمانهم وذمة لهم ، فهو لا يقاتلون الى أن يرجعوا عن غيّبهم وعدائهم مقابلة لا اعتدائهم — وليس كلَّ من نقض ذمة المسلمين يُعدُّ حرِيَّاً كما يفهم ذلك بعض الضعفاء في الدين وكثير من غير المسلمين ، بل الحربي هو من قدَّنا لا غير — وأمّا الدول اليوم فهي من قسم المعاهدين لأنَّ الامام تعاهد معهم على وضع الحرب .

والىك ما جاء في شأن أهل الكتاب<sup>(١)</sup> خاصة وغيرهم عامة منها قوله تعالى : «وَلَنَجْدَنَ أَقْرَبَهُمْ مُوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الَّذِينَ قَاتَلُوا

إِنَّا نَصَارَى ، ذلك بأنَّ منهم قسيسين وربانًا وأنَّهم لا يستكرون» — وقوله صلى الله عليه وسلم : «من آذى ذميًّا فأنَا خصمُه ، ومن كنت خصمَه خصمَتُه يوم القيمة» وقوله (ص) : «من آذى ذميًّا فقد آذاني» وقوله (ص) في شأن القبط وهم نصارى : «إذا فتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرًا فإنَّ لكم منهم صهرًا وذمة — ومنها وصية أبي بكر لاسامة بن زيد رضي الله عنهم حينما أُنفذه إلى الشام حيثُ قُتل والده ، وقد جاء فيها :

(١) حيثُورد أهل الكتاب في كتب الشريعة فالمراد بهم النصارى واليهود

«لَا تَخُونُوا وَلَا تَقْدِرُوا وَلَا تَغْلُوُ وَلَا تُمْثِلُوا وَلَا تُقْتَلُوا طَفَلًا وَلَا  
شِيَخًا كَبِيرًا وَلَا امْرَأَةً ، وَلَا تَعْقِرُوا نَحْلًا وَلَا تَحْرُقُوهُ ، وَلَا تَنْقِطُعُوا  
شَجَرَةً مُمْثَرَةً ، وَلَا تَذْبَحُوا شَاهًّا وَلَا بَقْرَةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِلَّاْكَلَ ،  
وَسُوفَ تَمَرُّونَ بِالْقَوْمِ قَدْ فَرَغُوا أَنفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ ، فَدُعُوكُمْ وَمَا  
فَرَغُوا أَنفُسَهُمْ لَهُ »

وَمِنْهَا الْعَمُودُ الْعَمْرِيَّةُ وَقَدْ قَدَمْنَا شَيْئًا مِنْهَا فِي الْبَابِ السَّابِقِ فَرَاجَعَهُ  
وَجَاءَ فِي كِتَابِ الْفَاتِحَةِ :

لِيُسَّ لَنَا إِنْ تَعْرِضَنَّ لِأَهْلِ الْكِتَابِ فِيهَا يَعْنِقُونَ حَلَّهُ ، وَلِيُسَّ  
لَنَا إِنْ نَحْكُمْ عَلَيْهِمْ إِذَا لَمْ يَطْلَبُوا مِنَّا الْحَاكِمَةَ عَلَى مُوجِبِ احْكَامِنَا  
وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا :

يَحْرُمُ إِحْضَارُ يَهُودِيٍّ يَوْمَ سَبْتٍ<sup>(١)</sup> لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
أَثْنَاءِ حَدِيثٍ : «وَإِنْتُمْ يَهُودٌ عَلَيْكُمْ خَاصَّةٌ أَنْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ»  
وَقَالَ فِيهَا :

إِذَا تَحَاكُمْ أَهْلَ النَّذْمَةِ إِلَيْنَا وَقَدْ قَبضُوا مَا يَعْنِقُونَ جَوَازِهِ كَالْبَارِيَّا  
وَمِنْ الْخَمْرِ وَالْخَنْزِيرِ فَلَيْسَ لَنَا فِسْخُ ذَلِكَ  
وَجَاءَ فِيهَا أَيْضًا :

(١) أَيْ إِلَى مَحْلِ الْحَاكِمَةِ ، وَيُسْتَنِيُّ مِنْ ذَلِكَ الضرُورَةُ بِحِيثُ لَا يَقْصُدُ  
مِنْ احْضَارِهِ الضَّرُرُ بِهِ تَعْمِدًا

سائر عقود ومقامات اهل الذمة اذا ثقابضوها ليس لنا فسخها  
 كنحو يهودي تزوج بنت اخيه فليس لنا فسخ النكاح  
 وقال فيها :

يقاتل الامام عن اهل الذمة كما يقاتل عن المسلمين ، ولا يكافئون الا طاقتهم ، لأنهم بذلوا الجزية على أن يوماً منوا في أنفسهم وأموالهم وأهليهم ، لما روى البخاري في الجماد عن عمر بن الخطاب (رضه) أَنَّهُ قَالَ لِمَا طَعْنَاهُ أَبُو لَوْلَةَ الطُّعْنَةَ الَّتِي مَاتَ بِهَا قَالَ : « وَأُوصِيهِ أَيْ خَلِيفَةً بَعْدِي بِذَمَّةِ اللَّهِ وَذَمَّةِ رَسُولِهِ : أَنْ يُوفِي لَهُمْ أَيْهَى لِأَهْلِ الْكِتَابِ ، وَأَنْ يُقاْتِلَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وَلَا يُكَافِئُوهُمْ إِلَّا طَاقَتِهِمْ »  
 اقول : وقد ذكر العلامة عليهم الرحمة أنه اذا كان للعدو حصن وفيه واحد من اهل الذمة غير معروف فافتتحه المسلمون عنوة اي قهر او لم يوماً من فيه لا يحل لهم قتلهم بسبب ذلك الذي الواحد الذى لا يمكن تعينه ، وذلك لقيام المانع بطريقة يقينية وهو وجود رجل غير معين له ما للمسلمين وعليه ماعليهم وله في عنفهم عهد وذمة ولو قال رجل منهم انا ذلك الذي فلا يوماً خذ بقوله لان قوله لا يعبر في مثل ذلك الوقت المخرج لا احتمال ان يكون قال ذلك خوفاً لتخلص نفسه ، وربما كان الذي غيره ، ولذلك يجب البقاء عليهم اجمعين .

بل صرّح العلماء بما هو أبلغ في التسامح من هذا معنوياً، وهو  
أنه اذا مات ام الولد فاعطاه ابوه اليهودية مثلاً لترضعه مع ابنها وغاب  
ابوه وماتت اليهودية واشتبه الحال في ايها ولد المسلم ولم يحصل  
التبييز بوجه ما وقد شبَّ الولدان على اليهودية : فأبن المسلم مسلم تبعاً  
وقد أرتدَ ولا يلزم أحدها بالاسلام للاشتباه ، فاحدهما مرتدٌ  
ولا يلزم بالاسلام لعدم تعينه ۱۱

وما جاء في شأن اهل الذمة ما روي أن الخليفة الثاني عمر بن  
الخطاب (رضه) رأى شيخاً نصراانياً يسأل عن باب المسجد فرق له عز  
رحمة به وقال مخاطباً إياه : ما انصفناك يا هذا أخذنا منك الجزية  
فتى وأضعناك شيئاً ثم فرض له من ييت المال مالاً يتقاده طول  
حياته

هذا وإن قصة القبطي مع ابن حاكم مصر عمر بن العاص شهيرة  
يُضرب بها المثل في عدل عمر رضي الله عنه ولا بأس من ايرادها  
ل المناسبة المقام ، وهذا كها :

روى بن عبد الحكم عن انس : أنَّ رجلاً (قطبياً) من اهل  
مصر أتى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين عاذ بك من الظلم ،  
قال : عذْتَ معاذًا ، قال : سابقت ابن عمر بن العاص فسبقته بفعل  
يضربني بالسوط ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر (رضه)

ثم ارسلهن محفوراتٍ إلى غرفة المذاكرة ، وأمر باتفاق الباب عليهم  
إلى أن يفرعنه من الداخل دلالةً على توصيلهن إلى حكم في الدعوى  
وقد القاضي ينظر !

وطال انتظاره إلى أن تملأ كة الضجر ، ومل المحامون عن الجانين  
من الصبر ، وكان جسم المتهم المسكون يتنازعه عاملان الخوف والرجاء :  
فتولاه حرارة الامل مرةً ، وبرودة اليأس أخرى ، والحضور بين  
مؤمل له بالخلاص ، ومتوقع له الوقوع في قبضة العدل  
ولما ساق ذرع القاضي في تعجيل المخالفات الجميلات وفرغ  
صبره من انتظارهن أمر بفتح باب غرفة المذاكرة التي اجتمعن فيها  
ففتحت ، ورأى القاضي حضرات المحکمات يتحاورن في شأن  
لبسهن ، ويتباحثن في أمر الرزي (الموده) والقبعات وما شا كل ذلك  
من المسائل يتعلقـة بنفقات الثياب واثمان الحلي ، وقد نسـين الدعوى  
التي طلبـين أخـتكـم فيـهاـ بالـكـلـيـة !! فغضبـ القـاضـي لـضـيـاعـ الـوقـتـ ،  
ثم قـفـقـهـ ضـاحـكاـ منـ تلكـ المـقـولـ ، وـلامـ نـفـسـهـ كـثـيرـاـ الـاـنـهـ خـالـفـ المـقـولـ  
فيـ اـنـتـخـابـ الـمـحـكـمـينـ وـالـمـقـولـ »لهـ

وـ منـ تـأـملـ فيـ هـذـهـ الـوـاقـعـةـ يـحـكـمـ انـ لمـ يـكـنـ منـ اـهـلـ التـعـصـبـ  
بـأـنـ هـذـاـ الجـنـسـ الـلـطـيفـ لاـيـصـلـحـ الـلـادـارـةـ الـمـنـزـلـ وـتـرـيـةـ الـأـطـفـالـ ،  
وـ هيـ الـوـظـيـفـةـ الـتـيـ خـلـقـتـ الـمـرـأـةـ لـاجـلـهـ لـاـغـيـرـ هـذـاـ وـانـ كـثـيرـاـ

من عاقلات النساء الاروية قامت تدعى بان هذه الحرية التي منحت للنساء خرجت بهاما خلقت لاجله . كما سذكر ذلك فيما بعد قال (آرثر شوپنهاور) فيلسوف المانيا الشهير في كتابه «كلة عن النساء» الذي عرّبه حسن افدي رياض مانصه :

«يسمون المرأة في اوروبيا بالسيدة و يخلونها محلاً لا يقبله العقل السليم ، على انها وهي الجنس الوضيع عند القدماء لم تخلق لتكون محل الاعتبار وموضع الاحتراز ، ولا لترفع رأسها فوق الرجل ، ولا ليكون لها من الحقوق ما له ، وكفانا ما اصبحنا فيه مما لا يحتج لاثبات دليل على سوء نتيجة تعظيمها واحترامها .

انَّ النّفوسَ لِتُتَمَّنَىَ ان ترجع اوروبيا في هذه الطبقة الثانية من الجنس البشري الى مركزها الطبيعي ، وأنْ تُتمَّحِيَ السيدة التي اضحت اهل آسيا باجتماعها ، ولو علم بها قدماء اليونان والرومانيين - جعلوها موضوع سخرية لهم ايضاً ، ويكون هذا الاصلاحي خطوة حقيقة في سبيل تنظيم احوالنا السياسية والاجتماعية ، وهذا هي اصول قانون (ساليك) واضحة كالشمس لا ينبع نقداً

انَّ ما نسميه في العرف بالسيدة لفئة يجب القضاء عليها حتى لا يبقى في هذا العالم غير نساء لمنازل عارفات بالاشغال المنزلية ، وفتيات تستعد لذاك : يعوذن العمل ، ويُطبعن على الموضوع

إلى عمرٍ وَيُأْمِرُهُ بِالْقَدْوَمِ وَيُقْدِمُ أَبْنَهُ مَعَهُ ، فَقَدِمَ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَيْنَ الْمَصْرِيُّ ؟ خَذِ السُّوْطَ فَأَضْرِبْ ، بِفَعْلٍ يَضْرِبُ بِالسُّوْطِ وَعُمَرٌ يَقُولُ : أَضْرِبْ أَبْنَ الْأَكْرَمِينَ » قَالَ انسٌ فَضْرَبَ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ ضَرَبَهُ وَنَحْنُ نَحْبُ ضَرَبَةً ، فَمَا أَقْلَمْ عَنْهُ حَتَّى تَذَكَّرَنَا أَنَّهُ يَرْفَعُ عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ (عُمَرُ) الْمَصْرِيُّ : ضَعِ السُّوْطَ عَلَى صَلْعَةِ عُمَرٍ وَفَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّمَا أَبْنَهُ الَّذِي ضَرَبَنِي وَقَدْ اسْتَقْدَمْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ عُمَرُ لِعُمَرٍ : مَذَكُورٌ كُمْ تَعْبُدُمْ النَّاسُ وَقَدْ وَلَدْتُهُمْ أَمْهَاتِهِمْ أَحْرَارًا » قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ أَعْلَمْ وَلَمْ يَأْتِيْ «

ولو أردنا أن نقابل أمثال هذه الحادثة بما يفعله الانكليز في مصر من اضطهاد الوطنيين واحتقارهم واعتبار أقل جندي انكليزي أرق وارفع من اعظم سري وعالم : نجد فرقاً بعيداً ومناً شاسعاً، وسنورد طرفاً من ذلك في باب «القصاص في الاسلام»  
ومن نظر في التاريخ ورأى ان المسلمين كانوا يهتمون بخلصهم اسرى اهل ذمتهم كما يهتمون بخلص اسرائهم ويجعلون استخلاصهم من ايدي العدو شرطاً يعلم مبلغ عنانية المسلمين بنـ كانوا تحت رعايتهم وحفظهم من غير المسلمين، لأنهم يعتقدون انهم واهل الذمة سواستهـ في جميع الحقوق  
على ان حماية النصارـ واليهود وكل من كان تحت رعايةـ

الدول الاسلامية منذ انتشرت اعلام الاسلام في الافق معروف مشهور ، فقد كان الخلفاء المسلمين ولم يزالوا يبذلون الجهد لدفع الاذى عن اهل ذمتهم وعهدهم ومن دخل في امانهم، ولحياطتهم بما يرثه معيشتهم ويحفظ كيان دينهم وعوائدهم ، ويعاملونهم بالحسنى والمساواة بالمسلمين — بل ان من نظر الى ما كانت عليه العلماء من غير المسلمين من التعظيم والتجليل والاكرام ، وكيف كانت لهم الكلمة النافذة في الدولة ، وكيف قبضوا على نواصي المراتب العالية، والرتب السامية، وقيادة الجيوش: يعلم مبلغ تسامح المسلمين ورعايتهم من كان تحت حفظهم وذمتهم .

جاء في كتب التاريخ : أنه صبت الفتن على بغداد فقضت بخربها فاهتم عضد الدولة بعمرتها سنة ٣٦٩ فأصدر الامر في بناء المساجد والأسواق وإطلاق الاموال للقراء والعلماء من كل دين ونحلة ، وكان له وزير نصرياني اسمه (نصر بن هرون) فأمره ببناء الكنائس والأديرة واعطاء الاموال للقراء من اهل دينه — من نظر الى مثل هذا الفعل بعين الانصاف يعلم مقدار تساهل الخلفاء المسلمين وتساحفهم وحبهم ترقية حال من لا ذ بذمتهم وانصر دليل على سماحة الاسلام والدول الاسلامية هو ما نفعله في الدولة العلية العثمانية ) مع رعايتها من اهل ذمتها بل ومن

غيرهم من يقصدون إلى بلادها ، وكثير منهم طردتهم دولهم كالجزويت واليهود فوجدوا عندها مُنْزلاً رحباً ومستاخساً مهلاً وعيشة راقبة ، وذلك هو عين متأمر به الشريعة الإسلامية ، ويحضر عليه القرآن الكريم وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم . غير أن اللورد كروميت يتعارى عن كل ذلك ويقول : إن القرآن يأمر بما هو مناف للدنية ويحضر على كره الأغيار ، ويرثي في نفوس مُتَّبعيه عاطفة الكره والانتقام الخ . . . فلا حول ولا قوة إلا بالله .



## القصاص في الإسلام

وما ذكره اللورد في موضوع تعصب المسلم قوله :

«إنَّ المُسْلِمَ مُنْذَ قَرُونَ مَا بَرَحَ يُؤْمِنُ بِالانتقام لِنَفْسِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ وَأَنْ يَضْرِبَ مَنْ يَضْرِبُهُ عَيْنًا بَعْنَانًا وَسَنًا بَسْنًا»، وَعَلَيْهِ تَرَى أَنَّ الْإِسْلَامَ يُخْتَلِفُ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ فِي أَنَّهُ يَغْرِسُ فِي الْعُقُولِ أَنَّ الانتقام وَالْكُرْهَ يَجِدُ أَنْ يَكُونَا أَسَاسًا لِلِّمَاعِمَلَاتِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالآخَرِ بِدَلَالَةِ مِنَ الْحَمْبَةِ وَالْإِحْسَانِ»

ويكفي في رد بعض هذا الكلام ما قدمناه في الأبواب السابقة من الآيات والاحاديث ، وما عاقدناه على ذلك من القوالي ، فليرجع إليه من أراد . ونحن نرد الآن انتقاده على الإسلام في الاقتصاد فقول :

الإسلام أتي لحفظ الأمان العام بالحدود والقصاص ليلزم كل انسان حدّه فلا يتتجاوزه ، اذ من المعلوم أنَّ الناس طبقات : فهم يتفاوتون في الاخلاق والآداب والطابع ، كما يتفاوتون في المراتب والمنازل والمعنى والفقير والجميل والعلم ، وهذه الحياة حياة جهاد ومقاومة للتأثيرات الخارجية التي تطرأ على جسم المجتمع

الإنساني ، وإنَّ هذه التأثيرات والعارض إن لم يوجد لها صدام ينفَّذ وطأتها تزداد يوماً إلى أن لم يبقَ في قوس الرجاء منزع . ولما كانت بعض النفوس تنزع إلى ما حرَّمَه عليها الشرع والعقل تبعاً لأهواءها وأ咪الها احتجت إلى رداع يردعها عن ذلك الميل وتلك الجنائية التي تصرُّ بها وبحيطها ، فشرع الله لها حكاماً وقصاصاتٍ نالَ من جاوز الحد ، واستباح حي المحارم ، فمن ناله القصاصات اعتبر به غيره ، وأعتبر هو أيضاً في قلع عما توحيه إليه نفسه الخبيثة «إنَّ النفس لا مَآرِبةٌ بالسوء» ولو ترك كلُّ إنسان وهواء يفعل ما يشاء : يضرب هذا ويقتل ذاك ويسرق مال الآخر ، إلى غير ذلك من الموبقات ، ولم يكن له من وازع يكفُه ، لاختلط الحال بين البال وضاعت الحقوق ، واستبدَّ القوىُّ بالضعف ، فيهلك العالم ويفسد الكون — لذلك أقضضت حكمة الله تعالى ورحمته بعباده أن شرع لهم من الدين ما شرعه لمن قبلهم من الأمم ، فآية القصاص التي وردت في القرآن كافية إذا عمل بمقتضاه لحفظ الحقوق وجحْب الدماء ووقف كل إنسان عند حده — فهل لجناب اللورد كرومر أن يتعمى عن حكمتها وموافقتها للصالح العامة ؟ — السنُّ بالسنِّ ، فتى عرف المرء ذلك أمشنَّ أن يضرب أحداً على خده كيلاً يكون من جراء ذلك قلع سنَّ المضروب في قلع سنَّ الضارب أيضاً ،

والعين بالعين كذلك ، والانف بالانف كذلك ..... ، النفس بالنفس ، فمن عرف أنه إن قتل يقتل أمشعر عن القتل ، وبذلك يكون القتل أنفي للقتل ، ويكون القصاص حياة « ولهم في القصاص حياة يا أولي الالباب »

عجباً لقوم يرون القذى في اعين غيرهم ولا يرون العمد في عيونهم - كأنَّ ما تفعله الدولة الانكليزية وسائر دول اوروبا يحقق وبغير حق من التشهير والفتوك وسائر ضروب التكيل هو مُغتفر ، وما أمر به الاسلام من العدل في الاقتصاص من الجناة ليتردعوا عن فعلتهم المنكرة ويعتبر غيرهم فلا تميل نفسه الى مثل عملهم ، كل ذلك يعتبره جناب اللورد خطأً من الاسلام ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

لو يعلم اللورد كرومر أنَّ آية القصاص ليست شريعةنا أولاً وبالذات ، بل هي اخبار عما شرعه الله لبني اسرائيل من قبل ثم صارت شرعاً لنا ، لأن شرعَ منْ قبلنا شرع لنا إن لم يُنصَّ على نسخه ، بل وهي شريعة النصارى ايضاً لأنهم مأموروون ومُلزَمون بالعمل باحکام التوراة الاً ما نسخ منها او آية القصاص محكمة لم ينسخها الانجيل على أن امر القصاص ليس راجعاً لافراد الامة بل الى اولياء الامور ، فالمحني عليه يرفع امره الى الحاكم وهو يقتضي من الجاني

بمثل جناته ، ولا يجوز له أن يجاوز الحدّ . ولا بدّ في القصاص من المساواة ، فلا يقطع يدُ صحيحة بيدِ شلّاً ، مثلاً ، ولا عينٌ بمصراة عينٍ عمياء ، وهلّ جرّاً العدم المساواة ، بل يكتفى من ذلك بدفع مالٍ للجنيّ عليه عوضاً عن مصيبته ، ولو عفّا ربّ القصاص أو قبل بمالٍ سقط الحق عن الجاني وبطل القصاص ، قال تعالى : « وَجزَاءُ  
سَيِّئَاتِهِ سَيِّئَاتٌ مُّثْلَاهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ  
الظَّالِمِينَ » فأول الآية يعلمُ الحاكم كافية القصاص والحكم بين  
الناس ، ووسطها يعلمُ الجنبيّ عليه أنَّه إنْ عفا عن الجاني وأصلح ما بينها  
من الاحقاد بالمنِّ عليه بالغفو فله الشواب الجزيل عند ربه تلقاه  
عفوه ، وختامها يرشد الأمة عموماً والحكام خصوصاً إلى أنَّ الله  
يكره الظلم في الحكم والتعدّي على الأغيار .

امثال اللورد يعييون على الإسلام قسوته في الحدود والعقوبات  
كحدّ الزنا وشرب الخمر وقطع طاعن الطريق ، ويئتون من جلد الزاني  
او رجمه وجلد شارب الخمر وصلب قاطع الطريق في بعض الصور ،  
نعم إنَّ مثل هذه الأحكام موجود في الشريعة الإسلامية، ولكنها  
لم تُفرد بهذه الحدود: فرجم الزاني موجود في شريعة التوراة ومعمول  
به عندهم - على أنَّ من تأمل فيها تجربَ إليه امثال هذه الموبقات من زعزعة  
اساس الأخلاق الفاضلة واركان العمران لم يعرض على الشريعة

الاسلامية بعملها بهذه الحدود — لو نظرنا الى ما ينتجه الزنا من الشرور والمجاصد التي تجرّ على الهيئة الاجتماعية من الوبيلات والامراض والفتن والخراب ، فضلاً عن صدع يضة الشرف وتكثير اولاد الزنا الذين ينسبون الى غير ابיהם الحقيقي إن كانت أمهاتهم متزوجة ، أو يعيشون لا عائل لهم ان كانت عزباء ، لو نظرنا الى ما نقدم لحکمنا بأنَّ هذا الحدُّ موافق للصالح ونظام العمران والمدينة الصحيحة — لو تأمل العاقل فيما تجرّه الخمرة على شاربها من الاضرار المادية والمعنوية والامراض والموبقات لقال إنَّ حد الشرب الذي وضعته الشريعة الاسلامية مناسب وموافق ليرتدع امثال هؤلاء المجانين على انفسهم بل وعلى الهيئة الاجتماعية جنایاتٍ لا تُعفر الا بِإغفال تلك الحالات وعقوبة الشاربين .

يقول اللورد : ان الشريعة المسيحية لم تُعاقب الزانية بالقتل ، فانهم لما اتوا السيد المسيح بالزانة وأرادوا رجمها ، قال صلوات الله عليه : ليترجمها من لم يفعل خططيته . ويقصد اللورد بذلك المقابلة رأفة المسيحية ورحمتها وصلابة الاسلام وشدّته ، وغفل عن أنَّ الحدود اثما وُضعت لارهاب من اراد أن يتعدى حدود الله التي سنَّها ليكون الانسان سعيداً في حياته — على أنَّ امر ثبوت الزنا في الاسلام ليس بالأمر الممكِّن ، فانَّ له شروطاً تكاد تجعله مستحيلاً

الوقوع ، فلهذا لم يؤثر أنه ثبت وقوع الحد على الرأي الآخر ، بل لا يتصور وقوعه إلا فيما إذا شهد شاهد على نفسه بذلك أربع شهادات ، ولو شهد انسان على نفسه بالزنا فيقام الحد عليه فقط دون المرأة التي أدعى انه زنى بها إلا إن شهدت هي كذلك . او فيما إذا شهد أربعة شهود عدل أنهم رأوا منها الفعل حقيقة كما يرى الميل في المحكمة ، ولا يكفي أنهم رأوه فوقها او قاعداً منها مقعد الفاعل او نحو ذلك ، فلو شهدوا عليها بالزنا وآختلفت الشهادة ، حتى لو شهد ثلاثة منهم رأوا الفعل حقيقة وشهد الرابع بأنه رأه فوقها ولم يره يفعل سقط الحق عن المدعى عليها وجلد الحكم الشهود جزاء لهم على افترائهم ، لأن امر الاعراض امر لهم جداً ، - وما هذا التشديد في حد الزنا من كونه لا يثبت الا ب احد شيئاً : اما بالاقرار واما باربعة شهود عدل على شرط الشهادة ، الا لتخفيض امر ثبوته - وقد ورد كثير من الآيات والاحاديث الرادعة عن اشاعة الفاحشة ، منها قوله تعالى : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم مالا تعلمون » وروى البخاري : قال : اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فناداه : يا رسول الله : إني زينت فأعرض عنه اي لكراهة سمع ذلك وستراً

له ، فلما شهد على نفسه بالزنا اربع مرات قال رسول الله : أبك جنون ؟ قال : لا ، قال صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه . وروى ايضاً أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أعرض عنه ثلاثة مرات وهو يقول له : لعنةك لم تستط ، لعنةك قبلت ، لعنةك فاختذت ، وهو يُقرُّ بالزنا ، ثم قال له في الرابعة : أ..... ؟ قال : نعم ، فسألَه هل أُحصنت ؟ قال : نعم ، فأمرَ برجه .

قال القسطلاني : الستر على عبوب الناس مطلوب ، فلا ينبغي أن يدخل على جماعة يشربون الخمر في موضع ولم يظهر منهم امور فساد ، لما روى أبو داود والنسائي عن دجىن أبي الهشيم كاتب عقبة ابن عامر : قال : قلت لعقبة : إنَّ لنا جيراناً يشربون الخمر وانا داع عليهم الشرطة ليأخذوهم ، قال : لا تفعل وعيظهم وهددهم ، قال : اني نهيتهم فلم ينتهوا وانا داع لهم الشرطة ليأخذوهم ، قال عتبة : وبحكم لا تفعل ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من ستر عورة فكأنما أستحيها موطدة في قبرها . والاحاديث كثيرة بهذا المعنى فلا نُطيل بذكرها » اهـ ما اورده القسطلاني

فانت ترى أنَّ الحدود التي شرعها الاسلام وان كانت قاسية فهي للارهاب أكثر منها لاقامتها ، لأنها لا تقام الا متى ثبت ثبوتاً جلياً ، وذلك فيه من العسر والتضييق ما جعلها لا تثبت الا

في القليل النادر - ومع ذلك فالحاكم ينفي أن يكون من طرف المتهم بامثال هذه الجرائم ، بأن يعظ المدعى والشهود وينحو فهم من الله ويدركهم بأن عذاب الآخرة أشد إن كانت شهادتهم على غير وجهها ، فقد روى البخاري أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَأَنْتُمْ تَخْصِّصُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنْجَنَةُ ( أي ابلغ من الايات بمحاجته من بعض اي وهو كاذب ) فَأَقْضِيَ لَهُ نَحْوَ مَا أَسْعَمْ ، فَمَنْ قُضِيَتْ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَلَا يَأْخُذُهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قَطْعَةً مِنَ النَّارِ »

وما أنتقده كروم من حدود القصاص وأستدل به على عدم صرامة الدين الاسلامي تلك الفتوى التي افتى بها المرحوم الشيخ العباسى مفتى الديار المصرية سنة ١٨٩٠ م ، وذلك أنه كان عضواً في مجلس شورى القوانين فإنه مشروع يختص بعصابات اللصوص وقطعان الطريق يسأل فيه عن حكم الله في هؤلاء فذكر الآية الشريفة : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصabolوا أو تقطع أيديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فأعمموا أنَّ اللهَ غفورٌ رَّحِيمٌ »

ولو رفع اللورد حجاب التغضب او الجهل عن قلبه لم يحكم على الدين الاسلامي بعدم المرونة بسبب هذا الحكم ، وذلك أنَّ الشرع الشريف كما قد منا جاء لحفظ الامن العام ومحازاة مَن يعتدي على الارواح والاموال ، او يتجاوز الحدود التي تخلُّ براحة العموم ، ففرض لكل سيدة يرجع ضررها الى الهيئة الاجتماعية قصاصاً يختلف باختلافها قوةً وضاعفاً ، وقد أمر بالعدل في كل تلك القصاصات ، وفوض بعض القصاص الى اولي الامر في بعض الجنایات التي لا يمكن ضبطها كالشتائم والجروح مثلاً . وأما الذنب الذي يرجع ضرره على الفرد الجاني فقط فقد حذر منه تحذيرًآ كليًّا ولم يجعل للحاكم سيطرة عليه الا إنْ أشتهر امره او كان يفعله على مرأى من الناس ، فجعل الشرع للهيئة الحاكمة حينئذ قصاصاً تقيمه عليه حتى لا يتمادي في طغيانه فيكون ذلك سبباً لزيادة الخطايا المدنية بسبب تعدّي تلك الخطيبة الى غيره فانَّ من كان لا يالي بالزناء مثلاً ، ويقول انا ا فعل كذا وكذا ، وانَّ من يشرب الخمرة على مرأى الناس او يشربها سرًّا ثم يخرج وهو سكران فربما يستهوي بذلك غيره فيفعل مثل فعله ، فيه سع الحرق ، ويتفاقم الامر ، فوضعت الشريعة حدوداً مخصوصة ، وهذه الحدود وإن لم تستأصل هذه الجنایات فهي تُقْالِمُها بلا شك ، وتجعل ضررها فاسداً على الجاني

فوضع امثال هذه الحدود على مثل هذه الخطايا الشخصية لا لأنها خطئات فقط، بل لأنها جُوهرها فتعدى ضررها الأخلاقي والمادي على غير مختraphها وجانيها ، فأصبحت جنایاتٍ عامة ضارة بالمجتمع — الا ترى فيما قدمنا كيف ان الرسول (ص) نهى عن فضيحة المستتر بعصيته الشخصية؟ — وقد ورد ايضاً في بعض الاحاديث نهيٌ من كان مُبتلياً بعصية من اظهارها او التحدث بها، وامرٌ بالاستثار عن اعين الناس كيلا يصيبه الحدّ ، ولئلا يراه بعضهم فيروق له ان يفعل مثل فعلته لان "النفس امارة بالسوء" فلنا : الحدود وُضعت لمن يجني جنایة تضرّ بالمجتمع ، سواء كانت شخصية ثم انقلبت عمومية ، او كانت عمومية لاول فعلها، فجعل الشرع قصاصاً للسارق وهو قطع اليد ، ثم فرق بينه وبين المختلس والمنتسب والخائن ، فلم يضع لهم قصاصاً سوى الذي يراه الحكم ، وقد قال الفقهاء ما خلاصته : السرقة اخذ المال خفية ، وشرع اخذه خفية ظلماً من حرز مثله ، فيخرج اخذه جهرةً بنهب او اختلاس واخذه مال غيره يقطنه مال نفسه وينخرج ايضاً الخائن الماجد لنحو وديعة . والنهاية اخذه المال جهرة اعتماداً على القوة . والاختلاس اخذه جهرة اعتماداً على المهرب والفرار . والفرق بينهم وبين السارق ان السارق يأخذ المال خفية ولا يتأنّى منعه ، وكلّ من المختلس

والمنتسب يأخذ المال جهراً معاينة فيتأتى منعه ، والخائن يعطيه المالك المال بنفسه فربما يشهد عليه فيتأتى تحصيل المال منه بالحاكم إن خان بعد ذلك ، فإن لم يشهد عليه فهو المقصّر . هذا وان للقطع شروطاً فلا يقطع يد مطلق سارق ، ومن اراد التفصيل فليرجع إلى كتب الفقه .

ومن الجنایات الكبرى التي تضر بالمجتمع ما يفعله قطاع الطريق من النهب وقتل الانفس البريئة ، الى غير ذلك من الفظائع . وقد وضعت الشريعة العادلة لذلك قصاصاتٍ تختلف باختلاف اهميتها ، والحاكم مخير بإقامة احدها وهو يفعل ما يناسب الزمان والمحيط . ولما كان شرعاً هؤلاء (قطاع الطريق) مستطيرا لا يرحمون صغيرا ولا يرأفون بشاب ولا امرأة : سماهم القراء محاربين لله ولرسوله اشارة الى فظاعة عملهم وقيمة صنيعهم ، فقال : « انا جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً اخْ » وقد ذكروا أن هذه الآية نزلت في قطاع الطريق وهم نفر من عكل وعرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجتوها بالمدينة ، فأمرهم الرسول أن يأتوا قبل الصدقة فيشربوا من ابوالهما والبانها فقتلوا راعيها ومثلوها وسملوا عينيه ، فأتي بهم فسُملت عيونهم وقطعوا ايديهم وارجلهم جزاً لهم على هذا الفعل المنكر

«آن يقتلوا» اي جزاء من تقدم ذكرهم ان يقتلوا اي ان قتلوا النفس فقط «او يصلبوا» بعد القتل إن قتلوا وأخذوا المال «او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف» اذا اخذوا الاموال ولم يقتلوا النفس التي حرم الله «او ينفوا من الارض» اذا اخافوا السبيل وارهبا المارين ولم يقتلوا ولم يأخذوا الاموال . وقال ابو حنيفة (رضه) : اذا قُتِلَ قُتِلَ ، واذا أَخْذَ الْمَالَ لَمْ يَقْتُلْ قُطِعْتِ يَدِهِ وَرَجْلِهِ مِنْ خَلَافٍ ، واذا أَخْذَ الْمَالَ وَقُتِلَ فَالسُّلْطَانُ مُخِيَّرٌ فِيهِ إِنْ شَاءَ قُطِعْتِ يَدِهِ وَرَجْلِهِ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَقْطِعْ وَقْتَهُ وَصَلْبَهُ . وقال الشافعي (رضه) : اذا اخذ المال قُطِعْتِ يَدِهِ اليمى وحُسِّنَتْ وُخْلَى لَأَنَّ هَذِهِ الْجَنَاحِيَّةِ زَادَتْ عَلَى السُّرْقَةِ بِالْحَرَابَةِ ، واذا قُتِلَ قُتِلَ ، واذا اخذ المال وَقُتِلَ قُتِلَ وَصَلْبَ . وَنَحْوُهُ قَوْلُ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

ثُمَّ أَنَّ الْحَكْمَةَ مِنَ الْصَّلْبِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ زَجْرًا لِلْغَيْرِ عَنِ الْأَقْدَامِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْمُعْصِيَّةِ الْكَبِيرَى ، وَلَذِكَّ كَانَ الْأُولَى أَنْ يَكُونَ الصَّلْبُ فِي مَمَّا رَأَى النَّاسُ لِيَعْتَدِرَ مَنْ يَرَى — وَالَّتِي مِنَ الْأَرْضِ عَنْهُ الشَّافِعِيُّ يَكُونُ بِنَفْيِهِ مِنْ بَلْدِهِ إِلَى بَلْدِهِ وَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَهُوَ هَارِبٌ فَرَقًا إِلَى أَنْ يَتُوبَ وَيَرْجِعَ . وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةِ يَكُونُ بِالْحَبْسِ وَالسِّجْنِ ، قَالَ الْأَلْوَسِيُّ : وَالْعَرَبُ تَسْتَعْمِلُ النَّفِيَ بِذَلِكَ الْمَعْنَى لَأَنَّ الشَّخْصَ

يُفارق بيته وأهله ، وقد قال بعض المسجونين :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسان الموات فيه اولا الا حيا اذا جاءنا السجان يوماً حاجة عينا وقلنا جاء هذا من الدنيا ثم أردد الله تعالى هذا القصاص بقوله : « ذلك لم يخزي في الدنيا » اي ذلك القصاص ذلة وفضيحة في الحياة الاولى « ولم في الآخرة عذاب عظيم » لعظم هذه الجناية التي هي بمنزلة محاربة الله ورسوله . اقول والله اعلم : ان عذاب الآخرة هو لمن لم يقم عليه الحد في الدنيا والا فالله اعدل من أن يجمع عليه الحزبين ، وللمفسرين في ذلك اقوال فارجع اليها ان شئت ، وهذا هو ما ظهر لي في توجيه عذاب الآخرة ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري في صحيحه من حديث : « من وفي منكم فأجره على الله ، ومن اصاب من ذلك شيئاً فهو قببه في الدنيا فهو كفارة له » ثم قال تعالى نعم لما سبق : « الا الذين تابوا من قبل ان نقدروا عليهم » بان فاؤوا الى الحق ورجعوا عن قطع السبيل « فاعملوا ان الله غفور رحيم » فهو يغفر بالتوبة حقوقه ، ولا يسقط بها حق العباد ، ولذلك عبر بالمففرة دون النهي عن اقامة الحد عليهم إن قتلوا او سلبو الاموال ، فان ذلك راجع لولي الحد وصاحب الحق ان شاء عفا فيسقط الحد ، وان شاء طالب

بذلك فيقيم الحكم الحد على الجاني - وأعلم انه لما كانت المحاربة والفساد في الارض يختلفان قوة وضفافاً شرعت لكل نوع من انواعها عقوبة معينة كما سلف ، فعلى هذا تكون او للنقيم والتنوع وهذا ما نزاه الحق . ولبعض المفسرين قول آخر وهو أنَّ أو في الآية للتخيير ، فالحاكم يخier في هذه العقوبات بالنظر الى الاشخاص والزمان ، لأنَّ العقوبات للأذى جار واصلاح الخلق ، وربما يتفاوت الناس في الانزجار فوكل ذلك الى رأي الحكم ، وأختار هذا الرأي صاحب المؤيد في ردوده على كرومر . والذي ملنا اليه هو المواقف النصوص لأنَّ الله يقول : « وجراه سيئةٌ مثلها » وليس في التخيير في الاغاظ والاهون كبير معنى كما ذكر ذلك اللوسي . على أنَّ الحكم له أنَّ يعمل بالتخيير ان رأى المصلحة فيه ، لأنَّ حكم الله يدور مع المصالح العامة طالما لا يصادم الرأي مفاهيم القرآن والحديث الصحيح وقواعد اللغة . - هذا حكم الله فيمن يسلب الراحته وينجيف الناس ويعتدي على اموالهم ودمائهم ، فهل فيه من الاحكام ما ينافي العبران ، او يدل على انه مناف للرأفة والمرونة ؟ - ربما يقال : إنَّ الصلب حالة نقشر منه الابدان ، فنقول انه مثيل حالة الشنق وقطع الرأس ، لأنَّ قدمنا ان الصلب يكون بعد القتل ، وفيه نوع من الرهبة لمن يفعل مثل هذا النكارة ، لأنَّ من يقتل الناس

ويسلب اموالهم ويسمى في الارض فساداً جديراً به أن يقتل  
جزاء أختياله الفوس ، ثم يصلب بعد قتله مقابلة لفساده ونهاه ،  
فيرتدع من يرافقه من الاشقياء او يسمع به عن مثل فعله الحال بالحضارة  
وال عمران والمدنية .

على أن ما هو مأثور عن فعل اللورد كرومر وفظائعه وفظائع  
غيره من قومه وسائر الاوربيين اعظم وادهى وأمر :  
أنسي جناب اللورد حادثة دنشواي وما أمرها بيعيد حيث  
سفكت الدماء البريئة وجلد الرجال على غير ذنب جنوه سوى انهم  
دافعوا عن حقوقهم ولم يسفكوا دمما بريئا غير أنهم ضربوا رجالاً  
انكليزياً ثم صادف أن أصيب بالشمس ثات ؟ - أنسي اللورد  
يوم أحرق ثانية من اللصوص احياء في (البلينا) بدعوى أنهم عصابة  
لصوص وكان هو اعظم حام لبعض الفاعلين ؟ في حين أن الشريعة  
الاسلامية نهت عن الحرق مطلقاً وعدت من يفعل ذلك بعذاب عظيم  
- أنسي فعل الانكليز بالدراويش ؟ - أنسي فعلهم بالترنسفال ؟  
- أنسي فعل الفرنسيس في الجزائر والدار البيضاء ... ؟ - اني  
اني ؟ الى آخر ما واردت احصاءه لسودت كثيراً من الصفحات ،  
كاسود التاريخ والكون بفظائع أعمالهم .

ذكرت جريدة « العدل » الانكليزية التي تصدر عن

لندرا ما نصه :

«قد أسمى الفلاح في عهد كرومر في حالة فقر مدقع، وقتلوا  
قتلاً ، لانه تجرأ على الدفاع عن بيته وعائلته ضد اعتداء الصبّاط  
الإنكليز الذين سلبوه طعامه واطلقوا النار على زوجته ، ثم قتلوه حباً  
بالصيد والقنص » ١٤

﴿ وخلاصة الكلام ﴾ أن ما شرعه الدين الإسلامي من  
القصاصات والحدود هو عين الحكمة ، وهو النظام الوحيد الذي  
يجعل الناس في هناء ورقاء آمنين من مدد السوء إليهم ، وهو من  
موافق للصالح العامة والخاصة ، وفيما قدّ منه كفاية لمن اراد الحقيقة ،  
وكان من ذوي العقول السليمة .



## الرق في الإسلام

الرق قديم ، وُجد منذ أضرمت نيران الحروب بين الأمم ، فابوه الضغائن أو حب الأثرة ، وأمه الميجة وال الحرب ، ولم تخُل أمة من الأمم من الاسترقاق ، وقد تقادى الناس في ذلك الأمر ، حتى إنهم كانوا يخنطون الناس للاتجار بها ، وكانت معاملة الرقيق تختلف باختلاف الأمة المسترققة : فمن رحيمه وهي الأقل حتى لا تكاد تذكر ، ومن قاسية جائرة وهي الأكثر كادت على ذلك التاريخ . وقد بلغ الرقيق من الذل والاستبداد به ما يمحّر له وجه الرحمة والانسانية ، وتنفطر له القلوب .

فلا جاء الإسلام ورأى حال الارقاء ، وما هم فيه من الاضطهاد والهوان رق لحالهم ورثي لضعفهم ، ولم تكن السياسة في ذلك الوقت تقضي بمنعه بتاتاً ، غير أنه حور تلك المسألة وعدّل نظامها ثم قضى بأن الرق لا يجوز إلا في حرب شرعية مع قوم صارحوا المسلمين بالعداوة والاذى ، وبشرط أن يضرب الإمام الرق عليهم ، فإن رأى المصلحة في عدم استرقاقهم فله ذلك ، فسد بهذا القانون كثيراً من أبواب الاسترقاق التي كانت مألوفة عند العرب وغيرهم

## قبل الاسلام .

فالدين الاسلامي اجاز الرق كسائر الاديان ، ولكن فاقها باقبال اكثراً بابه ، وبما سنه من النظمات في معاملة الرقيق ، فكانه بفعله هذا ينادي بأن عادة الاسترقاق من بقايا المموجية ، فلذا أمر باعتاق الارقاء وشدد في هذا الامر ورغم فيه ترغيباً ، حتى ان اكثراً اصحابه اعتقو من الارقاء ما لا يحصى ، وكان هو أول من بدأهم بذلك فاعتق زيد بن حaritha ثم زوجه بنت عمته زينب بنت جحش التي صارت بعد أن طلاقها زيد زوجاً للرسول صلى الله عليه وسلم لا يطال عادة التبني السائنة التي كانت مألوفة عند العرب . ثم لم يكتف بذلك بل جعل عتق الارقاء مكفرًا لكثير من الذنوب والأيمان : فمن حلف ميناً وكان غنياً وأراد أن يتحلل منها يعتق رقيقاً وبذلك يتصل من مينه ، قال تعالى في كتابه الكريم : «لا يأخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يواخذكم بما عقدتم أيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أوكسوتهم أو تحرير رقبة إلخ » أي إعتاق رقيق ليصير حرّاً – ومن قتل مؤمناً أو غير مسلم ذميّاً كان أو معاهدًا اي من قوم يبنوا بينهم ميثاق وعهد ، وكان قتله المذكورين خطأً لا عمدًا فهذا لا يقتل ، بل أمره الله بان يعتق ريقاً مع دفع الديمة لاهل

المقول ، ويكون ذلك كفارة له ، قال تعالى : « وَمَنْ قَاتَلَ مُؤْمِنًا خَطًّا فَتَحْرِيرُ رَبِّهِ مُؤْمِنٌ وَدِيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدِّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ يَنْكِمُ وَيَنْهَا مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَبِّهِ مُؤْمِنَةٌ إِلَّا » — وجعلت الشريعة لمن يُظاهر من أمرأته تخليلًا للرجوع إليها ، وذلك إنها أمرته بعتق رقيق ان وجد لذلك سبيلاً وبذلك تخلّ له قال تعالى : « وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَبِّهِ مُؤْمِنَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَسَاءَلُوا إِلَّا » — فانتَ ترى فيما تقدم أنَّ الشريعة الإسلامية تتحثُّ على إعتاق الرقيق و تحضُّ على تحريره لينال الحرية التي خلقه الله لاجلها . ثم إنَّ الشريعة لم تكتفِ بذلك بل أمرت الاغنياء بأنْ يشتروا الارقاء و يعنقوهم ، ثم تجاوزت ذلك و خصَّت لهم سهاماً من مال الصدقة (الزكاة) يُصرف في سبيل تحريرهم ، قال الله تعالى : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ » إلى قوله تعالى : « وَفِي الرِّقَابِ إِيْ فِي فَكٍّ قِيَودُ الرِّقَبِ عَنْ رِقَابِ الْأَرْقَاءِ . وَقَالَ أَيْضًا : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُوَافِفَةُ قَلْوَبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ ، فَرِيْضَةٌ مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » قدمنا معنى الرِّقَابِ ، وَأَمَّا الغارمون فهم المديونون الذين ليس لهم مال يكفي لوفاء ما عليهم من الدين فلهم أيضًا نصيب

من الزكاة لدفع دينهم . وأما صرف الصدقة في سبيل الله فيكون في كل مشروع يعود على المصلحة العامة بالخير ودرء المفاسد كصرفها في الاستعداد للجهاد وتشييد الحصون والمعاقل وتعمير الاساطيل وشراء السلاح وغير ذلك مما يدفع عن الامة وعمن هم تحت رعايتها من غير المسلمين بأس العدو واغارتة واعتداءه ، ويدخل في سبيل الله المدارس وغيرها مما يعود على الامة بالنفع والخيرات ، فكل ذلك في سبيل الله وتُصرف فيه الصدقة ، وأما ابن السبيل فالمشهور أنه المسافر المنقطع في الطريق دون الوصول إلى بلده ، وهو تفسير لا يأس به ، لكنه ليس مخصوصاً بالمسافر ، بل إنّ اللقيط وهو من يوجد من الأولاد ملقي في الطريق لا يعرف له نسبه هو ابن سبيل كذلك ، فيُصرف على تربيته وتهذيبه وتعليمه من مال صدقة الزكاة أيضاً .

قلنا : إنّ الشريعة حثّت ذوي اليسار والغنى على تخليص الرقيق ، قال تعالى : « ليس البرَّ أَنْ تُؤَلِّوا وجوهَكُمْ قَبْلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيَّينَ ، وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حِجَّةِهِ ذُوِّيَّ الْقُربَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ الْخَ » اي بذل المال في اعانته من أراد التخلص من الرق وفي تخليص الأسراء والارقاء . ثم حثّ على هذا بما هو أبلغ في الحض واقع في النفس ،

بأسلوب يستميل النفوس الجامحة ، ويغطف القلوب القاسية ، فقال : « لقد خلقنا الانسان في كبد » اي تعب ومشقة ، اشارة الى ان الانسان لم يخلق للراحة بل للاعتمال والكد في أمرى العاش والمعاد ، ثم ندد بن لبسوا رداء الكبزية واحقرروا من دونهم ولم ينظروا اليهم بعين المرحمة والشفقة فقال : « أيمسّب » الانسان ان ان يقدِّر عليه احد « ايء فهو يتکبر ويتجبر ويذلُّ الفقر ويستبد بالضعيف « يقول اهلكت مالاً أبداً » اي كثيراً من تبذّد الشيء اذا اجتمع ، اي هو يقول ذلك لكنه يرأي ويبخل في الخير ، واذا دعي لا نفاق شيء في سبيل الانسانية والمصالح العامة يقول : آنفقت مالاً أبداً ، وهو لم ينفق الا على شهواته وملذاته ، ويكتنز الذهب والفضة لاجلها ، فهو يقرع بذلك الاغنياء والبخلاء والذين يصرفون اموالهم في وجه غير مشروع ، ويختتم على اتفاقها في سبيل الخير ، ثم قال تعالى في حق من ذلك شأنه : « أيمسّب ان لم يره أحد » ثم امتنَ الله عليه بما منحه من نعمة الاعضاء التي يتصرف بالاعمال بسببيها فقال : « ألم يجعل له عينين ولساناً وشفتين ، وهديناه النجدة » اي طرقى الخير والشر ويفسر الخدان ايضاً بالثديين ، والله تعالى هدى الانسان للارتضاع منها لتفذية جسمه ، ومع ان الله منحه ما تقدم لم يشكِّر تلك النعم العظيمة ، فلم يسع لنفع البائس ونصر

الضعيف ، فاختار طريق الشر على طريق الخير ، فاستحق بذلك السخط والنعمة ، ثم قال تعالى : « فلا أقتحم العقبة » اي فلم يبذل جهده للدخول في الشدائدين التي تعود عليه وعلى بنى جنسه بالخير في الدنيا والآخرة ، واصل معنى العقبة الطريق الوعرة في الجبل وأستعار للشدة ، ثم بين الله ان تلك العقبة والشدة التي أمره بتحملها والدخول في مضائقها فلم يفعل : هي فك الرقاب اي اعتاق الارقاء ، واطعام الفقراء واليتام يوم المجاعات ، فقال : « وما أدرأكما العقبة » ثم اجاب بان العقبة هي « فك رقبة » اي فكها من قيد الرق « او اطعام في يوم ذي مسيبة يتيمًا ذامر بها او مسكينا ذا متربة » المسغبة الجوع والمتربة الفقر ، ثم ختم ذلك بقوله : « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة »

رأيت فيما نقدم أن شريعة القرآن أمرت باعتاق الرقيق وحثت عليه حثاً ، وحجبت الى الاغنياء شراءه وفكه من اغلال الرق ، ارشاداً الى ان الاسلام دين حرية يكره الاستبعاد ويحفو الاسر ، ويسهل الى كل مامن شأنه ان يرفع بالجنس البشري الى ذروة الاطلاق وعدم الاستبداد — فسقطت بذلك جنابه اللورد كروم على الدين الاسلامي بشأن الرق ، وانهارت دعواه الباطلة في ان الاسلام اخفق سعياً بصفته نظاماً اجتماعياً بباحثه الاسترقاق ، وبطل قوله : إن

مسألة الرق هي ما اوجب فشله امام نظام الاجتماع . ثم أن اللورد ادعى ان الديانة المسيحية لم تُوافق على الاسترقاق مطلقاً . . . . .  
 نقول: ان الاسلام أباح الاسترقاق ولكن جعل له شروطاً ضيقة تجعله لا يقع الا في احوال نادرة، ومع ذلك فقد امر كاقدمنا باعتاق الارقاء فضلاً عما سَنَه للسترقَةِين من قوانين الرحمة بهم والشفقة عليهم ومعاملتهم معاملة الابناء كما سندكره ان شاء الله تعالى -  
 فهل من شريعة عاملت الرقيق كالشريعة الاسلامية؟ كلاماً  
 كان الاسترقاق عند المسيحيين والوثنيين واليهود ليس له نظام ولا قواعد فكانوا يسترقون ويختطفون الناس ويعاملونهم بافظع انواع القسوة والاستعباد ، فلما جاء الاسلام اصلح حال الارقاء على النظام الذي قدمنا ، كما اصلاح كثيراً من امور الاجتماع خصوصاً امر المرأة كما سترى ، في حين ان الشريعة المسيحية لم يرد فيها كلة واحدة في الامر بتحرير الارقاء ، بل ورد فيها الامر بان يطيعوا سادتهم مع الخوف والرعب كما يطعون المسيح عليه السلام وأن يقوموا بخدمتهم احسن قيام تجسيداً لما جاء به من التعاليم ، قال ذلك بولس في رسالته ، وقد وافق عليه بطرس الحواري في رسالته الاولى: فقد اوصى العبيد بان يخضعوا سادتهم ويخافوهم - فسقطت دعوى كرومر في ان الديانة المسيحية لم تُوافق على الاسترقاق مطلقاً ،

لأنها كما علمت وافقت عليه وقررته وزادت على ذلك أنها لم تأمر السادة والاغنياء بما أمرتهم به الشريعة الاسلامية من تحريم وفتك اغلال الرق عنهم

— لمَ لَمْ يَهْبِطْ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَأْنِ الْأَرْقَاءِ وَيُرِيقَ لَحَالَمَ ؟  
وَلَمَ لَمْ يَنْهِ مَتَّبِعِيهِ عَنِ الْأَسْتِرْقَاقِ ؟ وَلَمَ لَمْ يَخْفِ وَطَأَتِهِ وَيَضْعِلِهِ  
نَظَامَاتِ تَجْعَلُهُ يَتَلَاشَى مَعَ مَرْوِرِ الْأَزْمَانِ ؟ وَلَمَ لَمْ يَأْمُرْ أَتَبَاعَهُ بِالرِّفْقِ  
وَالْمَرْحَمَةِ وَالَّذِينَ نَحْوُ الْأَرْقَاءِ مَقَابِلَةً لِأَمْرِهِ الْعَبِيدِ بِطَاعَةِ سَادِتِهِمْ وَالْخُوفِ مِنْهُمْ  
— رَأَيْتُ جُوابًا عَنِ ذَلِكَ لِأَحَدِ أَفَاضِلِ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : « كَانَ  
سَكُوتُ الْمَسِيحِ عَنْ مَثْلِ هَذَا الْآنَ إِلَمْ تَسْتَعْدُ لَهُ مَعْلُومَهُ بَإِنْ  
الْدِينُ الْآخِرُ (الاسلام) سَيِّدِنَا فِي وَقْتِهِ ، وَقَدْ عَبَرَ عَنْ رَسُولِ هَذَا  
الْدِينِ بِقَوْلِهِ : رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي يُبَيِّنُ لَكُمْ كُلَّ شَيْءٍ »  
اللورد لم يستطع انكار فعل المسيحيين بالارقاء لانه معروف  
مشهور فلذلك قال بعد ذلك :

« وَيَلِيقُ بِنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ نَقُولُ : أَنَّ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي  
تُوجِبُ الْخَبْلَ عَلَى الْمُسِيْحِيِّ أَنَّهُ لَمْ يَكْتُفِ قَبْلَ الْآنَ بِالْأَسْتِرْقَاقِ  
الْعَبِيدِ ، بَلْ أَنَّهُ ارْتَكَبَ أَقْبَعَ مِنْ ذَلِكَ فَكَانَ يَتَخَطَّهُمْ » — فَكَانَ  
اللورد وجَهَ هَذَا الْفَعْلَ وَهُوَ الْأَسْتِرْقَاقُ إِلَى الْمُسِيْحِيِّينَ أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ  
الْدِينُ الْمُسِيْحِيُّ بِرِيَّهُ ، مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ دِيْنَهُمْ وَافَقَ عَلَى

الرق كسائر الاديان، وامر الارقاء بالخضوع والخوف من سادتهم،  
وان الانجيل لم يرد فيه شيء يمنع الرق او تخفيف وطأته

### باب ما جاء به الاسلام من الاصلاح نحو الرقيق

من نفكري في قواعد الشريعة العامة ونظر فيها نظر المنصف يجد  
انها اعظم شريعة سماوية ووضعية ثناضل عن الحرية وتدافع عنها،  
قال تعالى «انَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ إِنْفَاقُكُمْ» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ إِلَّا بِالثَّقْوِيِّ» وقال :  
«سَلَمَانَ مَنَاً أَهْلَ الْبَيْتِ» وكان سلمان هذا رجلاً فارسياً وكان  
رقيقاً مُعتقاً . فلا بدّعَ إِنْ حَامَتْ عَنِ الرِّيقِ وَبِذَلِكَ جَهَدُهَا لِلْخَادِمِ  
نَارُ الرِّقِّ بِالْمَرْأَةِ أو تخفيف وطأته الى ان تزول متى استعد الزمان  
لذلك كما هي الحالة اليوم – فالاسلام اول من نادى بابطال الرق وحثّ  
عليه . وهو اثر من آثاره الحسنة ، وان ما قامت به دول اوربا في  
هذا العهد من تحرير الرقيق هو عين ما يتطلبه الاسلام ، فلذا عضدت  
(الدولة العلية الشهانية ) ايدها الله هذا المشروع ، واظهرت ارتياحا  
حسناً نحو هذا الامر ، لأن دينها يأمرها بذلك وليس ما قامت به  
الدول الاوروبية من آثار دينها كما يزعم القسوس بل من آثار تمدنها  
قال الدكتور السيد توفيق افندي صديقي : يزعم دعاة المسيحية

ان ما قام به الاوريون في الزمن الاخير هو من آثار دينهم فيهم، ولكن الحقيقة ان ذلك نتيجة الرقي العقلي والعلمي الذي وصلوا اليه عن قريب ولا دخل فيه للدين ، والا فلماذا قضوا القرون العديدة في استعباد الناس على اشنع الاحوال ؟ » ١٤ هـ

وعدا ما نقدم فقد جعلت الشريعة الرق يسقط عن الرقيق بمجرد دعواه الحرية متى اثبت ذلك وعجز مالكه عن اثبات حق ملكه ايها — وقد افتى علماء الخنفية وعليه العمل بمحاكم الدولة العلية بأنّه لو جرى لفظ العتق على لسان المالك ولو هازلاً او سكران او مكرهاً يعتق الرقيق المملوك — ولو ولدت الرقيقة ولداً من مالكها فلا يجوز ان نقل الى ملك آخر ، ومتى مات سيدها صارت حرمة — واذا أدّعت المملوكة ان حملها من سيدها أعنقت بعد موته ، فان انكر السيد قوله لم يلحق الولد به ، ولكن لا يؤثر ذلك في عدم عتقها بل تصير معتقة على كل حال بعد وفاة مالكها — واذا اشترى اثنان مثلاً في شراء رقيق فأَعْنَقَ احدهما ما يخصه أَعْنَقَ الباقي بالرغم عن الشرك او الشركاء وضمن المعتق خسارة الشركاء — واذا حكم الخليفة بأن رقبة الارقاء المملوکين غير صحيحة نفذ حكمه وأُعْنِقُوا .

هذا وان الرقيق اليوم لا يمكن وجوده ، وان وجد في وجوده

شبهة ، لانه كما قدمنا أن الرق " اما يثبت في اسرى حرب شرعية مع قوم صارحونا بالعداوة ونصبوانا جائيل الاذى، وهذا ان رأى الخليفة ان المصلحة في استرقاقهم ، اما ان رأى الحكمة في ارجاعهم الى قومهم فلا رق حينئذ ، وذلك قد انقطع منذ امد بعيد ، فلا رق شرعاً اليوم ."

اما ما يحصل من اختطاف السود ويعهم والاتجار بهم فليس من الرق في شيء ، بل هو من العمل المنهي عنه شرعاً الموعود فاعله باشد العذاب كما في بعض الاحاديث ، وفعل بعض اوباش المسلمين وطغائهم اليوم من اختطاف من ذكرنا ويعهم هو من بعد عن احكام الشريعة المطهرة ، فويل لهم مما كتب ايديهم وويل لهم مما يكسبون ، ويشبه فعلهم هذا في هذه الايام الاخيرة ايام تأخرهم وبعدم عن احكام شريعتهم السامية وادا بها الراقية ما كان يفعله المسيحيون ايام تأخرهم في العلم والمدنية من اختطاف الناس واستعبادهم وتذليلهم ، وقد قدمنا ان اللوردم ينكر اعمال النصارى هذه وتلبسهم بالاسترقاق على اقبح صوره . قال السيد في المجلة : «علم القراء أن علماء الافرنج يعدون مسألة الرق من اكبر المطاعن في الاسلام ، ويفتخرون بأن مدنيتهم ارق من الاسلام ، لأن الاسلام يأمر باستعباد البشر وهم يحررون الارقاء جائلاً في الانسانية ،

على أن كتاب دينهم الذي ينتصرونه وينشرونه فيه من الشدة على الارقاء ما لا يوجد له نظير في الاسلام ، والاسلام لم يأمر بالرق ولا جعله فرضاً ولا سنة ، وإنما هو شيء ، كان عليه الناس من جميع الأمم فوضع له من الاحكام ما يمحوه مع الحكمة » اه

اقول علمت انه لا يوجد اليوم رقيق شرعى وأن فعل بعض اسافل المسلمين ليس من الشريعة في شيء . أضاف الى ذلك المنكر العظيم ما يصدر من بعض الجركس والخرج من بيع اولادهم ، فانه من الفظاعة وعدم الرحمة بالمكان الذي لا يجهله مسلم ، ولا يقول به من عنده ادنى معرفة في دينه ، فمن نكح امرأة اليوم بدعوى أنها ملك مين اي انها رقيقة مملوكة له فهو زان يجب منعه بالقوة الحاكمة الا إن عقد عليها عقداً شرعاً برضاهما وأخيارها ، فهي زوجة لا مملوكة فتى طلقها يحق لها أن تخثار بعلاً غيره

هذا حكم الاسلام في هذه المسألة مسألة أخبطاف الناس ويعهم ويعي الولاد ذكرناها ليرى الحق فيها الآجانب عن الدين الاسلامي الذين لا يعرفون من حقائقه شيئاً بل يجهلونها قام الجهل ، ولو لا جهلهم لم يطعنوا على الدين بغياً واقتداء .

## خلاصة ما يأمر به الاسلام نحو الرقيق الكتاب

علمت فيما سبق ان الاسلام **أمر باعتناق الرقيق وحثّ الاغنياء**  
**على ابتياعه وتحريره لتفعيف وطأته الى أن يتلاشى الرق بالمرة .**  
 ثم انه لم يكتفى بذلك ، بل امر من كان تحت يده رقيقاً أن يعامله  
 بالحسنى ، وأن يطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ، وأن لا يكافه  
 من العمل فوق طاقته ، وإن كفه بذلك فاما أمره باعاته ومشاركته  
 في العمل ، الى غير ذلك من الشروط التي تحمل الرقيق سعيداً  
 رافها ، بل تجعله كأنه عضوٌ من اعضاء العائلة ، واوعدت الشريعة  
 من يخالف ذلك بالوعيد الشديد . قال الله تعالى : «وَاعْبُدُوا اللَّهَ  
 وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى  
 وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى (القريب) وَالْجَارِ الْجُنُبُ (البعيد)  
 = والصاحب بالجنب ( هو الرفيق في امر حسن كتعلمه وصناعة وسفر )  
 وابن السبيل ( المسافر والضيف ، اي يأمركم بالاحسان الى  
 المذكورين جياعاً ثم ذكر الاحسان الى الارقا . فقال : ) وما ملكت  
 ايما لكم ، ( اي يأمركم بحسن معاملتهم ، ثم ختم الاية بقوله : ) ان  
 الله لا يحب من كان **مختالاً نفوراً** »— وجاء في الحديث الشريف :  
 « من لطم ملوكه أو ضربه فكفارته عنقه » وفي الحديث المتفق

عليه عن واصل الاحدب عن المعاور قال : «لقيت ابا ذر بالربدة  
وعليه حلة وعلى غلامه (رقيقه) حلة ، فسألته عن ذلك فقال :  
إني سايت رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم :  
يا باذر أعيّرته بأمه ؟ إنك أمرؤ فيك جاهيلية ، إخوانكم خولكم  
(عيديكم) جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده  
فأني بطعمه مما يأكل وآتي لبسه مما يلبس ، ولا تكافوهم ما يغلبهم  
فإن كافتهم فأعينوهم » - انت ترى من ذلك أن الشريعة ساوت  
بين العبد وسيده . وأمرت السادة ان يعاملوا اماليكم كما يعاملون  
اخوانهم و أولادهم و أنفسهم ، وأن يعينوهم ان كلفوهم مالا يقدرون  
عليه من العمل ، وفي ذلك من الشفقة عليهم والمرحة بهم وإعظام  
 شأنهم ما يليق بحكارم شريعة ذات آداب سامية ، و أخلاق راقية ،  
 كالشريعة الإسلامية .

قال الغزالى في الاحياء في باب حقوق الملوك : «فاما ملك  
المين فهو يقتضي حقوقاً في العاشرة لا بدّ من مراعاتها ، فقد كان  
آخر ما اوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : «انقو الله فيما  
ملكت ايمانكم ، (يعنى الارقاء) اطعومهم مما تأكلون ، واكسوهم مما  
تلبسون ، ولا تكافوهم من العمل مالا يطيقون ، فما أحبتم فاما مسکوا ،  
وما كرهتم فيبعوا ، ولا تعدّ بوا خلق الله ، فإن الله ملکكم اياهم ولو

شاء لملّكهم ايّاكم «وقال صلى الله عليه وسلم : «للملوك طعامه وكسن بالمعروف ، ولا يكافي من العمل ما لا يطيق» «وقال عليه السلام : لا يدخل الجنة خبٌ (خداع) ولا تكبر ولا خائن ولا سيء الملائكة» اىيَّ الذى يسيء الى مَنْ يملِكُه من الارقاً ، وفي حديث آخر : «لا يدخل الجنة خبٌ ولا بخيل ولا منآن ( هو الذى يعطي ويمتنع على مَنْ اعطاه ) ولا منافق ولا سيء الملائكة ، واول مَنْ يقع بباب الجنة الملوك والملوکة ، فانقو اللہ واحسنو فيها يبنكم وبين اللہ ، وفيما يبنكم وبين مواليكم » اي ممالیکكم . وقال عبد الله بن عمر رضي اللہ عنهم : « جاءَ رجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُمْ نَفْعُوْنَ الْخَادِمِ ( يزيد الملوك ) فَصَمَّتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ اعْفُواْ عَنِ الْخَادِمِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً » - وكان عمر ( رضه ) يذهب الى العوالى<sup>(1)</sup> في كل يوم سبت ، فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه منه . ويروى عن أبي هريرة ( رضه ) انه رأى رجلاً على دابة وغلامه ( رقيقه ) يسعى خلفه فقال : يا عبد الله احمله خلفك فاما هو اخوك ، روحه مثل روحك فحمله ، ثم قال ( ابو هريرة ) : لا يزال العبد يزداد من الله

(1) العوالى : موضع قرب المدينة به بخيل وزراعة

بعدَّا مَا مُشِيَ خلفه .— وَكَانَ عِنْدَ مِيمُونَ بْنَ مَهْرَانَ ضَيْفًا فَاسْتَعْجَلَ عَلَى جَارِيَتِهِ بِالْعَشَاءِ بِجَاءَتْ مُسْرَعَةً وَمَعَهَا قَصْبَةً مُمْلَأَةً مِنْ اثْرِيدٍ فَعَثَرَتْ وَأَرَاقَتْهَا (صَبَّتْهَا) عَلَى رَأْسِ سَيِّدِهَا مِيمُونَ فَقَالَ : يَا جَارِيَةً أَحْرَقْتِينِي ، فَقَالَتْ : يَا مَعْلُومُ الْخَيْرِ وَمَوْدَبُ النَّاسِ ارْجِعْ إِلَى مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، قَالَ : مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ؟ قَالَتْ : قَالَ : « وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ » قَالَ : كَظَمْتُ غَيْظِي ، قَالَتْ : « وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ » قَالَ : عَفَوتُ عَنْكَ ، قَالَتْ : زِدْ فَانَّ اللَّهَ يَقُولُ : « وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » قَالَ : فَانِتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ — وَقَالَ ابْنُ الْمَنْكَدِرُ : إِنَّ رَجُلًا مِنْ اصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ عَبْدًا لَهُ ، فَجَعَلَ الْعَبْدُ يَقُولُ : أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ ، أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللَّهِ فَلَمْ يُعْفِهِ ، فَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِيَاحَ الْعَبْدِ فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى (الرَّجُلَ) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْسَكَ يَدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : سَأْلُكَ بِوَجْهِ اللَّهِ فَلَمْ تُعْفِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتِنِي أَمْسَكْتَ يَدِكَ ، قَالَ : فَإِنَّهُ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَوْمَ تَفْعَلْ لِسْفَعْتَ (أَحْرَقْتَ) وَجْهَكَ النَّارَ — وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عَبَادَةَ اللَّهِ فَلَهُ أَجْرٌ مِنْ تِبْيَانٍ »<sup>(١)</sup> — وَلَمَّا أَعْتَقَ ابْنَ رَافِعٍ بْنِي وَقَالَ : كَانَ

(١) قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : مَعْنَى الْمَدْبُثِ عَنِّي وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْعَبْدَ لَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ امْرَانٌ وَاجْبَانٌ : طَاعَةُ سَيِّدِهِ فِي الْمَعْرُوفِ ، وَطَاعَةُ رَبِّهِ فِي الْمَنْهَى جَمِيعًا —

لي أجران فذهب أحدهما» وعن أبي مسعود الانصاري قال : «بينا أنا أضرب غلاماً لي (عبدي) اذ سمعت صوتاً من خاني : اعلم يا ابن مسعود مرتين فانتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالقيت السوط من يديه ، فقال : والله ألم أقدر عليك منك على هذا» — وقال أبو هريرة (رضه) : قال صلى الله عليه وسلم : «إذا أتي أحدكم خادمه بطعامه فلَا يجلسه ولِيَا كل معه ، فإن لم يفعل فليناوله لقمة» وفي رواية : «إذا كفى أحدكم ملوكه صنعة طعامه فكناه حرّه وموئله وقربه إليه فليجلسه ولِيَا كل معه ، فإن لم يفعل فليناوله أو ليأخذ أكلة فلَا يرو غها (اي يدسمها بالadam) وأشار يده ، ولipseها في يده ، وليقن كل هذه» — ودخل على سليمان الفارسي (رضه) رجل وهو يعجن فقال : يا بابا عبد الله ما هذا ؟ قال : بعثنا الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع عاليه عملين » — وقال

— كان له ضعفاً أجر الحرث المطير لربه مثل طاعته ، لأنه اطاع الله فيما أمره به من طاعة سيده ونصحه ، واطاعه هو أيضاً فيما افترضه عليه ، ومن هذا المعنى عندي انه من اجتمع عليه فرضاً فادأها كان افضلَ من ليس عليه الا فرض واحد فاداه : فمن وجبت عليه زكاة وصلة فقام بها فله أجران ، ومن لم تجب عليه زكاة وادي صلاته فله أجر واحد ، وعلى هذا يعنى من اجتمعت عليه فروض فلم يوجَد منها شيئاً ، وعصيَانه أكثر من عصيانَ من لم تجب عليه الا بعض تلك الفروض والله اعلم » ا

صلى الله عليه وسلم : « من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم أعنقها وتزوجها فذلك له أجران » وقال عليه الصلاة والسلام : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته »  
 هذا وكما أمرت الشرعية المطهرة العادلة بحسن معاملة الأرقاء  
 ومساواتهم بسادتهم والاحسان إليهم — أمرت بتربيتهم وتهذيبهم  
 وتعليمهم ، قال الرسول (ص) : « ثلاثة لهم أجران : رجلٌ من  
 أهل الكتاب آمن بنبيه وأمنَّ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والعبد  
 المملوك اذا أداه حقَّ الله وحقَّ مواليه ، (سادته) ورجلٌ كأنَّ  
 عنده أمةٌ (حقيقة) يطؤها فأفادَ بها فأحسن تأديبها ، وعذَّمها فأحسن  
 تعليمهَا ثم أعنقها فتزوجها فله أجران »

وفي الباب احاديثٌ وآثارٌ وحكاياتٌ يضيق هذا الفصل دون ذكرها ، وفي الاحياء وشرحه وكتب الاحاديث والادب والتاريخ شيءٌ كثير من ذلك ، فليرجع اليه من شاء ، وكلها دالة على ماجاءت به الشرعية الاسلامية من الاصلاح الحقيقى نحو الارقاء .

وقد ورد النهي شرعاً عن أن يقول السيد المملوكه : عبدي ، لأنَّ فيه ذروأ من التكبر والاستعلاء عليه ، قال الرسول (ص) « لا يقل أحدكم : عبدي ، امي . ولما يقل : فتاتي وغلامي » — وقد قال ايضاً : « سلمان من اهل البيت » وكان سلمان رقيقاً معيناً . وروى

البيضاوي عند تفسير قوله تعالى : « قل للمؤمنات » الى قوله : « أَوْ مَا ملكت أيمانهنَّ » انه عليه السلام اتى الى فاطمة (ابنته رضي الله عنها ) بعده و هب لها و عاشرها ثوب اذا فدَّت به رأسها لم يبلغ رجلها ، واذاغطت رجلها الم يبلغ رأسها ، فقال عليه السلام : انه ليس عليك بأسم ، انا هو ابوك و غلامك » – فأنظر اليها القاريء لحسن الادب وجيل المعاملة ومكارم الاخلاق : فقد ألحق سليمان في الحديث الاول بالنسبة الشريف ، وجعل العبد الرقيق بمنزلة نفسه صلى الله عليه وسلم حيث قال لها : انا هو ابوك ، ولا عجب من ذلك وهو الذي قال الله تعالى في حقه : « وانك لعلى خلق عظيم » وهو الذي قال عن نفسه : « انا بعثت لآئتم مكارم الاخلاق » صلى الله عليه وسلم ، ورحمة واسعة ، وجزاه عننا وعن الاداب والفضيلة والمدينة احسن الجزاء .

وكما حثَّ الشرع الشريف على ما أسلفناه حثَّ على تزوج الارقاء ذكراناً كانوا او إناثاً متى بلغوا سنَا يصلاحون معها للزواج ، قال تعالى : « وَأَنْكِحُوا الْيَامِيَّ (١) مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ »

(١) الياي جمع ايام وهو العزب ذكرًا كان او انتي . والعباد جمع عبد ويجمع ايضاً على عبدين جمع سلالة ، وعلى عبيد جمع تكثير . والإماء جمع امة وهي الحقيقة .

أي زوجوا الصالح للنكاح من عبادكم الذكور والإناث .

وجملة حقوق الملك كما قال الغزالى في آخر باب حقوق الملك «أن يشركه في طعمته وكسوته ، ولا يكافئه فوق طاقته ، ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراه ، وأن يغفو عن زلته ، ويفتكر عند غضبه عليه بهفوته وجنايته ( اي يفتكر المالك عند غضبه على ملكه بهفوته نفسه وجنايته) على حق الله وتقديره في طاعته مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته » ثم اورد الإمام المذكور حدثاً في حق من يتكبر على العباد وجعله خمام الباب فقال : « روى فضالة ابن عبيد ( الانصاري الاويي الصحابي ) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يسأل الله عنهم : رجل ينزع الله رداءه ، ورداه الكبراء وإزاره العز ، ورجل في شك من الله ، وقطوط من رحمة الله » اي يائس منها اذا لا يأس من رحمة الله الا القوم الكافرون .

﴿ وبالجملة ﴾ فان ما تلقى به الاسلام من اصلاح حال الرقيق وحقوقه المقدسة لم تحل به شريعة من الشرائع ، كما أن كل ما جاء به كتابه من اصلاح ديني او اخروي لم يساوه فيه كتاب منزل ، ولا رقم موضوع ، فهو خير دين اخرج للناس .



# باب

## المرأة في الإسلام

وَمَا يَعْلَقُ بِهَا

تَهْيَهُ تَهْيَهُ

مسألة المرأة مثلث دوراً منهاً من ادوار المباحث العصرية المفيدة ، وقد قام بتأسيسها الاقلام على مرسع الصفحات ، واللسنة في النوادي ، والعقول فتملي ذلك على اللسانين ، فمن مخطي ومن مصيب ، ومن حائم حول الحمى ، كما هو الشأن في كل مجتئ على اختلاف موضوعه ، غيراني رأيت البحث عن المرأة في هذه الايام الاخيرة هو اهم تلك المباحث واجدرها بالاعتبار ، ولذلك اخذ ذلك المركز في نفوس العقلاه والجهلاء معاً ، وقادت له تلك الضجة العظيمة وذلك الضوضاء الذي عم القرى والبلاد باسرها ، خصوصاً بعد ان كتب سعادة قاسم بك امين كتابيه «تحرير المرأة والمرأة الجديدة» ولم يكن لي في تلك الايام ان أخوض مع الخائضين ، لاني كنت

اذ ذاك في طور الممذلة بل في سن لا استطيع معها حمل اليراع  
 والمناصلة في ذلك المعترك الذي أراق دماء المحابير على ساحات الاوراق،  
 وحطّم وشيع الاسنة في صدور الصفحات . غير أن ذلك لم يعني  
 من ثلاثة تلك المؤلفات ونفهمها حسب ما استطيع ، ولكن لم يكن  
 لي رأي أبدية . وبعد أن من الله على بشيء من العلم والادب جاز  
 لي أن أزج رأيي في الاراء ، وأذلي دلوي بين الدلاء ، فان اصبت  
 بذلك ما كنت ابني ، وان اخطأت فلست اول سار غرفة قبر . وقد  
 وجدت الان مكان القول ذا سعة بما كتبه جناب اللورد كرومفي  
 امر المرأة السليلة ، وما افتراه على الدين بشأنها في ضمن ما جناه عليه  
 من الترهات والكذبات التي بينما الحق فيها فيما سلف من ابواب  
 هذه الرسالة ، فقد وصف هذا الدين الشريف ذا الاداب السامية ،  
 والاحكام العالية ، بأنه جعل المرأة في مركز منحط جداً ، وأنه  
 يتضمن سنّا وشرائع عن علاقات الرجال والنساء مناقضة لاراء هذا  
 العصر ، ثم هو يعييه من حيث هو شريعة اجتماعية أنه اباح تعدد  
 الزوجات والطلاق – جناب اللورد يعي الاسلام في اباحة تعدد  
 الزوجات والطلاق وان تكون قوانين اوربا قد أباحتهما اخيراً بالرغم  
 عن معارضة الكنيسة ، وقد ثبت رسميأ في هذه الايام أن جناب  
 ادوار السابع ملك انكلترا اصدر منشوراً باباحة تعدد الزوجات

يُعمل بموجبه - وسبعين افتراه اللورد على الدين بشأن المرأة وما يتعلّق بها وزد على مزاعمه الفاسدة، ونُظّر حقيقة ما جاء به الإسلام نحو المرأة من الاصلاح، وزُوضّح كل ما ظنه اللورد مناً فضلاً للدنية من حال المرأة المسلمة . وإننا نقدم لذلك مقدمة في ماهية المرأة ووظيفتها في هذا المجتمع التي خلقت لاجلها مستندين على ماجاء في الشرائع السماوية والوضعية وأقوال فلاسفة الاجتماع وعلماء العمران :  
فتقول :

### ما هي المرأة؟

المرأة مخلوقٌ لطيفٌ من جنس الانسيِّ او جده الحق سبحانه ليتم به النظام الذي شاءه من بقاء الانسان الى اجل مسي ، فيانس به الرجل ويسكن اليه ، ويكون من ذلك التزاوج الذي به بقاء هذا النوع . وقد خلقه الله مختلفاً عن الرجل من حيث تركيب الجسم والقوة والعقل والتدبر وغير ذلك من الاحوال التي يمتاز بها الرجال عن النساء ، والحكمة من ذلك أن يكون لاحدها نوع سيطرة على الآخر ليكن الإنفاق ، ولو جعلهما متساوين قوة وعقلاً وعصابات لم يتصور أن يكون بينهما امتزاج قط ، وانَّ نظام هذا الكون مبني على عدم التساوى الكلّي ، بل لا بد وان يكون فارق بين الانواع

والاجناس ليحفظ القوي الضعيف، وينقاداً للاضعيف للقوى اي يوجد  
عند شفقة ورحمة يعطى بها عليه، وهذا نظام ثابت حكم مبني على  
حكمة عظيمة لا يمكن أن يزعزعها مزعزع، ولهذا كان الحكم ملحوظ  
الارض ، لأنَّ بهم قوامها وحياتها ، فلو فسد النظام واغتنال القوي  
الضعيف كان من ذلك الخراب والدمار ، ولو كان كل الناس حكاماً  
لبطل العمران وأخلل عمل الحياة السعيدة وهكذا لو خلقت المرأة  
مساوية للرجل من كل الوجوه لا متنعت أن تكون تحت نظامه ،  
وهو بالطبع يأبى أن يكون تحت سيطرتها ، فلا هي تسكن اليه ولا  
هو يسكن اليها ، فيتولد بينها النفور ، فلا يمكن التآلف والتزاوج ،  
فلا يمكن نظام ، فلا يوجد انسان ، فلا ينشأ عمراً ، فعلى الدنيا  
السلام . - نتج من ذلك ان خضوع احد هؤلا آخر من ضروريات  
الحياة التي لا ينكرها الا الماكرون ، فلوا حاولنا أن نخبر الرجل على  
الرخصة لسلطان المرأة يصدق علينا قول الشاعر :

ومكافِي الايام ضد طباعها مُتطلَّب في الماء جذوة نار  
وذلك أنَّ ما فيه من القوى والفرائز التي امتاز بها عن المرأة  
تجعله بحكم القسر لا يقاد لها ، واذا اردنا أن نجعل المرأة تحت سلطة  
الرجل بما اودعه الله فيها من الطبع نجد أن ذلك في غاية السهولة ،  
بل انها منذ القدم الى يومنا هذا تحت رعايته وحفظه ، وهو

لي أجران فذهب أحدهما» وعن أبي مسعود الانصاري قال : «بينا أنا أضرب غلاماً لي (عبدي) اذ سمعت صوتاً من خلفي : اعلم يا ابن مسعود مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقىني»<sup>٢</sup> السوط من يديه ، فقال : والله أقدر عليك منك على هذا» — وقال أبو هريرة (رضه) : قال صلى الله عليه وسلم : «إذا أتي أحدكم خادمه بطعامه فلأي جلسه ولها كل معه ، فإن لم يفعل فليناوله لقمة» وفي رواية : «إذا كفى أحدكم بملاكه صنعة طعامه فكثفاه حرّه وموته وقربه إليه فليجلسه ولها كل معه ، فإن لم يفعل فليناوله أولياخذ أكلة» فلابد وغها (اي يدسهها بالآدم) وأشار بيده ، ولipseها في يده ، وليرسل كل هذه» — ودخل على سليمان الفارسي (رضه) رجل وهو يعجن فقال : يا بابا عبد الله ما هذا ؟ قال : بعثنا الخادم في شغل فكرهنا ان نجتمع عليه عملين» — وقال

— كان له ضعفاً أجر الحز المطيم لربه مثل طاعته ، لأنه اطاع الله فلها أمره به من طاعة سيده ونصحه ، واطاعه هو أيضاً فيها افترضه عليه ، ومن هذا المعنى عندي انه من اجتماع عليه فرضاً اهما كان افضل من ليس عليه الا فرض واحد فاداه : فمن وجبت عليه زكاة وصلة فقام بها فله أجران ، ومن لم تجب عليه زكاة وادي صلاته فله أجر واحد ، وعلى هذا يصنى من اجتمع علىه فروض فلم يوجد منها شيئاً ، وعصيائه أكثر من عصيان من لم تجب عليه الا بعض تلك الفروض والله أعلم» اه

حصى الله عليه وسلم : « من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم أعنقها وتزوجها فذلك له أجران » وقال عليه الصلاة والسلام : « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته »  
 هذا وكما أمرت الشرعية المطهرة العادلة بمحسن معاملة الأرقاء  
 ومساواتهم بسادتهم والاحسان إليهم - امرت بتربيتهم وتهذيبهم  
 وتعليمهم ، قال الرسول (ص) : « ثلاثة لهم أجران : رجلٌ من  
 أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والعبد  
 المملوك اذا أدى حقَّ الله وحقَّ مواليه ، (سادته) ورجلٌ كأن  
 عنده أمةٌ (رقيقة) يطوهافادَّ بها فأحسن تأديبها ، وعلَّمها فأحسن  
 تعليمها ثم أعنقها فتزوجها فله أجران »

وفي الباب احاديثٌ وآثارٌ وحكاياتٌ يضيق هذا الفصل دون  
 ذكرها ، وفي الاحياء وشرحه وكتب الاحاديث والادب والتاريخ  
 شيءٌ كثير من ذلك ، فليرجع اليه من شاء ، وكلها دالة على ماجاءت  
 به الشرعية الاسلامية من الاصلاح الحقيقى نحو الارقاء .

وقد ورد النهي شرعاً عن أن يقول السيد لمملوكه : عبدي ، لأنَّ  
 فيه ذروأً من التكبر والاستعلاء عليه ، قال الرسول (ص) « لا يقلْ  
 أحدُكم : عبدي ، امي . ولما يقلْ : فتاتي وغلامي » - وقد قال  
 ايضاً : « سلمان من اهل البيت » وكان سلمان رقيقاً معيناً . وروى

البيضاوي عند تفسير قوله تعالى : « قل للمؤمنات » الى قوله : « أَوْ مَا ملكتْ ايمانهنَّ » انه عليه السلام اتى الى فاطمة (ابنته رضي الله عنها ) بعده و هب لها و عاشرها ثوب اذا قذفت به رأسها لم يبلغ رجلها ، واذ أغطت رجلها لم يبلغ رأسها ، فقال عليه السلام : انه ليس عليك بأس ، انا هو ابوك و غلامك » — فأنظر اليها القاريء لحسن الادب و جميل المعاملة و مكارم الاخلاق : فقد ألحق سليمان في الحديث الاول بالنسبة الشريف ، و جعل العبد الرقيق بمنزلة نفسه صلى الله عليه وسلم حيث قال لها : انا هو ابوك ، ولا عجب من ذلك وهو الذي قال الله تعالى في حقه : « وانك لعلى خلق عظيم » وهو الذي قال عن نفسه : « انا بعثت لاكم مكارم الاخلاق » صلى الله عليه وسلم ، ورحمة واسعة ، وجزاه عننا وعن الآداب والفضيلة والمدينة احسن الجزاء .

وكما حثَّ الشريعة على ما أسلفناه حثَّ على تزويج الارقام ، ذكراناً كانوا او إناثاً متى بلغوا سنًا يصلحون معها للزواج ، قال تعالى : « وَأَنْكِحُوا الْيَامِيَّ (١) مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ »

(١) اليمى جمع ايم وهو العزب ذكرًا كان او انثى . والعباد جمع عبد ويجمع اياً على عبدين جمع سلالة ، وعلى عبيد جم تكسير . والإيماء جمع آمة وهي الحقيقة .

أي زوجوا الصالح للنكاح من عبادكم الذكور والإناث .  
 وجملة حقوق الملوك كما قال الغزالى في آخر باب حقوق  
 الملوك «أن يشركه في طعمته وكسوته ، ولا يكفله فوق طاقته ،  
 ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء ، وأن يغفو عن زلته ، ويفتكر  
 عند غضبه عليه بفوفته وجنايته ( اي يفتكر المالك عند غضبه على  
 ملوكه بفوفة نفسه وجنايته) على حق الله ونقصيه في طاعته مع ان  
 قدرة الله عليه فوق قدرته » ثم اورد الإمام المذكور حديثاً في  
 حق من يتكبر على العباد وجعله خدام الباب فقال : « روى فضالة  
 ابن عبيد (الانتصاري الاوسي الصحابي) أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال : ثلاثة لا يسأل الله عنهم : رجل ينزع الله رداءه ، ورداءه  
 الكبriاء وإزاره العز ، ورجل في شك من الله ، وقنوط من رحمة  
 الله » اي يائس منها اذا لا يأس من رحمة الله الا القوم الكافرون .  
 ﴿ وبالجملة ﴾ فان ماتى به الاسلام من اصلاح حال الرقيق  
 وحقوقه المقدسة لم تحلّم به شريعة من الشرائع ، كما أن كل ما جاء به  
 كتابه من اصلاح ديني او اخروي لم يساوه فيه كتاب منزل ،  
 ولا رقم موضوع ، فهو خير دين أخرج للناس .



# بـ

## المـرأة في الإسلام

وـما يـتعلـق بـهـا

تـمـهـيد

مسـأـلةـ المـرأـةـ مـثـلـثـ دـورـاـ مـهـاـ منـ اـدـوارـ الـمـبـاحـثـ الـعـصـرـيـةـ  
 المـفـيـدةـ، وـقـدـ قـامـ بـتـقـيـلـهـ الـاقـلامـ عـلـىـ مـرـسـجـ الصـفـحـاتـ، وـالـاسـنـةـ فـيـ  
 النـوـادـيـ، وـالـعـقـولـ فـيـ ذـلـكـ عـلـىـ الـلـسـانـيـنـ، فـمـنـ مـخـطـيـ وـمـنـ مـصـيـبـ،  
 وـمـنـ حـائـمـ حـوـلـ الـحـيـ، كـمـاـ هـوـ الشـأنـ فـيـ كـلـ مـبـحـثـ عـلـىـ اـخـلـافـ  
 مـوـضـوعـهـ، غـيـرـ اـنـيـ رـأـيـتـ الـبـحـثـ عـنـ المـرأـةـ فـيـ هـذـهـ الـاـيـامـ الـاـخـيـرـةـ  
 هـوـ اـهـمـ تـلـكـ الـمـبـاحـثـ وـاجـدـرـهـ بـالـاعـتـباـرـ، وـلـذـلـكـ اـخـذـ ذـلـكـ الـمـرـكـزـ  
 فـيـ نـفـوسـ الـعـقـلـاءـ وـالـجـهـلـاءـ مـعـاـ، وـقـامـتـ لـهـ تـلـكـ الضـبـحةـ الـعـظـيمـةـ  
 وـذـلـكـ الـضـوـضـاءـ الـذـيـ عـمـ الـقـرـىـ وـالـبـلـادـ باـسـرـهـاـ، خـصـوصـاـ بـعـدـ انـ  
 كـتـبـ سـعـادـةـ قـاـسـمـ بـكـ اـمـيـنـ كـتـابـهـ «ـتـحـرـيرـ الـمـرأـةـ وـالـمـرأـةـ الـجـديـدةـ»ـ  
 وـلـمـ يـكـنـ لـيـ فـيـ تـلـكـ الـاـيـامـ اـنـ أـخـوضـ مـعـ الـخـائـضـينـ، لـاـنـيـ كـنـتـ

اذ ذاك في طور النوبة بل في سن لا تستطيع معها حمل اليراع  
والمناصلة في ذلك المترن الذي أراق دماء المحابر على ساحات الاوراق،  
وحطّم وشيج الاسنة في صدور الصفحات . غير أن ذلك لم يعني  
من تلاوة تلك المؤلفات وفهمها حسب ما استطع ، ولكن لم يكن  
لي رأي أبدية . وبعد أن من الله على بشيء من العلم والادب جاز  
لي أن أزج رأيي في الاراء ، وأذلي دلوبي بين الدلاء ، فان اصبت  
فذلك ما كنت ابني ، وان اخطأت فاست أول سار غرّه قمر . وقد  
وجدت الان مكان القول ذا سعة بما كتبه جناب اللورد كرومفي  
امر المرأة المسلمة ، وما افتراه على الدين بشأنها في ضمن ما جناه عليه  
من الترهات والكذبات التي بينما الحق فيها فيما سلف من ابواب  
هذه الرسالة ، فقد وصف هذا الدين الشريف ذا الآداب السامية ،  
والاحكام العالية ، بأنه جعل المرأة في مركز مخطوط جداً ، وأنه  
يتضمن سنتاً وشرائعاً عن علاقات الرجال والنساء مناقضة لاراء هذا  
العصر ، ثم هو يعييه من حيث هو شريعة اجتماعية أنه اباح تعدد  
الزوجات والطلاق - جناب اللورد يعيي الاسلام في اباحة تعدد  
الزوجات والطلاق وان تكون قوانين اوربا قد اباحتها اخيراً بالرغم  
عن معارضة الكنيسة ، وقد ثبت رسميًّا في هذه الايام أن جناب  
ادوار السابع ملك انكلترا اصدر منشوراً باباحة تعدد الزوجات

يُعمل بِموجبه - وَسَبَبَ افْتَرَاءَ الْلَّوْرَدَ عَلَى الدِّينِ بِشَأنَ الْمَرْأَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا وَنَزَدَ عَلَى مِزَاعِمِهِ الْفَاسِدَةِ، وَنُظَهَرَ حَقِيقَةُ مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ  
نَحْوَ الْمَرْأَةِ مِنِ الْاِصْلَاحِ، وَنُوضَحَ كُلُّ مَا ظَنَّهُ الْلَّوْرَدُ مُنَاقِضًا لِلْمَدِينَةِ  
مِنْ حَالِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ . وَإِنَّا نَقْدِمُ لِذَلِكَ مُقْدَمَةً فِي مَاهِيَّةِ الْمَرْأَةِ  
وَوُظُيفَتِهَا فِي هَذَا الْجَمَعَ الَّتِي خَلَقَتْ لَأَجْلِهَا مُسْتَنْدِينَ عَلَى مَاجَاءِ فِي  
الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْوَضْعِيَّةِ وَاقْوَالِ فَلَاسِفَةِ الْاجْتِمَاعِ وَعُلَمَاءِ الْعُرْمَانِ  
فَقُولُ :

### ما هي المرأة؟

الْمَرْأَةُ مُخْلوقٌ لطِيفٌ مِنْ جَنْسِ الْاَنْسَيِ اُوْجَدَهُ الْحَقُّ سَبْحَانَهُ  
لِيَتَمَّ بِهِ الْظَّالِمُ الَّذِي شَاءَهُ مِنْ بَقَاءِ الْاَنْسَانِ إِلَى أَجْلِ مُسَى ، فِيَانِسُ  
بِهِ الرَّجُلُ وَيُسْكُنُ إِلَيْهِ ، وَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ التَّزاوِجُ الَّذِي بِهِ بَقَاءُ هَذَا  
النَّوْعِ . وَقَدْ خَلَقَهُ اللَّهُ مُخْتَلِفًا عَنِ الرَّجُلِ مِنْ حِيثِ تَرْكِيبِ الْجَسْمِ  
وَالْقُوَّةِ وَالْعُقْلِ وَالتَّدِبِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكِ مِنِ الْاَحْوَالِ الَّتِي يَمْتَازُ بِهَا الرَّجُلُ  
عَنِ النِّسَاءِ ، وَالْحَكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَأَحَدِهَا نُوْعٌ سِيَطَرَةُ عَلَيْهِ  
الآخَرِ لِيَكُنَّ الْاِنْفَاقُ ، وَلَوْ جَعَلَهُمْ مُتَسَاوِيَّيْنِ قُوَّةً وَعُقْلًا وَعَضْلَاتٍ  
لَمْ يُتَصَوَّرَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا اِمْتِزَاجٌ قُطْ . وَانَّ نَظَامَ هَذَا الْكَوْنِ مُبْنِيٌّ  
عَلَى عَدْمِ التَّسَاوِيِ الْكَلِيِّ ، بَلْ لَا بُدَّ وَانْ يَكُونُ فَارْقَ بَيْنِ الْاَنْوَاعِ

والاجناس ليحفظ القوي الضعيف، وينقاد الضعيف للقوى اي يوجد  
عنه شفقة ورحمة يعطف بها عليه، وهذا نظام ثابت حكم مبني على  
حكمة عظيمة لا يمكن أن يزعزعها مزعزع، ولهذا كان الحكم ملحد  
الارض ، لأنَّ بهم قوامها وحياتها ، فلو فسد النظام واغتال القوي  
الضعيف كان من ذلك الحزاب والدمار ، ولو كان كل الناس حكاماً  
لبطل العمران وأخلل عمل الحياة السعيدة وهكذا لو خلقت المرأة  
مساوية للرجل من كل الوجوه لا متنعت أن تكون تحت نظامه ،  
وهو بالطبع يأبى أن يكون تحت سيطرتها ، فلا هي تسكن اليه ولا  
هو يسكن اليها ، فيتولد بينها النفور ، فلا يمكن التالف والتزاوج ،  
فلا يكون نظام ، فلا يوجد انسان ، فلا ينشأ عمارات ، فعلى الدنيا  
السلام . — نتج من ذلك ان خصوص احد هؤلائهم من ضروريات  
الحياة التي لا ينكرها الا المكابرلون ، فلو حاولنا أن نخبر الرجل على  
الرطوخ لسلطان المرأة يصدق علينا قول الشاعر :

ومكافِل الايام ضدَّ طباعها مُتطابِلُ في الماء جذوة نارِ  
وذلك أنَّ ما فيه من القُوى والغرائز التي امتاز بها عن المرأة  
تجعله بحكم القسر لا ينقاد لها ، واذا اردنا أن نجعل المرأة تحت سلطة  
الرجل بما اودعه الله فيها من الطبع نجد أن ذلك في غاية السهولة ،  
بل انها منذ القدم الى يومنا هذا تحت رعايته وحفظه ، وهو

قوام عليها ، حفيظ امين على تلك الوديعة التي أستودعته ايها طبيعتها « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم » - فمحاولة نفر من نبت اليوم إخراجها عن محيط طبيعتها وجعلها مساوية للرجل او مقدمة عليه عبث مخالف لنظام الكون . اما كونها اقل من الرجل قوةً وعقلًاً واضعف عضلات الى غير ذلك من الصفات التي امتاز بها الرجل واستحق ان يكون قواماً عليها بسببها فليس من شأني ان اذكره الان لانه من المباحث التشريحية التي يرجع بها الى علماء هذا الفن او الى كتبه المستفيضة بهذا الشأن ، ومن اراد ان يتحقق صحة ذلك فايأس الاطباء او فليقرأ الكتب الموضوعة لذلك يجد ان ماقلناه حق لا مرية فيه - وما يتحقق هذا ايضاً وصف هذا الجنس من القدم باوصاف تشعر بالخطاطه عن مرتبة الرجل ، ولكن هذا الانحطاط لا يجعل المرأة آلة بيده يتصرف بها كيف شاء كما ستحقق ذلك ، وقد وصفتها الشريعه الاسلامية برقه الاحساس ودقة الشعور فشبها بالزجاج اشارهً الى انه لا يجوز تكليفها مالا تستطيع ولا ينبغي ان تسمع ما تثار منه ، حتى نهي عن انشاد الشعر بحضورها لثلا يجرح احساسها ، وتثار عواطفها . ووصفها ابناء العصر الحاضر بالجنس اللطيف ، وكلما الوصفين راجع لمعنى واحد ، غير انَّ الوصف الاول هو ارق

وأبلغ في الدلالة ، وفيه تمثيل لحالتها وشعورها بما هو تماماً - كل ذلك فيه دلالة صريحة على أنها لم تبلغ مبلغ الرجل من تحمل المشاق ومتاعب الحياة ، على أن وصفها بالجنس اللطيف هو من أقوال أهل المدينة الحديثة الذين يحبُّون أكثرهم مساواتها بالرجل من جميع الوجوه فهم إما مخنثون في الوصف ، أو جائزون بالطلب . على أننا لم نعد قوماً منصفين من أهل العصر من أوربيين وغيرهم عرفوا فساد هذا الزعم وفندوه تفنيداً وابانوا باجلي قول ان هذا الطلب ضرب من الحال ، فالراغب فيه كالراغب في بيس الانق او عنقاء مغرب .

قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنساوية :

« ان تركيبها الجثماني يقرب من تركيب الطفل ، ولذلك تراها مثل هذه ذات حساسية حادة جداً ، وتأثر بغاية السهولة بالاحساسات المختلفة كالفرح والالم والخوف ، وبما ان هذه المؤثرات توثر على تصويرها بذوق تكون مصحوبة بتعقل ، فلذلك تراها لا تستمر لديها الاً قليلاً ، ومن هنا صارت المرأة معرضاً لعدم الثبات »

وقال (پرونون) الفيلسوف الاشتراكي في كتابه « ابتكار النظام » : « ان وجdan المرأة اضعف من وجداننا بقدر ضعف عقلها عن عقلنا ، ولا خلافها طبيعة اخرى غير طبيعة اخلاقنا ، فالشيء الذي تحكم عليه بالطبع او الحسن لا يكون هو عينه ما يحكم عليه

الرجل كذلك ، ب بحيث ان المرأة بالنسبة اليها يمكن أن تعتبر غير مودبة . لاحظها جيداً أتر أنها إمام فرقة أو مفترضة في جنب العدالة فان عدم المساواة خاصية نفسها ، ولا ترى عندها الميل لتوازن الحقوق والواجبات ، وهو الميل الذي يوّل الرجل ويسوقه ان لم يحصل عليه الى الدخول مع امثاله في نزاع شديد ، فالشيء الذي تحبه أكثر من كل شيء وتعيده هو الامتيازات والخصوصيات . أما العدالة التي تسوّي بين صنوف البشر فهي بالنسبة للمرأة عبء ثقيل لا تتحمله وقالت دائرة المعارف الكبرى :

« ان الرجل أكثر ذكاء وادراماً ، وأمام المرأة فاكثراً فعولاً وتهيجاً »  
 ترى مما قدمناه انه لا يمكن مساواة المرأة بالرجل ، وان الحرية الموهومة التي يتطلّبها لها زعماء تحريرها هي ثقوية لاركان العائلات ، بل هي سعي لابادة الجنس اللطيف بما يطرأ عليه من المتاعب والاعمال التي ليس في قدرته تحملها ، ولا في وسعه القيام بها ، فلذا اقتضت حكمـة الله ان يكون الرجل هو الكفيل لها والمحفيظ عليها بمقابلة قيامها بأمر منزلها وتدبير شؤون بيته وتهذيب اطفالها ، فالزامها بغير ذلك من الجهد في معرتك الحياة الذى يقوم الرجال بالنضال فيه : خروج بها عن حياتها الحـياة الطيبة الى إضعاف جسمها وتحمـيلها مالاً يُسـتطاع »

قال الاستاذ (اجوست كونت) في كتاب «النظام السياسي على حسب الفلسفة الحسية» :

(نحن بدون أن نكافف أنفسنا مناقشة تلك المستحيلات الخيالية (تحرير المرأة) المؤخرة للرقي — بأنه لو نال النساء يوماً من الأيام هذه المساواة المادية التي يتطلبهماهنّ زعماء الدفاع عنهنّ بغير رضائهنّ، فإن ضمانتهن الاجتماعية تفسد على قدر ما تفسد حالتهن الادية، لأنهن في تلك الحالة سيكونن خاضعات في اغلب الصناعات لمزاحمة يومية قوية بحيث لا يمكنهن القيام بها، كما انه في الوقت نفسه تذكر المتابع الأصلي لللحنة المتبادلة»)

وقال الاستاذ (جول سيمون) في مجلة المحلاط الفرنساوية :  
 «المرأة التي تستغل خارج بيته ا tö دى عمل عامل بسيط ، ولكنها لات ö دى عمل امرأة»  
 وقال فيها أيضاً :

«النساء قد صرن الآن نساجات وطبعات الخ الخ الخ وقد أستخدمتهن الحكومة في معاملتها ، وبهذا قد أكتسبن بعض دريئات ولكنهنّ في مقابل ذلك قد قوضن دعائم عائلاتهنّ تقويضًا ، نعم ان الرجل صار يستفيد من كسب امرأته ، ولكن بازاء ذلك قد قلل مكاسبه لمزاحمتها له في عمله

وقال (أوجست كونت) في كتابه «النظام السياسي» :  
 «يجب أن تكون الحياة النسائية منزلية على قدر الامكان، ويجب تخلصها من كل عمل خارجي ليكنها ان تتحقق وظيفتها الحية على ما يرام»  
 هذه بعض اقوال فلاسفة الاجتماع وعلماء العمران الذين يذلون  
 وسعهم لتحقيق ما يعود على هذا المجتمع بالخير والسلام ، وكلها شاهدة  
 ناطقة بانه لا يجوز أن تساوى النساء بالرجال ، لأن في ذلك فساد  
 النظام وتلاشي الاجتماع ، فلا بد أن يكون عمل المرأة محصوراً  
 لا يتجاوز أسوار دارها ، والا كان في ضده خراب العائلات الذى  
 ينتجه انحلال المدينة وتفويض اركان الحبة والوئام

قنا فيما نقدم : ان مساواة الجنسين ضرب من الحال ولو وجدت  
 لسقطت المرأة عن الاعتبار والمقام السامي الذي هو لها في نفوس  
 الرجال ، وذلك انها ان كانت متساوية لهم في جميع الحقوق فلا  
 يمكن حينئذ أن يميلوا إليها ميلهم الأول حينما كانت خاصة لهم .  
 ومن درس تاريخ المرأة يظهر له باجلى بيان انه مضى عليهما حين من  
 الدهر كانت فيه مستقلة حرمة بجميع الاعمال ، وفي الوقت نفسه كانت  
 «محترفة مزدراة» — قال دائرة معارف القرن التاسع عشر :  
 «من هنا وُجد عصر كانت فيه قوانين العائلة غير معروفة ،  
 وفيه كانت المرأة حرمة من كل قيد ومستقلة تمام الاستقلال ، ومع

ذلك كانت محتقرة مهانة للدرجة القصوى . فلما كانت العاشر  
 حال المرأة كل التغير ، لأنها بعمر دخولها العائلة نازلت عن اسْتِ  
 ولكنها اكتسبت بمقابل ذلك مركزاً معنوياً لم يكن لها من قبل  
 اقول فاجتمع حرية المرأة واستقلالها مع احترامها وتعظيمها الأمر  
 غير ممكن ، لأنها باستقلالها تعتدي على مركز الرجل وحريته ، وهو  
 في هذه الحالة يأنف من ذلك فيضطر لاحتقارها او عدم احترامها ،  
 لانه اقوى منها جسماً واسع عقلاً كما قدمنا ، وعيشه فالمرأة في طور  
 الخضوع للرجل انعم بالاً وارفةً عيشاً واسى مقاماً ، فان اراد الجنس  
 اللطيف ان يكون محتقاً فليطالب بالاستقلال والحرية ، فيرجع الى  
 حياته كما كان في طور الهمجية .

ولنذكر حادثة قريبة تدل دلالة صريحة على ان المرأة لا يمكنها  
 ان تجاري الرجل في اعماله :

كتب اسعد افندي الملكي مكتوب المؤيد في الولايات المتحدة  
 الى المؤيد مانسه :

« من قال انَّ المرأة مثل الرجل في العقل والمقدرة ، ويجب  
 ان تكون مساوية له فقد اخطأ واطلق القول جزاً بدون ثأمل ولا  
 تروِّ ، والمرأة العاقلة غير المخدوعة بذاتها توافق على هذا القول في  
 السر والعلانية . »

، دامت المرأة تضيع ثلاثة اربع الوقتات لم اقل تسعة في اللبس والزينة ، وتفضي معظم العشر الباقى في الكلام عن ميرين ، فهي لا يمكنها المطالبة بحق واحد من حقوق الرجل ، ولا يجوز لها ان تدعى حق المساواه ، ولو كل امر تدبیر هذا الكون الى النساء فقط لكان اليوم قفرًا — هذا ان بقي !

تسير المرأة مع الرجل جنبًا لجنب في معرفة حاجات البيت وتدبیر صغيرها وكبيرها ، وغير ذلك مما يتعلق بزيئته وتنظيمه ، ولكنها اذا خرجت عن دائرة هذا البحث مشى الرجل ووقفت هي ، لأنها قاصرة وعاوزة عن مهاراته في الامور الأخرى :

ارادت احدى المحاكم في احدى الولايات هذه البلاد ان تنتخب المحكّمین (الجورى) الاثنى عشر شخصاً الذين يحكمون في الدعاوى المهمة من بنات حواء ، وكان ذلك في دعوى قتل ذات شأن كبير فدعت عددًا كبيرًا من العاقلات المتعلمات وأنتفت منها اثنى عشرة عقيلة واجرت المحاكمة امامهن ، ولما أنتهت الاتهام من تثبيت التهمة على المدعى عليه وفرغ من نفيها والقول ببطلانها خطب القاضي في المحاكمات واوضح لهنَّ ما غمض من اوجه القضية وبين لهنَّ النقط القانونية التي يجب عليهنَّ ان يبنين حكمهنَّ في الدعوى عليها ولم يترکبها الا ووضعه ولا بمحلاً الا فصله وشرحه ،





ALLAH

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

THE ABU SHADI  
MEMORIAL LIBRARY

PRESENTED BY

CHARLES A. DANA, JR. '37  
H. H. PRINCE SADRUDDIN AGA KHAN  
COUNCIL ON ISLAMIC AFFAIRS



الرجل كذلك، بحيث ان المرأة بالنسبة اليانا يمكن أن تعتبر غير مُؤَدِّبة. لاحظها جيداً أتر أنها إمام فرقة أو مفترضة في جنب العدالة فان عدم المساواة خاصية نفسها ، ولا ترى عندها الميل لتوازن الحقوق والواجبات ، وهو الميل الذي يوْلِم الرجل ويسوقه ان لم يتحصل عليه الى الدخول مع امثاله في نزاع شديد ، فالشيء الذي تحبه أكثر من كل شيء وتعبده هو الامتيازات والخصوصيات . أما العدالة التي تسوّي بين صنوف البشر فهي بالنسبة للمرأة عبء ثقيل لا تتحمله وقالت دائرة المعارف الكبرى :

« ان الرجل أكثر ذكاء وادراكاً ، وأما المرأة فـأـكـثـرـ اـنـفعـالـاـ وـتـهـيـجـاـ تـرىـ مـاـ قـدـمـنـاهـ انهـ لاـيمـكـنـ مـسـاـوـةـ المـرـأـةـ بـالـرـجـلـ ، وـانـ الحرية الموهومة التي يتطلّبها لها زعماً تحريرها هي تقويض لاركان العائلات ، بل هي سعيٌ لا بادة الجنس اللطيف بما يطرأ عليه من الت Abuse والاعمال التي ليس في قدرته تحملها ، ولا في وسعه القيام بها ، فلذا اقتنصت حكمة الله ان يكون الرجل هو الكفيل لها والحفاظ عليها بمقابلة قيامها بأمر منزها وتدبير شؤون بيتها وتهذيب اطفالها ، فالزامها بغير ذلك من الجهاد في معرتك الحياة الذى يقوم الرجال بالنضال فيه : خروج بها عن حياتها الحية الطيبة الى إضعاف جسمها وتحمّلها مالاً يستطاع »

قال الاستاذ (اجوست كونت) في كتاب «النظام السياسي على حسب الفلسفة الحسية» :

(نحن بدون أن نكافف أنفسنا مناقشة تلك المسخيلات الخيالية (تحرير المرأة) المؤخرة للرقي — بأنه لو نال النساء يوماً من الأيام هذه المساواة المادية التي يتطلبهن زعماء الدفاع عنهنَّ بغير رضائهنَّ، فإن ضمانتهن الاجتماعية تفسد على قدر ما تفسد حاليهن الادية، لأنَّهن في تلك الحالة سيكنَّ خاضعات في اغلب الصناعات لمزاحمة يومية قوية بحيث لا يمكنهنَّ القيام بها ، كما انه في الوقت نفسه تذكر المتابع الأصلي للحجة المتبادلة «)

وقال الاستاذ (جول سيمون) في مجلة المجالات الفرنساوية :  
 « المرأة التي تشغله خارج بيته أ töö دى عمل بسيط ، ولكنها لـ töö دى عمل امرأة »  
 وقال فيها أيضاً :

« النساء قد صرن الآن نساجات وطبعات الخ الخ وقد أستخدمتهن الحكومة في عاملتها ، وبهذا قد أكتسبن بعض دريئات ولكنَّهنَّ في مقابل ذلك قد قوضن دعائم عائلاتهن تقوياًضاً ، نعم ان الرجل صار يستفيد من كسب امرأته ، ولكن بازاء ذلك قد قلل مكاسبه لمزاحمتها له في عمله

وقال (أوجست كونت) في كتابه «النظام السياسي» :  
 «يجب ان تكون الحياة النسائية منزلية على قدر الامكان، ويجب تخصيصها  
 من كل عمل خارجي ليتمكنها ان تتحقق وظيفتها الحبية على مايرام»  
 هذه بعض اقوال فلاسفه الاجتماع وعلماء العمران الذين يذلون  
 وسعهم لتحقيق ما يعود على هذا المجتمع بالخير والسلام ، وكلها شاهدة  
 ناطقة بأنه لا يجوز أن تساوى النساء بالرجال ، لأن في ذلك فساد  
 النظام وتلاشي الاجتماع ، فلا بد أن يكون عمل المرأة محصوراً  
 لا يتتجاوز اسوار دارها ، والا كان في ضده خراب العائلات الذى  
 ينتجه انحلال المدينة وتفويض اركان المحبة والوئام

قنا فيما نقدم : ان مساواة الجنسين ضرب من الحال ولو وجد  
 لسقطت المرأة عن الاعتبار والمقام السامي الذى هو لها في نفوس  
 الرجال ، وذلك انها ان كانت متساوية لهم في جميع الحقوق فلا  
 يمكن حينئذ أن يملاها اليها ميلادهم الاول حينما كانت خاضعة لهم :  
 ومن درس تاريخ المرأة يظهر له باجل بيان انه مضى عليه احدين من  
 الدهر كانت فيه مستقلة حرمة بجميع الاعمال ، وفي الوقت نفسه كانت

«محترفة» مزدراة — قال دائرة معارف القرن التاسع عشر :  
 «من هنا وجد عصر كانت فيه قوانين العائلة غير معروفة ،  
 وفيه كانت المرأة حرمة من كل قيد ومستقلة تمام الاستقلال ، ومع

ذلك كانت محتقرة، مهانة للدرجة الفصوى . فلما كانت العا  
حال المرأة كل التغير ، لأنها بعمر دخولها العائلة نازلت عن اس  
ولكنها اكتسبت بمقابل ذلك مركزاً معنوياً لم يكن لها من بين  
اقوى فاجتمع حرية المرأة واستقلالها مع احترامها وتعظيمها الأمر  
غير ممكن ، لأنها باستقلالها تعتدي على مركز الرجل وحريته ، وهو  
في هذه الحالة يأنف من ذلك فيضطر لاحتقارها او عدم احترامها ،  
لانه اقوى منها جسماً واسع عقلاً كما قدمنا ، وعليه فالمرأة في طور  
الخضوع للرجل انعم بالاً وارفةً عيشاً واسى مقاماً ، فان اراد الجنس  
اللطيف ان يكون محتقراً فليطالب بالاستقلال والحرية ، فيرجع الى  
حاليه كما كان في طور المحبوبة .

ولنذكر حادثة قرية ثدل دلالة صريحة على ان المرأة لا يمكنها  
ان تجاري الرجل في اعماله :

كتب اسعد افندي الملكي مكتاب المؤيد في الولايات المتحدة  
إلى المؤيد مانسه :

« من قال ان المرأة مثل الرجل في المقل والمقدرة ، ويجب  
ان تكون مساوية له فقد اخطأ واطلق القول جزاً بدون ثأمل ولا  
تروي ، والمرأة العاقلة غير المخدوعة بذاتها توافق على هذا القول في  
السر والعلانية . »

وَهُنَّ دَامَتِ الْمَرْأَةِ تُضِيِّعُ ثَلَاثَةَ أَوْ أَرْبَاعَ الْوَقْتَ اَنْ لَمْ أَقْلِ تِسْعَةَ  
 «يَجْبُهُ» فِي الْلَّابِسِ وَالزِّينَةِ، وَتَفْضِي مُعَظَّمُ الْعَشَرِ الْبَاقِي فِي الْكَلَامِ عَنْ  
 مُنْذَرِكَيْنِ، فَهِيَ لَا يَكُنُّنَا الْمَطَالِبَ بِحَقِّ وَاحِدٍ مِّنْ حَقُوقِ الرَّجُلِ، وَلَا  
 يَحْوِزُنَا إِنْ تَدْعُّنِي حَقُّ الْمَسَاوَاهُ، وَلَوْ كُلَّ اُمْرٍ تَدْبِيرُ هَذَا الْكَوْنِ  
 إِلَى النِّسَاءِ فَقْطَ لَكَانِ الْيَوْمَ قَفْرًا— هَذَا إِنْ بَقِيَ!

تَسِيرُ الْمَرْأَةَ مَعَ الرَّجُلِ جَنْبًا جَنْبًا فِي مَعْرِفَةِ حَاجَاتِ الْبَيْتِ  
 وَتَدْبِيرِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِزِينَتِهِ وَتَظْيِيمِهِ،  
 وَلَكِنَّنَا إِذَا خَرَجْنَا عَنْ دَائِرَةِ هَذَا الْبَحْثِ مُشَيِّ الرَّجُلِ وَوَقْفَتِهِ،  
 لَا نَهَا قَاصِرَةً وَعَاجِزَةً عَنْ بَحْرَاتِهِ فِي الْأَمْوَالِ الْأُخْرَى:

اَرَادَتِ اَحَدِي الْمَحَاكِمِ فِي اَحَدِي وَلَايَاتِ هَذِهِ الْبَلَادِ اَنْ  
 تَنْتَخِبِ الْمَحَكِمَيْنِ (الْجُورِيِّ) الْآتَيَنِ عَشَرَ شَخْصَيِّ الدِّينِ يَحْكُمُونَ فِي  
 الدَّعَاوَى الْمُهَمَّةِ مِنْ بَنَاتِ حَوَاءَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي دَعْوَيِّيْهِ قَتْلِ ذَاتِ  
 شَأنٍ كَبِيرٍ فَدَعَتِ عَدْدًا كَبِيرًا مِّنَ الْعَاقِلَاتِ الْمُتَعَلِّمَاتِ وَأَنْتَقَتِ مِنْهُنَّ  
 اَثْنَتِي عَشَرَةَ عَقِيلَةً وَاجْرَتِ الْمَحاكِمةَ اَمَامَهُنَّ، وَلَا اَنْتَهَى الْاِتَّهَامُ مِنْ  
 تَثْبِيتِ التَّهْمَةِ عَلَى الدَّمَغِيِّ عَلَيْهِ وَفَرَغَ مِنْ نَفِيَّهَا وَالْقُولِ بِظَلَانِهَا  
 خَطْبُ الْقَاضِيِّ فِي الْمَحَاكِمَاتِ وَأَوْضَحَ لَهُنَّ مَا غَمْضَ مِنْ اُوجَهِ الْقَضِيبَةِ  
 وَبَيْنَهُنَّ النِّقْطَةُ الْقَانُونِيَّةُ الَّتِي يَجْبُ عَلَيْهِنَّ اَنْ يَبْنِيَنَ حَكْمَهُنَّ فِي  
 الدَّعَوَى عَلَيْهَا وَلَمْ يَتَرَكْ مِنْهَا اَلَا وَأَوْضَمُهُ وَلَا بُعْدَلَّ اَلَا فَصَلَّهُ وَشَرَحَهُ،





PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

THE ABU SHADI  
MEMORIAL LIBRARY

PRESNTED BY

CHARLES A. DANA, JR. '37  
H. H. PRINCE SADRUDDIN AGA KHAN  
COUNCIL ON ISLAMIC AFFAIRS

